المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد السادس والثمانين

١ يناير سنة ١٩٣٥ — ٢٥ رمضان سنة ١٣٥٣

كشف الايدروجين الثقيل

وجائزة نوبل في الكيمياء

سلتهُ بعلمي الكيمياء والطبيعة وأثر الماء الثقيل في الاحياء

لعلَّ كشف العلماء الاميركيين للايدروجين الثقيل والماء الثقيل اعظم اثر علمي لهم بعد تجربة ميكلسن مورلي التي نهضت على اساسها النظرية النسبية ، وقياس ملكن للشحنة الكهربائية على الالكترون ، وبحثهِ هو وكمطن وصحبهما في الاشعة الكونية . بل لعلَّ كشف الايدروجين الثقيل يفوق هذين البحثين الاخيرين لانهُ فتح ميداناً جديداً في علوم الطبيعة والحياة حالة ان قياس الشحنة الكهربائية على الالكترون والبحث في الاشعة الكونية ، مع ما ينطويان عليهِ من ابداع وتدقيق ، لم يكونا الا اضافة جديدة الى موضوعين سبقهم الى العناية بهما غيرهم من العلماء . فتح جائزة نوبل الكيمائية عن سنة ١٩٣٤ للدكتور هارولد يوري Urey استاذ الكيمياء الطبيعية في جامعة كولومبيا جزاء لهُ على كشفهِ هذا ، بعد فوز طائفة من علماء الولايات المتحدة الاميركية بعدد من جوائز نوبل في الطبيعة والكيمياء (هؤلاء العلماء هم بحسب ترتيب نيلهم للجوائز المذكورة ميكلسن وملكن ورتشردز وكمطن ولنغميود) دليل على ان اميركا التي كانت الى عهد قريب عالة في علمها على اوربا معنية في الغالب بتطبيق مبادىء العلوم التي كشفها الاوربيون ، قد اخذت تقوم بنصيبها في ترقية العلم بالاضافة الى بحوثهِ الاساسية ، وتجني ثمرة الاموال التي انفقت في

اخرى لاستحضاره منها طريقة الحلّ الكهربائي . والمتوقع ان يكون هذا الضرب من الايدروجين مداراً لمباحث خطيرة في الكيمياء والطبيعة . لذلك نذكر في ما يلي اشهر ما يعرف عن خواصه وما قد يفضي اليه درسهُ من النتائج العلمية .

***

لقد تبحّر العلماء في درس بناء الذرات في العهد الحديث فوصلوا الى ان الذرة مبنية من جزئين. اولاً من كتلة مركزية مشحونة شحنة كهربائية موجبة وحولها دقائق من الكهربائية السالبة تعرف بالكهارب او الالكترونات . فاذا تعيَّن لدينا عدد الالكترونات حول نواة ذرة ما تعيَّنت كذلك خواصها الكيمائية. فاذا كان في الذرة الكترون واحد فهي ذرة ايدروجين . واذا كان فيها الكترونان فهي ذرة هليوم . واذا كان فيها ثلاثة الكترونات فهي ذرة ليثيوم . او اربعة فهي ذرة بريليوم . او خمسة فهي ذرة بور . او ستة فهي ذرة كربون . او سبعة فهي ذرة نتروجين . او ثمانية فهي ذرة اكسجين . او اثنان وتسعون فهي ذرة اورانيوم وهو آخر سلسلة العناصر . والعناصر الباقية متوسطة بين الاكسجين والاورانيوم تزيد ذرة كلّ منها الكتروناً واحداً عن ذرة العنصر السابق

ولكن كتلة الذرة مركزة في النواة المركزية ، ووزنها يختلف باختلاف عدد الدقائق التي تتركب منها النواة . فنواة ذرة الايدروجين (او البروتيوم) تحتوي على دقيقة واحدة وتعرف بالبروتون . اما ذرة الايدروجين الثقيل (او الدوتيريوم) فمؤلفة من بروتون ونوترون — والنوترون دقيقة وزنها وزن البروتون مؤلفة من بروتون والكترون ومتعادلة الكهربائية — فذرة الايدروجين الذي وزنهُ الذري ٢ (اسمها دوتون او ديلون) هي بعد ذرة الايدروجين ابسط الذرات المعروفة . واذا شاء العلماء ان ينفذوا الى سر تركيب النوى في الذرات وجب عليهم ان يقفوا على ترتيب ابسط الذرات وأبسط النوى ثم ما يليها فما يلي ذلك . ودرس نواتي البروتيوم والدوتيريوم انما هو خطوة اولى في هذه الناحية

ثم ان الليثيوم الذي وزنهُ الذري ٧ يتفاعل مع البروتيوم لتوليد الهليوم . والليثيوم الذي وزنهُ الذري ٦ يتفاعل مع الدوتيريوم لتوليد الهليوم كذلك . وهذا النوع من التفاعل يفيض طاقة عظيمة تفوق مليون ضعف الطاقة التي تسفر عنها التفاعلات الكيمائية العادية . هذا اهم ما يقال عن البروتيوم والدوتيريوم من حيث مكانتهما في علمي الطبيعة والكيمياء

اما من ناحية خواصها الكيمائية فثمَّة فروق بينهما . فعالم الكيمياء يهمهُ ان يعرف لماذا تتصرف العناصر الكيمائية تصرفها المعروف . كيف يحترق الايدروجين وكيف تحصل التفاعلات الكيمائية في اجسادنا ؟ ونحن نعلم ان الجواب الكافي عن هذه الاسئلة وأشباهها يتناول عوامل كثيرة منوعة . ولكننا نعلم كذلك ان لوزن الذرات في المواد المتفاعلة شأناً كبيراً . او نحسّ أن ذلك يجب ان يكون . والظاهر ان احساسنا هذا صعب التحقيق . فالعلماء يقولون ان وزن الذرات ،

اذا كان لهُ اثر في التفاعلات الكيمائية فانهُ اثر لا يكاد يكشف بالكواشف المعروفة . ولكن الفرق الكيمائي بين تفاعل ذرة البروتيوم وذرة الدوتيريوم يسهل كشفهُ بنسبتهِ الى وزني الذرتين . فالماء الذي يصنع من الايدروجين يختلف في درجة غليانهِ عن الماء المصنوع من الايدروجين . ثم ان تفاعلاً كيمائيًّا يدخل فيهِ احد الصنفين يختلف سرعةً عن نفس التفاعل اذا أُبدل فيهِ احد الصنفين بنظيره . وقد يكون هنالك فروق بيولوجية ناتجة عنهما . فالفئران التي تحتوي اجسامها على مواد يكثر فيها ايدروجين ، في تركيبها قد لا تستطيع الأ ان تكون بطيئة او لا تستطيع ان تعيش قط مهما في جسمها بمثابة السم . فهذا الايدروجين الثقيل كأكثر المكتشفات العلمية في استهلالها لا يمكن ان نحكم عليهِ حتى يتعمق العلماء في درسهِ وكشف احواله وخواصهِ

***

لما كشف الايدروجين الثقيل في اميركا ، بدأ العلماء يتكهنون بخواص الماء الذي يصنع منهُ . وقد قال الاستاذ يوري Urey احد مكتشفيهِ ان الماء يهمنا من الناحية الكيمائية لانهُ افضل المواد المذيبة المعروفة . وكثير من التفاعلات الكيمائية تحصل في الماء . ثم ان الايدروجين يلي الكربون في عدد المواد التي يدخل في تركيبها . فالمعروف ان الايدروجين يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ الف مركب عضوي او اكثر ، علاوة على الكربون والنتروجين والاكسجين . ولما كانت المواد التي يدخل الايدروجين الثقيل في تركيبها تختلف في خواصها عن نفس المواد اذا كان ايدروجينها عاديًّا فاكتشاف هذا النظير للايدروجين يفتح امامنا باباً لتركيبات كيمائية جديدة

وقد ثبت من تجارب جربت في احدى كليات اميركا ان الماء الثقيل (اي المركب من اكسجين وايدروجين ثقيل) يفتك بحياة بعض الحيوانات المائية . ثم ان الخائر لا تتسمم فيهِ بنفس السرعة التي تتسمم بها في الماء العادي . ووجد الكيماوي الاميركي الاستاذ غلبرت لويس ان بزور التبغ لا تنتش بعد نقعها في الماء الثقيل . ثم اذا نقعت في ماء عادي ، تنتش انتاشاً ضعيفاً غير سوي . اما الديدان المسطحة فتكاد تموت اذا نقعت ثلاث ساعات في ماء ثقيل ثم تعود الى الحياة اذا نقلت الى ماء عادي . وقد وجدت طائفة من اساتذة جامعة برنستن ان دعاميص الضفدع الخضراء لا تستطيع ان تعيش في الماء الثقيل اكثر من ساعة

وقد عاد الاستاذ لويس حديثاً الى تجربة اثر الماء الثقيل في حياة الفئران . فأخذ فأرة وسقاها الماء الثقيل بقطارة لان ثمن الرطل منهُ يبلغ ١٥٠٠ جنيه لندرة الايدروجين الثقيل ولشدة العناء في تحضيره . وسقى فأرين آخرين ماء عاديًّا . وكانت النتيجة ان الفأرين اللذين سقيا الماء العادي ظلا يتصرفان تصرفاً سويًّا في اليقظة والمنام . اما الفأر الاول فتصرّف تصرُّفاً غريباً . اذ جعل يقفز قفزاً عجيباً ويلحس الجدار الزجاجي في قفصه . وكان كلما سقي الماء الثقيل يزداد ظمأً . ولو لم ينفد الماء عند الاستاذ لويس لمضى هذا الفأر يشرب وهو لا يرتوي

مكتبة الاسكندرية ومدرستها

وطرف من آثار بعض علمائها في عهد البطالسة *

اذا ذكرت الاسكندرية بين حواضر العلم في العصر القديم كانت في فريق الطليعة . فلعلمائها في ميادين العلم النظري والعملي مكتشفات ومخترعات كانت ولا يزال بعضها آيةً في الابداع والابتداع. ولآدبائها وفلاسفتها في نواحي الادب والفلسفة القدح المعلّى والذكر الخالد . ولعلّ مدينة في التاريخ لا تستطيع ان تباهي بكوكبة من العلماء كالكوكبة التي تستطيع ان تباهي بها الاسكندرية وتفوقها . حتى ولا اثينا في اوج عزها [1] . وان مدينة تستطيع ان تنظم في عقد عظمائها ، علماء من طبقة اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيبرو وهبارخس وبطليموس وهيروفيلوس واراستوثنس وغيرهم ، ويقرن اسمها في تاريخ العلم بأصول الهندسة المسطّحة وقواعد التشريح ومبادىء الطبيعة للحقنة الجوية وقياس محيط الارض ومعرفة ميل دائرة البروج ووضع نظام كوني ظلّ سائداً حتى خاتمة القرون الوسطى ، لمدينة يحلق بنا ان نلتفت الى تاريخها وأثرها في العمران . ونحن نفعل ذلك البتة ، لا لنشيد بماض فاخر مجيد ، او لنبكي على علم مضاع ، مكتفين بالإشادة والبكاء ، وانما لندلّ على ان البلاد التي انطلقت اولئك العلماء والفلاسفة وأنجبت بعضهم ، تستطيع اليوم بما تلقاهُ من تشجيع جلالة مليكها العالم ، المحبّ للعلم ، ان تعيد من ذلك العهد الزاهي سيرتهُ المجيدة الاولى ، فتنتظم هذه البلاد في الموكب العلمي السائر بقواعد تفكيره ونتاج ذلك التفكير — رغم بعض المساوي التي تبدو في أفقهِ — نحو المُثُل الانسانية العالية

***

بعد وفاة الاسكندر المقدوني الفاتح العظيم ، كانت مصر نصيب القائد بطليموس ، أحد قوّاده الاربعة الذين اقتسموا مملكتهُ المترامية الاطراف . وكان لموقع مصر الجغرافي اكبر أثر في بلوغها في القرون التالية ارفع رتبة بين أمم ذلك العصر . ذلك ان بُعدها عن القبائل الاوربية الغازية التي اكتسحت اوربا ، وتحطيم اسطول الفينيقيين بعد حصار صور وافتتاحها عنوة ، جعلها في مأمن من هجمات الاعداء فتمتعت ردحاً من الدهر بسيادة بحرية واتسعت الاسكندرية حتى ساوقت قرطاجنة وفاقتها في التجارة غرباً واتصلت ببلاد العرب والهند من طريق البحر الأحمر . ورتع

* من محاضرة لرئيس تحرير المقتطف في جامعة القاهرة الاميركية

(١) راجع : موجز التاريخ : صفحة ١٩٧ طبعة كاسل ١٩٢١

أهلوها في بحبوحة من العيش وارخاء ، فتسنى لهم ان ينصرفوا عن الاهتمام بشؤون العيش وامور الدفاع الى إنشاء المدارس والاندية العلمية . فأصبحت الاسكندرية ، الثغرُ التجاريُّ العظيم ، محطَّ رحال العلماء والفلاسفة ، ومقرَّ الادباء والكتّاب فأمّها طلّاب المعارف من جميع البلدان المجاورة لبحر الروم . وأصابت فيها المباحث العلمية والطبية والفلسفية قسطاً عظيماً من التقدُّم . وأُسبغ على جماعة علمائها اسم مدرسة « الاسكندرية » فصارت علماً لهم في أسفار التاريخ

لما انتهى الاسكندر من أمر الشام ودخل مصر وطرد الفرس منها أراد ان يبني فيها مدينة تقوم مقام صور وتكون محطاً لتجارة المشرق والمغرب . وكان في مقدونية مهندس شهير اسمهُ دينوقراطس كان قد بنى هيكل ارطاميس في أفسس بعد ان حرقهُ هرّوستراتس الاحمق طلباً للشهرة وخلود الذكر وإن جاءاه من سبيل التدمير . فلما طبّقت شهرة الاسكندر الخافقين ودوّى اسمهُ في الاقطار رأى هذا المهندس ان يصنع لهُ تمثالاً لم يصنع مثلهُ لملك من ملوك الزمان . فلما مثل بين يديهِ قال لهُ إني عزمت ان أنحت لك جبل أتوس واصنعهُ تمثالاً لك وأبني الى يساره مدينة تتسع لعشرة آلاف من الناس واحوّل جميع الانهار التي تنبع منها الى يمينهِ فتجري منها الى البحر سيلاً متدفقاً[٢] . فسرَّ الاسكندر بهِ وصرفهُ ولعله قال في نفسهِ ان هذا الرجل قد غالى في حب الشهرة فطلبها من حيث تتعذّر . ولكنَّ الاسكندر تذكره لما أراد بناء تلك المدينة على شواطىء وادي النيل فاستدعاه اليهِ ووكل اليهِ بناءها في سنة ٣٣٢ ق . م

وقد اطلعت في ما كتبهُ ياقوت الحموي عن انشاء الاسكندرية على هذه الرواية[٣] قال : وقبل ان الاسكندر لما همَّ ببناء الاسكندرية دخل هيكلاً عظيماً كان لليونانيين فذبح فيهِ ذبائح كثيرة وسأل ربَّهُ ان يبين لهُ أمر هذه المدينة هل يتمُّ بناؤها أم هل يكون أمرها الى خراب فرأى في منامهِ كأن رجلاً قد ظهر لهُ في الهيكل وهو يقول لهُ ، انك تبني مدينة يذهب صيتها في أقطار العالم ويسكنها من الناس ما لا يحصى عددهم وتختلط الرياح الطيبة بهوائها ويثبت حكم أهلها وتُصرف عنهم السموم والحرُّ وتطوى عنها قوة الحرّ والبرد والزمهرير ويكتم عنها الشرور حتى لا يعيبها من الشياطين خبلٌ وان جلبت عليها ملوك الارض بجنودهم وحاصروها لم يدخل عليها ضرر . . . فبناها وسمّاها الاسكندرية . . . وفيها قبرهُ . . . . ومن ألطف ماروى ياقوت ان الاسكندر والفرمّا أخوان بنى كلٌ منهما مدينةً بأرض مصر وسمّاها باسمهِ ولما فرغ الاسكندر من مدينتهِ قال قد بنيت مدينة الى الله فقيرة وعن الناس غنيّة فبقيت بهجتها ونضارتها الى اليوم . وقال اخوه لما فرغ من مدينتهِ قد بنيت مدينة من الله غنية والى الناس فقيرة فذهب نورها . . . .

وقد اشتهرت الاسكندرية في ناحية العلم والثقافة بمكتبتها او بمكتباتها الشهيرة من ناحية وبمدرستها الخالدة الذكر في تاريخ تقدم العلم من ناحية اخرى ولكن قبل ان نأتي على ذكر المكتبة

(٢) المقتطف مجلد ١٧ سنة ١٨٩٣ صفحة ٧١٣ (٣) معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٧

والمدرسة ومن اتصل بهما من أعاظم العلماء وأثر هؤلاء في ترقية العلم نريد ان نورد لكم نبذة عن منارتها التي كانت تحسب من عجائب الدنيا السبع

بنيت المنارة في عهد بطليموس الثاني — ويقال ان بطليموس الأول شرع فيها — بناها سستراتس الكنيدي وتمت سنة ٢٨٠ ق . م . وكان ارتفاعها على ما جاء في بعض الروايات ٤٠٠ ذراع وهو بعيد الاحتمال . ولكن لا يبعد انها كانت عالية جداً وثيقة البنيان حتى بقي برجها الاسفل الى سنة ١٣٥٠ للميلاد لما جاء ابن بطوطة الاسكندرية وقال انها بناء مربع ذاهب في الهواء داخله بيوت كثيرة وعرض الحائط (يريد سماكة الجدار) عشرة اشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته ٤٤٠ شبراً وهو على تلٍّ مرتفع . ثم قال فصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب سنة ٧٥٠ هـ (١٣٢٩ م) فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود الى بابه

وقال ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨ هـ انهُ قاس احد اضلاع المنارة فوجده يزيد على خمسين ذراعاً وان الارتفاع يزيد على ٥٠ باعاً . اما ياقوت الحموي الذي شاهد المنارة قبل ابن بطوطة بنحو مائة وخمسين سنة فقال انها حصن بُني على سنِّ جبلٍ مشرفٍ على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الاسكندرية بينها وبين الشط نحو شوط فرس وليس اليها طريقٌ الاَّ في ماء البحر وهي مربَّعة البناء ولها درجة واسعة يتمكن الفارس ان يصعدها بفرسه . وقد سُقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين المكتنفي الدرجة فيرتقي الى طبقة عالية يشرف منها على البحر (٤)

وقال المقريزي في خططه نحو سنة ١٤٠٠ ان منارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب . . وطولها في هذا الوقت تقريباً ٢٣٠ ذراعاً بعد ان كان ٤٠٠ ذراع فتهدمت من تراديف الامطار والزلازل . . وقال علي باشا مبارك في خططه التوفيقية ان محل هذه المنارة الآن البرج الزفر الذي هو محل طابية قائد بك الذي في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس

***

ان مكتبة الاسكندرية ، في تاريخ المكتبات القديمة ، ليست اقدمها ، ولكنها في الغالب اشهرها على الاطلاق . فملوك الشرق كانوا قد انشأوا المكتبات قبل ذلك بقرون . والاغريق انفسهم كانوا قد انشأوا اول مكتبة للدولة قبل انشاء مكتبة الاسكندرية بقرن على الاقل . انشأوها في هرقلية على الشاطىء الجنوبي من البحر الاسود قبل سنة ٣٥٠ ق . م . لما كان الاسكندر لا يزال طفلاً يحبو (٥)

بل يقال ان ارسطو طاليس معلم الاسكندر ومثقفهُ في الحكمة والفلسفة اول من جمع مكتبة في اليونان ، وان مكتبتهُ اصل مكتبة الاسكندر ، وان كتبهُ جميعاً كانت فيها ، وان البطالسة اكثروا من جمع الكتب اقتداء به واكراماً لذكره لانهُ هو الذي هذَّب الاسكندر قائدهم الاعظم . ويقال

(٤) تاريخ البطالسة ، المقتطف مجلد ٣١ سنة ١٩٠٦ صفحة ٥٩٠ و ٥٩١

(٥) مجلة Antiquity يونيو ١٩٢٨ صفحة ١٩٦

كذلك انهُ بلغ من غرامهم في جمع الكتب انهم كانوا يستعيرون المؤلفات من اصحابها ويعهدون الى من ينسخها فيحفظون الاصول عندهم ويردّون النسخ الى اصحاب المؤلفات . وكانت للمكتبات في ذلك العهد تعتمد على نسخ مكتبة الاسكندرية ، فكانَ مكتبة الاسكندرية علاوة على كونها خزانة لحفظ المؤلفات وناديا لمراجعتها كانت داراً للنشر كذلك . بل يقال ان بطليموس رفض ان يمنح الاثينيين ما يحتاجون اليهِ من الطعام في اثناء مجاعة اصابتهم الاّ اذا ابلحوه له نسخاً معتمدة من مآسي اسخيلوس وصفوقليس ويوريبيدس وانهُ لما فاز ببغيتهِ سخا في توفية ثمنها علاوة على ارسال مقادير الطعام المتفق عليها

ومما يدلك على عناية بطليموس بجمع الكتب في مكتبة الاسكندرية ان دمتريوس فاليريوس كان اميناً على المكتبة في ذلك العهد — الرواية ليوسيفوس المؤرخ — فطلب الامين الى ملكهِ في رسالة اتبعها يوسيفوس ان تجمع نسخٌ موثوقٌ بها من كتب التشريع العبراني لما تنطوي عليهِ من الحكمة الخفية وان تنقل وتفسّر فامر الملك بارسال رسالة الى اليازار رئيس الكهنة العبرانيين في هذا الصدد . ثم يروي يوسيفوس ان هذه النسخ جمعت ونقلت واطلع دمتريوس الامين على ترجمتها ووافق عليها ثم رفعها الى الملك فاعجب بها وامر بأن توجه اليها عناية خاصة حتى لا يُدخل فيها(٦)

ولعلّ اشهر رجل تولّى ادارة مكتبة الاسكندرية عالم يدعى كاليماخس ، وهو باعتراف اولي الرأي به اعظم امناء المكتبات في العصر القديم . ففي عهده وضع فهرست للمكتبة ملا مائة وعشرين مجلّداً وكان فهرستاً تامّاً مرتباً بحسب اسماء المؤلفين وموضوعات الكتب التي كانت ذات قيمة خاصة في نظر كاليماخس . ويجب ان نشير في هذا المقام الى ان الكتب في ذلك العهد لم تكن سوى لفّات من الرقّ نسخت عليها المؤلفات القديمة ، وكان المطالع يضطرُّ عند المطالعة ان يتناول المؤلفات التي ينوي ان يطالع فيها لفّةً لفّةً ويبسطها ليطلع على محتوياتها ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على اللفّة لما يمحى او يتلف منها بالنشر والطيّ . وقطن كاليماخس الى ذلك فقسم المؤلفات الكبيرة كتاريخ هيرودتوس الى لفّات صغيرة ودعا كلّ لفة منها كتاباً او مجلّداً

وقد اختلفت آراء الثقات اختلافاً كبيراً في عدد الكتب او المجلدات التي كانت تحتوي عليها مكتبة الاسكندرية . فجورجيوس قدرينوس يقول انها كانت ١٠٠ الف . وسنكا الحكيم ٤٠٠ الف . ويوسيفوس المؤرخ يذهب الى انها كانت ٢٠٠ الف ثم زيدت حتى بلغت ٥٠٠ الف . وزعم أولوس غاليوس Gellius انها كانت ٧٠٠ الف . وجاراهُ اميانوس . وفي ذلك اقوال اخرى

ولعلّ منشأ الاختلاف في التقدير اختلاف الكتّاب في النقل والرواية اولاً وفي حسبان احدهم لفّات المؤلف الواحد كتباً مختلفة حالة ان الآخر لم يحسبها الاّ كتاباً واحداً . فاحد كتب اوقيدوس كان في ١٥ لفة ويروون ان كتاباً لديدموس كان في ٣٥٠٠ لفة . وكذلك الاختلاف ناشيء عن ان مكتبة

(٦) مجلة Antiquity يونيو ١٩٢٨ صفحة ١٩٧

الاسكندرية لم تكن مكتبة واحدة بل ثلاث مكتبات على الاقل الاول مكتبة الموزيوم (ندوة الادباء والعلماء) وقد جاء في اوروسيوس ان ٤٠٠ الف مجلد منها احترقت لما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية والثانية مكتبة السرابيوم احترق اكثرها في عهد الملك ثيودوسيوس سنة ٣٩١ للمسيح والثالثة مكتبة برغامس اضيفت الى الثانية واحترقت معها وما بقي تلف على تعادي السنين

وهذا يميل بنا الى الرواية التي تتهم القائد العربي عمرو بن العاص بحرق مكتبة الاسكندرية بناء على رغبة امير المؤمنين الامام عمر بن الخطاب

فالمؤرخون متفقون على ان النار شبّت في مكتبة الاسكندرية غير مرة قبل القرن الثالث للميلاد . ولذلك لا يسع المؤرخ ان يفهم كيف يعزى حرقها الى العرب بعيد فتح مصر . وقد اطلعتُ في جواب عن سؤال في هذا الصدد ورد على المرحوم الدكتور صرّوف[٧] قال فيه : واما ما قيل من ان الامام عمر امر باتلاف هذه المكتبة فرواية مطعونٌ فيها وعندنا انها كاذبة . وقد ابّد البحث الحديث هذا الحكم الذي حكم به الدكتور صرّوف . بل ان حكمهُ كان يجب أنْ يدركه الباحثون عقلاً ، لان ديناً يجري على لسان رسوله الكريم « اطلبوا العلم ولو بالصين » لا يمكن ان يستبيح اتلاف ثمرات الحكمة والعلم المتجمعة في مخلّفات العقل البشري

فقد قيل في هذه الخرافة ان يوحنا النحوي جاء الى عمرو بن العاص بعد دخوله الاسكندرية وتوسل اليهِ ان يقطعهُ نصيباً من الأغنام . فسأله عمرو اي نصيب يطلب فأجاب يوحنا كتب الفلسفة في خزانة الملوك اي المكتبة . فقال عمرو انهُ لا يستطيع ان يتصل في ذلك من دون ان يسأل فيهِ امير المؤمنين ، فكتب الى أمير المؤمنين في ذلك فجاءه الردُّ : اما الكتب التي تشير اليها فاذا كانت محتوياتها تتوافق وكتاب الله فلا حاجة اليها . واذا كانت على الضدّ من ذلك فمعارضهُ فلا فائدة في حفظها وارغب في ان تدمر . فأمر عمرو بأن توزع الكتب في حمامات الاسكندرية وان تحرق . ولم يبق اثر منها بعد انقضاء ستة أشهر على ذلك

بيد ان الحقيقة لا تطمس الى الابد . فما لبث البحّاث ان تبينوا الخطأ الفاضح في الرواية . ذلك ان يوحنا النحوي الذي اسند اليه هذا الحديث الموهوم كان قد توفي قبل تاريخ الحديث المذكور . وقد عني غير واحد من العلماء بتفنيد الخرافة ، ولعلّ احدث وأتم بحث في هذا الصدد للمستشرق المعروف في هذا القطر الاستاذ كازانوفا رحمة الله عليهِ في رسالة تلاها امام اكاديمية الآثار والآداب بباريس في ٢٨ مارس سنة ١٩٢٣[٨]

***

اما اشهر مدارس الاسكندرية فكانت المدرسة المعروفة باسم الموزيوم . وكلمة الموزيوم في اللغات الاجنبية تعني الآن داراً للتحف والآثار . ولكن معناها الاصلي « هيكل ربّات الفنون »

(٧) المقتطف مجلد ١٧ صفحة ٦٠ (٨) مجلة Antiquity يونيو ١٩٢٨ ص ٢٠٣

والاسم مركب من لفظين يونانيين الاول «موزيون» ومعناهُ هيكل والثاني «سيز» ومعناهُ ربّة او إلاهة . فالموزيوم الاسكندري كان داراً للعلم والتعليم وندوة للعلماء والمفكرين وعلى ذلك يمكن حسبانه اول جامعة في التاريخ (٩) . وكان مبدئيًا حيث بورصة الاسكندرية الآن . اي ان الاقدمين من سكان الاسكندرية كانوا يطلبون الغنى العقلي حيث يطلب المحدثون الثروة المادية الآن . ولهذه المدرسة الفضل الاول في حفظ علوم اليونان وبثّها في الشرق والغرب وترقيتها في نواح عديدة . وينقسم العلماء الذين اتصلوا بمدرسة الاسكندرية الى فريقين بوجهٍ عام: فريق المشتغلين بالعلوم الطبيعية . وفريق بالعلوم الطبية

فمن الفريق الاول العالم الرياضي الاشهر اقليدس واضع الاصول الهندسية ، التي لا تزال تدرّس الى عهدنا هذا . ومما يؤسف لهُ ان التاريخ لم يدوّن شيئًا مفصلاً عن سيرته . وكلُّ ما يعرف منها مستمدٌ من كتابات پاپوس وبروكلوس عنهُ . ويؤخذ من كتاباتهما ان اقليدس ولد في الاسكندرية حوالي سنة ٣٠٠ ق . م وعاش في خلال حكم الملك بطليوس لاغوس . وقد كانت اماليه مصدر وحي والهام لطائفة من عظماء الرياضيين والطبيعيين جاؤا بعدهُ (وسيجيء ذكرهُ) . ويقول بروكلوس ان اقليدس كان دمث الاخلاق حسن المناقب مقرّباً من الملك الذي كان يحبُّ العلم ويقرّب العلماء . ويروي عنهما حكاية طريفة خلاصتها انهُ كان للملك قصر تؤدي اليهِ طريق سلطانية واسعة ممهّدة يسلكها هو ورجال بطانته والمقرّبون اليهِ . اما عامة الشعب فكان عليهم ان يسلكوا اليه طريقاً وعرة . وكان الملك سائراً ذات يومٍ مع اقليدس في الطريق المهيع ، فالتفت المليك الى العالم وسألهُ هل ثمة طريق مختصر لتعلم الهندسة غير الاصول التي وضعها ونظمها فكان ردُّ العالم : « ليس للهندسة طريق سلطانية يا مولاي »

ويجب ألا يتبادر الى الذهن ان اقليدس اول عالم في التاريخ عني بوضع الاصول الهندسية لان طاليس وفيثاغوراس وأبقراط الكيوسي (وهو غير ابقراط ابي الطب) سبقوه الى ذلك . وانما كتاب اصوله يشتمل على المبادىء التي وضعها هؤلاء مضافاً اليها ما وضعهُ هو ، مرتباً ترتيباً منطقيًا أسبغ عليها تمة الكمال وجعلها معتمد الطلاب هذه القرون العشرين او تزيد

ومن علماء مدرسة الاسكندرية الاعلام ارخميدس . ولارخميدس في ميادين العلوم الرياضية والطبيعية مكانة تفوق مكانة ارسطوطاليس المعلم الاول . وكثير من الآراء والنظريات التي أبتدعها ارخميدس واقام الدليل عليها بالبرهان والتجربة لا تزال جزءًا لا ينفصل عن التراث العلمي العظيم الذي يدرسهُ الطالب في مدارس اليوم

ولد ارخميدس في سيراقوسة بجزيرة صقلية حوالي سنة ٢٨٧ ق . م . لما كان الملك هيرو ملكاً عليها . وتلقى العلم في الاسكندرية ، وقد لا يبعد انهُ تلقى العلم على اقليدس نفسهِ . وفي هذا وحده

(٩) راجع : موجز التاريخ : صفحة ١٩٧

دليل على مدى الشهرة التي ظفرت بها مدرسة الاسكندرية في ذلك العهد ، لان السفر من صقلية الى الاسكندرية في ذلك العهد لم يكن بالامر الميسّر وخاصّة في طلب العلم . وعاد ارخميدس الى مسقط رأسه ، ولكنهُ ظلَّ متصلاً بعلمائها واقرانهِ في مدرسة الاسكندرية ، ولذلك يصحُّ ان يسلك في عداد علمائها . وقد اشتهر ارخميدس بمباحثهِ في الرياضة المجرَّدة وعلم الحوائل والميكانيكا . ولهُ فيها مبتدعات لا تزال معروفة في عصرنا مسندةً الى اسمهِ . ولعلَّ اشهر ما اشتهر بهِ ارخميدس بحثهُ في الاجسام الطافية والغاطسة في الماء والحادثة التي جرت لهُ مع الملك هيرو من ابدع ما يروى عنهُ ولذلك لست اعتذر عن اعادة ذكرها

كان ارخميدس لشدة تفكيره في مسائل الطبيعة التي تسترعي نظرهُ ذاهلاً شارد الذهن . فدعاهُ الملك هيرو في احد الايام وقال لهُ انهُ ينبغي ان يقدم للآلهة تاجاً من الذهب وان احد الصوَّاغ كان قد صنع التاج . ولكن الملك يريد ان يتحقق من ان التاج ذهب خالص لم يدخل فيهِ بفضة . وطلب الملك الى ارخميدس ان يحلَّ لهُ هذا المعمى من دون ان يصاب التاج بتلف او اذى

فخرج ارخميدس من حضرة الملك شارد اللب ، ولم يفق الاَّ وهو في حمامهِ . ذلك انه دخل الحمَّام فكان الحوض ملآنًا بالماء حتى حافته العليا ، فلما دخل ارخميدس الحوض فاض الماء على جوانبه . فانتبه عندئذٍ الى ان هذا الفيضان يحل مشكلة التاج ، فخرج من حمامهِ عارياً في الشوارع وهو ينادي «يوركا . يوركا» اي وجدتها وجدتها

وكيف حل المشكلة ؟ اخذ كرتين احداهما من الذهب . والاخرى من الفضة . وجعل وزن كل منهما وزن التاج تماماً . ولاحظ ان حجمي الكرتين مختلفان فكرة الفضة اكبر من كرة الذهب لان الفضة اخف وزناً من الذهب . واتى بحوض مستوٍ ووضع فيهِ مقداراً من الماء ورسم خطًّا عند مستواهُ الأعلى . ثم جاء بكرة الذهب وغطَّسها في الماء فارتفع مستواهُ في الحوض فرسم خطًّا عند مستواهُ . ثم اخرج كرة الذهب وغطس كرة الفضة فارتفع مستوى الماء في الحوض فوق ارتفاعهِ عند تغطيس كرة الذهب لان حجم كرة الفضة اكبر من حجم كرة الذهب . ورسم خطًّا للدلالة على ارتفاع الثاني . ثم اخرج كرة الفضة . واتى بالتاج وهو يقول في نفسهِ اذا كان التاج ذهباً خالصاً وجب ان يرتفع مستوى الماء بقدر ما ارتفع عند تغطيس كرة الذهب . ثم غطس التاج فارتفع مستوى الماء ولكن جاء ارتفاعهُ بين بين ، اي بين ارتفاع المستوى الخاص بكرة الذهب وارتفاع المستوى الخاص بكرة الفضة . فعرف ان التاج ليس ذهباً خالصاً

وقد افضت تجربتهُ هذه — وهي من التجارب العلمية الخالدة — الى بحثهِ في الاجسام الطافية والنواميس المسيطرة على هذه الظاهرة مما هو مثبت في كتب الاصول العلمية

ولما فتحت سيراقوسة عنوةً سنة ٢١٢ في الحرب البونية الثانية اصدر القنصل مارسلوس الروماني الى الجند امراً مشدداً بعدم التعرض للعالم ارخميدس ، اعترافاً منهُ بفضلهِ ونبوغهِ ، مع انه

كان قد استنبط وسائل مختلفة لدفع هجمات الرومان عن مستنبط رأسه . وكان ارخميدس عند افتتاح المدينة قد رسم دائرة على الرمل وجعل يتأمل النظر في مشكلة يحاول حلها فهجم عليه جندي روماني وطلب اليه اسمه . فقال له ابعد عني فانك تكاد تطمس دائرتي . فطعنه الجندي وكان في الطعنة حتفه

ومن علماء مدرسة الاسكندرية اراتوستين — — وكان أحد امناء المكتبة — الذي حسب محيط الكرة الارضية ، فجاء حسابه حينئذ لا يبعد الا خمسين ميلاً عن التقدير المسلَّم به الآن : وانشأ مرصداً في الاسكندرية لرصد الافلاك وكشف ميل دائرة البروج

وابولونيوس الذي كتب كتابات رياضية في الطبقة الاولى . وخاصة ما كتبه في المخروطات المنحنية . وهيرو الذي كان عالماً رياضيًّا ومستنبطاً بارعاً في الوقت نفسه . فرسائله الهندسية تشتمل على بيان لاستخراج مساحات السطوح الهندسية واحجام الاشكال المجسمة . وقد وضع كتاباً في مسح الاراضي واستنبط لذلك آلة اشبه ما يكون بآلة المهندس الحديث المعروفة باسم « ثيودوليت » ، وله كتاب في السوائل وقد بنى على علمه بالسوائل آلات مختلفة تعتمد على قوة السوائل وحركتها مثل السيفون ومضخة الاطفاء وابتدع اساليب لاستعمال قوة البخار حتى للمستطيع ان نقول ان هيرو اول من صنع آلة بخارية في التاريخ . ويروى عن السر تشرلز بارسنز مستنبط التربين البخاري ، انهُ لما ذهب الى مكتب انائتة لتسجيل اختراعه ، اسف انهُ لم ير فيه اسم هيرو مخترع اول آلة بخارية في التاريخ . وهيرو علاوة على ذلك مباحث في الميكانيكا نقلها العرب باسم « في رفع الاجسام الثقيلة » ورسالة في السطوح العاكسة ، وتعليقات على اصول اقليدس ورسالة في المساحات المائية

ومن علماء مدرسة الاسكندرية هيبارخس واضع ازياج النجوم وبطليموس الذي ابتدع نظاماً كونيًّا ظلَّ سائداً حتى عصر كوبرنيكوس وغليليو . وقد كان بطليموس في نظر افضل عصره والعصور التي تلته بمثابة آلهٍ لذلك دعوا كتابهُ الذي اودعهُ ذلك النظام الكوني « المجسطي » اي « ذو الجلالة » ولا يزال يعرف بهِ الى يومنا هذا في اللغة العربية واللغات الاجنبية على السواء

اما مدرسة الاسكندرية الطبية فقد امتازت بعلم التشريح . ولعل عادة استخراج امعاء الميت بعد الموت عند المصريين لغرض التحنيط شجع على ذلك . وثمة أدلة على ان بعض الاعضاء كانت تشق في اجسام الاحياء بقصد درسها . وكان المجرمون المحكوم عليهم بالاعدام يقدَّمون للعلماء لهذا الغرض . وقد اختلف العلماء في موضوع تشريح الحيوانات الحية في سبيل دراسة تركيب اجسامها. ولكن الدكتور ثارندايك مؤرخ اكبر ثقة في تاريخ العلم القديم يقول انهُ مطمئن الى ان علماء مدرسة الاسكندرية الطبية كانوا يعمدون الى تشريح الحيوانات الحية — واحياناً بعض اعضاء الناس — المجرمين — في سبيل توسيع نطاق علم التشريح (١٠)

(١٠) راجع موجز التاريخ : هامش صفحتي ١٩٧ و ١٩٨

وقد برز في مدرسة الاسكندرية الطبية اسم طبيبين عظيمين احدهما هيروفيلس والثاني اراستراتس

اما هيروفيلوس (٣٣٥ — ٢٨٠ ق . م) فأغريقي من خلقيدون اشتهر بمباحثه في التشريح وكذلك في معارفه الطبية بوجه عام وبممارسة الطب كذلك . وكان من اتباع ابقراط ولهُ مباحث واسعة النطاق في العقاقير والفصد . مما يزيد شهرته العظيمة ان اربعة من كبار الاطباء كتبوا عنهُ وعن مؤلفاته ، واليهِ يشير جالينوس باحترام واعجاب . ورأيُ الطب القديم مجمع على جعل هيروفيلوس في المقام الثاني بعد ابقراط

اما اراستراتس فكان معاصراً لهيروفيلوس وندًّا لهُ . وما يعرف عن حياته نزر يسير لا يروي ظمأً . وانما يعلم انهُ قضى شطراً من حياته في بلاط سلوقس نيقاتور في انطاكية قبل مجيئه الى الاسكندرية وانهُ عني بالتشريح في النصف الثاني من حياته بعد ان توطن الاسكندرية . اما مؤلفاته فقد فقدت جميعها الاَّ بقايا حفظها جالينوس . على ان اراستراتس بدلاً من ان يجاري ابقراط كما فعل هيروفيلوس كان ينتقصه . ويظهر انهُ كان رجلاً مستقلاً في رأيهِ معتزًّا به ، وكان في خلقه حب المناوأة والكفاح . ويقال انهُ كان يميل الى تفسير الاعراض تفسيراً طبيعيًّا

وعلى ذلك نشأت في الاسكندرية مدرستان طبيتان . الاولى تضم اتباع هيروفيلوس وهم يجلّون ابقراط ونشأ بينهم علماء كبار في التشريح . والثانية تضم اتباع اراستراتس فلم ينشر رجالها اشتهار رجال الاولى في التشريح بل انتبهوا خاصة لاعراض المرضى واستعملوا عدداً كبيراً من العقاقير واخرجوا النظرية التجريبية في الطب القائمة على ملاحظة المريض ودراسة تاريخ مرضه والحكم بمقابلة الاصابات المتماثلة . وقد ادركوا نجاحاً عظيماً في ممارسة العلاج واستعمال العقاقير

ويلخص اثر مدرسة الاسكندرية الطبية في قول دائرة المعارف البريطانية[١١] : اذا نظرنا الى اثر مدارس الاسكندرية الطبية تحتم علينا ان نسلم بأن التقدم الذي تمَّ على ايدي اركانها كان عظيماً وخالداً . ولعلَّ اعظم خدمة قاموا بها هي درس علم التشريح درساً منظماً . ولكن درس الوظائف لم يجارِ درس التشريح ولعل هذا هو السبب الذي حمل اتباع اراستراتس على اهمال العناية بالتشريح

وكان يتصل بمدرسة الاسكندرية بستان للنبات تزرع فيهِ النباتات المختلفة الاقاليم وتتخذ العقاقير الطبية منها ، وبستان للحيوان او حديقة للحيوان ، تربى فيها الحيوانات الكثيرة البرية والاهلية وتدرس طبائعها

اما الآن وقد انقضت قرون تليها قرون على مدرسة الاسكندرية ، وتقدم العلم تقدماً عظيماً في جميع نواحيه ، باستنباط الاسلوب العلمي القائم على الاستقراء والتجربة فيجب ان نعترف لاولئك القوم في فجر المعرفة العلمية ، بأنهم فطنوا الى الاستقراء والتجريب[١٢] وأخذوا انفسهم بهما فجاء كثير من علمهم راسخاً على الدهر ، يشهد لعقولهم بالتفوق ولسلاح الاسلوب العلمي نفسه بالمضاء

(١١) مادة Medicine (١٢) كتاب Heroic Age of Science

شخصية شهر يناير — ١

بيراندللو ومسرحياته الوجيهة

للآنسة مي

[تفضلت كاتبة الشرق الكبيرة الآنسة « مي » فوعدت ان تتحف المقتطف كل شهر بدراسة شخصية عالية كبيرة وآثارها الفكرية او الفنية . وقد بدأت بالكاتب الايطالي الكبير لويجي بيراندللو على ذكر فوزه بجائزة نوبل الادبية لسنة ١٩٣٤]

بين ما وضعهُ بيراندللو للمسرح روايات ذات مغزًى خاص . ومن اخص تلك الروايات رواية « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف » (Sei Personaggi in Cerca d'Autore) . فقد مهّد لها — على غير عادته — بمقدمة مسهبة ذات سبع عشرة صفحة بسط فيها بعض آرائه في الانتاج الادبي الفني وكشف عن البواعث التي تستحثهُ على الكتابة . ونستخلص من تلك المقدمة فقرات جوهرية قد تمكننا من ادراك بعض غاية بيراندللو في ما يخطُّه قلمه . قال :

« ... ايُّ مؤلف يستطيع ان يقول كيف ولماذا تولدت شخصيةٌ من الشخصيات في مخيلتهِ ؟ إن سرَّ الانتاج الفني هو سر الولادة الطبيعية بعينهِ » .. « وعليَّ ان اعترف بأني لا ارضى برسم صورة رجل او امرأة او غلام لمجرد الرسم ، كائنةً ما كانت خصائص تلك الصورة ومميزاتها . ولا استطيع ان اروي حادثة مفرحة او محزنة لمجرد الرغبة في الرواية ، او ان اصف مشهداً لمحض الميل الى وصفهِ

« ... من الكتّاب (وهم غير قليلين) من لهم هذه الرغبات يقنعون بها فلا يبحثون عن غيرها . فهم بطبيعتهم ذوو نزعة تاريخية او تقريرية . وعند كتّاب آخرين — وراء تلك الرغبات — شعور اعمق باحتياج روحي يجعلهم لا يكتفون بالصور والحوادث والمشاهد ، فلا يقفون عند معنى محدود خاص من معاني الحياة . وهم ذوو نزعة اقرب الى ان تكون فلسفية . وأنا لتعاسني من هؤلاء . . . من هؤلاء الذين ، في الصورة المحسوسة التي يجب ان تبقى حيةً تتمتع بتمام حريتها الخاصة ، انما يبحثون في صميمها عن معنى آخر يقبلها قيمة ومغزى

« . . . على غير ارادة مني وعلى غير معرفة ، في ازدحام نفسي القلقة الجائشة ، كلٌّ منهم (اي اشخاص الرواية) يردُّ عن نفسه التهم التي يرميه بها الآخر ، بالتعبير عن ذكاله وانفعالاته وشهواته العنيفة . امورٌ خبرتها كلها اعواماً طويلة خلال عمري الروحية : من تبادل التفاهم الخادع لارتكازه على فراغ الكلام السلبي ، الى تعدد الوجدانات في الشخصية الواحدة وفاقاً لممكنات الوجود الكامنة في كلٍّ من البشر ، الى العراك المفجع المحتوم بين مادة الحياة التي تتحرك وتتغير في اطراد وبين الصورة التي تتجمد بها مادة الحياة فتجعلها غير قابلة للحركة والتغيُّر ...

« ... كلُّ شخصٍ ، كل مخلوق فنيٍّ ، ليكون موجوداً يجب ان يكون دراماتيكيًّا ، اذ دراميةُ يكون هو الشخصية المكوِّنة بها والشخصية المكوَّنة لها في نفس الوقت . الدراما اي المأساة هي علة وجود الشخصية الفنية وهي الوظيفة الحيوية المحترمة لوجود الشخصية ... المأساة اي الصراك المحتوم بين حركة الحياة في باطن الصورة وبين الصورة نفسها هو الشرط الذي لا غنى عنهُ ليس في النظام الروحي فقط ، بل في النظام الطبيعي ايضاً . ان الحياة التي — لتضمن لنفسها الوجود — ثبتت في الصورة الجسدية ، انما هي التي تفتك بصورتها شيئاً فشيئاً » . . . « والمأساة المتكررة بتعدد الشخصيات ، ذلك العراك الملازم الذي لا تفلت منهُ ، انما يجد في الكوميديا (المهزلة) بيانه الاكمل ...

« . . . فان قال قائل ان مثل هذه الرواية لا تظفر بكل قيمتها الممكنة لأن بيانها غير واضح بل هو سديميٌّ مبهم (caotico) يفتقر الى العنصر العاطفي ، فذلك القول يحملني على الابتسام . من هذا الابهام السديمي بطبيعته عليَّ أنا ان أخرج وأمثِّل (rappresentare) . واخراج الابهام السديمي وتمثيله لا يعني مطلقاً انتأليف على طريقة مبهمة سديمية اي على الطريقة العاطفية (Sentimentale) . وتأليفي ليس مبهماً ، بل هو جلي بسيط متسق يعلن لجماهير العالم ما فيه من التشابك والارتباك وتعدد الطبائع كما يوضح المبادئ والاوضاع التي يختلط فيها الخيال والحقيقة والفجيعة والمهزلة . ولمن كان اجلى بصيرة تكشف القيم الغير المألوفة المستودعة فيه

« ... وبينما تلك الشخصيات تحيا في ذاتها حياة المادة الحيوية العاملة فيها وحياة الصورة التي تجمدت عليها وحياة العراك المستمر بين الروح والصورة ، الشاعر الذي يشهد كل ذلك عن بعد وعلى غير معرفة من الشخصيات بإبان نكالها وعنائها — الشاعر الذي انتظر ورأى يكون قد خلق من كل ذلك روايته ... » اهـ

***

تتحتم مراجعة هذه الفقرات اكثر من مرة واحدة لاستجلاء ما اراد كاتبها بها . فهو ذو نزعة فلسفية كما يقرر ، وهو ذو نزعة علمية كذلك وإن فقدت الاصطلاحات العلمية من كتبه وكانت لغته — على ابهامها الفلسفي أحياناً — لغة ادبية تجردت من الغلو والتفخيم والركاكة . وتجردت في مجموعها من الطلاوة العاطفية ايضاً وان لم تخلُ من العواطف رغم ما يعصف بها من انواء الشهوات والانفعالات وتضعضع الشخصيات بين المأساة والمهزلة والتباس الميول بين تعدد الوجدانات . قال قوم ان بيراندللو كاتب ظريف وصاحب نكتة . وما أبعد هذا الرجل الوجيع عن الظرف والنكتة ! انه لا يرى الاّ المأساة ولا يشهيه غيرها . على انهُ مقتنع بأن فواجع المأساة لا يصدق تبيانها الاّ بما يحسبه الجمهور هزلاً . وذلك منتهى الكآبة . . .

ويلوح لي ان بيراندللو صنع في الشخصية الانسانية بمسرحيّاته ما صنعهُ العلم بالمادة . فقد كان

العلم قبل زمننا هذا يجزّىء المادة حتى يصل منها الى الذرّة فيقف عندها كأنما هو قد انتهى إلى الجزء الادقّ . ولكنهُ اليوم قد جزّأ الذرّة الى ما لا نهاية له ، إلى ما وراء الإليكترون ، فصارت أمثال ذريرة قابلة للتجزئة بلا حدّ ولا نهاية . وكلّ جزء من هاتيك الاجزاء التي لا يدرك العقلُ دقتها ، إنما هو عالم قائم بذاته ، ونواة السلب ونواة الايجاب تامتان فيهِ مكتملتان

ذلك شأن بيراندللو في الشخصية الانسانية الواحدة التي ألفنا اعتبارها جسداً وروحاً وكفى ، وللروح والجسد منها رزمات وعادات يتيسر تنقيفها وتدريبها وتكييفها في صيغ تثبت طول الحياة . فهو قد جزّأ الشخصية الواحدة شخصيات متعددة كلٌّ منها مطّردة الحركة والتغيُّر وكلٌّ منها مكتملة في ذاتها اكتمالها الشاذ الخاص . ولست أصدّق ان أية مسرحية بيراندللية تلقى بالتمثيل من النجاح ما يتوازى وقيمتها الادبية الصحيحة ، لأن الجماهير تحتاج إلى طلاوة اخرى في الروايات المسرحية والسينمية وإلى ذلك المزيج من الرونق والروعة الذي يسيطر على الوعي الفنّي ويستأثر به . أما حيال روايات بيراندللو فعليك ان تتنزع ، على نوع ما ، من خفي وجداناتك وجداناً دفيناً تستطيع به ان تشرف على ذلك العالم الغير المألوف وتدنو قليلاً قليلاً من ذلك الابداع الخاص

هو ابداع خاص ، بلا ريب . وان كان بيراندللو في تكوين فنّه قد تأثر حتماً بفن إبسن النروجي وبخاصة برواية «الأشباح» حيث تنقلب شخصية البطل مبدأً لعوامل الوراثة وتياراتها الجارفة . كما تأثر بنظرية العقل الواعي والعقل الغير الواعي عند فرويد وزملائهِ من علماء هذا العصر ، دون ان يقتصر بيراندللو على لغز الغريزة الجنسية التي يستوحيها دون سواها كثيرون من أدباء اليوم عند مختلف الشعوب

وقد باشر حياته الادبية بالقصص الصغيرة ، فله منها ما يزيد عن الاربعمائة . وصف فيها الكثير من عادات وطنه ، صقلّية ، وأساليبه وتقاليده واضطراباته الاجتماعية خلال حرب الاستقلال الايطالي (Risorgimento) . وقد اشترك والده في تلك الحرب بالتطوّع في جيش الثوار الجاريبالديين وكانت والدته إبنة أحد زعماء تلك الثورة في صقلية وشقيقة احد المجاهدين . وتعمّد القيام بمجهود خاص في القصص وفي نوع اخراجها فوضع سلسلة منها قصة لكل يوم من أيام السنة ، وسمّاها في عدة مجموعات متتابعة باسم واحد وهو « قصص لعام واحد » (Novelle per un Anno)

كذلك نشر نحو عشر روايات من أهمها رواية « الشيوخ والشبان » (I-Vecchi ei Giovani) و « المرحوم ماتيا بسكال » (Il fu Mattia Pascal) وهذه لقيت النقّاد والجمهور اليها سنة ١٩٠٤ . وجرّب نظم الشعر في شبابه . وفصوله النقدية وغيرها في مختلف الموضوعات ، كثيرة . ولكن كلّ هذا يتقهقر ازاء فنه الاكبر الذي جعل لطريقته اسماً شائعاً في الآداب العالمية وهي « البيراندللسمو » (Pirandellismo) . وفنّه الاكبر والأوفى هو في تلك المسرحيات التي يجب ان تقرأ

كلاًّ متعاندة مرّات لتفهم او لتفهم انك لا تفهم ولماذا لا تفهم . أو على الأقل لتفهم ان بعض صنوف الفن يتسلّص من قبضة يدك ومن موجتك النقدية ومن قوانين الروحية جميعاً . وكل ما تستطيعه حيالها هو التبصّر في معرض هاتيك الشخصيات البسيطة المألوفة من الناحية الواحدة ، والشاذة التي تضعضع العقل من الناحية الاخرى . وقد اطلق على مسرحياته الاربعين اسماً عامًّا تجمعه على كلٍّ منها فرق اسمها الخاص . وذلك الاسم العام هو «مساخر عارية» (Maschere Nude) . وكلة « مساخر » جمع « مسخرة » ليست قاموسية فيما أعلم ، ولكنها تؤدي المعنى الايطالي على وجه التمام . وهي مستعملة باللغة العامية في سوريا ولبنان وفلسطين ، تُطلق على الوجوه الصناعية التي تُرى في مهرجانات المرفع (Carnaval) المعيّد للصوم الكبير عند المسيحيين . ولا بدَّ ان تكون مقتبسة عن الكلمة الايطالية التي أخذ عنها الفرنسيون كلمتهم Masque

واهاً لتلك المساخر التي يعرّيها بيراندللو ! مساخر الحياة الاجتماعية ، مساخر الأوضاع المحترمة ، مساخر المصادفات والظروف ، مساخر الاقدار التي لا تحصى ! مساخر الاحتياجات التي لم نخلقها ، مساخر الغرائز التي لم نضع اليها ، مساخر القيود والحدود والتبعات التي ما إن ولدنا حتى وجدناها مفروضة علينا ! عبثاً تبحث عند بيراندللو عمّا يُشبع فيك عاطفة او يروي شأً أو يُطرفك بمكارٍ او يُلطف من وقدة او يخفف من لوعة : هناك عالم الاتاويه ، ما إن بلغتَ عتبته حتى صرتَ فريسة الحيرة والتضعضع . . .

***

كيف يصبح الفنان فنّاناً ؟ وما هي العلاقة بين الفنان والعالم المحيط به ؟

المقرورون من الكتّاب يعنون بسرد الحوادث والطوارىء في حياة الاديب ويحرصون على تدوين تاريخ مولده واسم بلده واسم أبيه وأمه وجدوده وعدد اخوته واخواته ، دون إهمال ذكر اسفاره والبلاد التي هبطها والبقاع التي شاهدها سواء اكتب عنها ام لم يكتب

والواقع ان كل ذلك لا أهمية لهُ الاّ إذا كان ذا أثر في حياة الشخص الداخلية الخاصة وذا دويّ في محيط نفسه . والعلاقة كلّها بين الشخص الواحد والعالم المحسوس تتلخّص في الحساسية ، في مقدرة الشعور والتأثر تأثراً إيجابيًّا بما يقع للفنان او يقع حواليه . وانما يصبح فناناً عند ما تصل الحساسية بين قرارة نفسه وبين العالم المحسوس حواليه فيترجم الوقائع والحوادث والاختبارات النفسية بطريقته الخاصة إلى عالم الفن بأداة الفنّ ، قلماً كانت أو ريشةً أو وتراً أو إزميلاً

يسهل بيراندللو المقدمة التي ذكرناها في مطلع هذا المقال ، بالبيان التالي : « في خدمة فني منذ أعوام طويلة (وكانت بها منذ البارحة فقط) خادمة جدّ رشيقة وهي غير جديدة في صناعتها . اسمها المخيّلة . هي خائبة بعض الشيء ، ومهارة . ولكن راقها ان تتشح بالسواد أحياناً فليس من ينكر انها إنما تفعل جرياً وراء الغرابة والشذوذ في الغالب . ولا يُظنّن انها تصنع ما تصنع جادّةً وعلى

وتيرة واحدة . . . وتتفكه بأن تجلب اليَّ في بيتي احياناً رجالاً ونساء وغلماناً من اكثر الناس استياء في العالم . اشتبكوا في أحوال غريبة من التعقد والارتباك ولا يجدون منفذاً للخروج منها : قوم منكدون في امانيهم ، معاكسون في رغباتهم ، مغلوبون على آمالهم ، والتفاهم معهم من أعسر الأمور حقاً في اكثر الأحيان . هي تجلبهم اليَّ لأستخرج منهم الاقاصيص والروايات والكوميديات » . اه

هذا ما يقوله . ولكني اعتقد ان اول رابطه بالعالم هي حساسية عميقة مضطربة مرهفة تحمله على التوغل في كل نفس وفي كل كائن وفي كل شيء . تسحبها وتسايرها تلك التي يسميها خادمة ، وما هي في الواقع إلا سيدة مسيطرة مستبدة متنوعة القدرة تتناول تأثيرات الحساسية وخلاصة الملاحظات الدقيقة وسائر تلك المؤهلات الخاصة فتكيفها لاهية كما تشاء وتخلق منها عالماً جديداً

وكأن الظروف التي هيأتها الحياة لبيراندللو إنما تناسقت كلها وحفزت لتهاجم تلك الحساسية الشاذة بالدغدغة والتعذيب بلا رحمة ولا مهادنة . فقد ولد قبل موعد مجيئه إلى العالم بأسابيع . ومع ان الحب كان الباعث على زواج أبويه ، فقد عرف في حياته المنزلية شقاء الوحدة بين والدين متنافرين ، والفضائح الخلقية والاجتماعية والخسائر المالية والانهيار من الأوج إلى الحضيض . وشهد وهو بعد في سن الرابعة عشر ، فجيعة عائلية نجمت عن عنف والده واستهتاره كان أثرها في نفسه أثر الحديد المحمي وتجمد لها أصداء عدة في مسرحياته . وبعد ان أتم دراسته في روما وبون بألمانيا اختار له والده زوجة ، لا لعنايته به ، ولكن لانه كان في حاجة إلى بائنة الفتاة يدعم بها حالته المالية المتداعية . ولم يطل ان فارت تلك البائنة كلها في هاوية الخراب فاضطر بيراندللو إلى البحث عن عمل يكفل به حياة زوجته واطفاله الثلاثة . فعين مدرساً للآداب الايطالية في معهد الدراسات العليا بروما ، براتب ٩١ ليرا ايطالية شهرياً !

ولكان يهون كل ذلك رغم الفاقة والضنك بين العمل العنيف المضني وإرهاق الفكر والجسد ، لولا تلك المصيبة التي جعلت حياته مأساة لا تنتهي . . . زوجته لم تكن مريضة فحسب بل أخذت تبدو عليها أعراض الجنون . فكانت في بادىء الأمر غيرة صاخبة ليل نهار . تغار من تلميذاته ، تغار من النساء المارات به في الطريق ، تغار من جميع النساء الموجودات في العالم . فلزم البيت ليطمئنها ولم يكن يخرج إلا ومعه أحد ولديه . وجرد نفسه من النقود فكان يطلب منها يوماً فيوماً ثمن السجاير واجرة الترام . فلم يجد ذلك نفعاً . ثم صارت تعتقد ان أبناءها يمقتونها ويضطهدونها ويتآمرون على دس السم لها فأمست لا تتناول طعاماً أو شراباً إلا بعد تناول أحد افراد البيت منه قبلاً . ومضت ترمي ابنتها بأشنع التهم فلم تحتمل الفتاة وحاولت الانتحار فأدركت بالعلاج . على انها أبت البقاء قرب والدتها وفرت إلى الدير تطلب الخلاص . وعندما نشبت الحرب ذهب ولدا بيراندللو إلى القتال فوقع أحدهما أسيراً بيد الاعداء ومرض الآخر مرضاً خطراً . فاذا بوالدة بيراندللو تموت

في مستشفى للامراض العقلية وزوجته الى ارسالها الى مستشفى الامراض العقلية وزوجت ابنته . وطار اسمه على أجنحة الذيوع واخذت مسارح العالم تعج بنجاح مسرحياته . وتعين عضواً بالاكاديمية الايطالية فصار — بيراندللو ! — يرتدي الكسوة المزركشة بالقصب ويحمل السيف الاكاديمي ويلقب بصاحب السعادة (Sua Eccellenza) !

بأرباحه الاولى شاد لنفسه منزلاً في روما ، ولكنه مضى يطلب منزلاً متنقلاً في مشتى العالم الرحيب . وهو الذي لم يكن يتغيب عن روما إلاّ ليتفقد وطنه بصقلية ، أصبح دائم الرحيل من لندن ، الى باريس ، الى برلين ، الى نيويورك ، الى البرازيل ، الى مصر ، ليستقر أياماً في بلاد الشمال حيث يتلقى الآن جائزة نوبل ! ورفيقته في جميع اسفاره ورحلاته هي تلك « الخادم » التي اسمها المخيلة . ورفيقة اخرى لا غنى عنها : آلة الكتابة التي يؤلف عليها مسرحياته الجديدة في غرفة الفندق التي سيغادرها عما قريب . وكأني به عند ما يبعث في عالمه بعثاً جديداً ، إنما يفعل وهو يبارك الله مع بودلير الشاعر الفرنسي ، لانهُ تعالى خالق الالم (٢) . . .

(١) رواية « ليس الامر بذي بال » (Ma non è una cosa seria)

(٢) Soyez béni, mon Dieu, qui donnez la souffrance
Comme un divin remède à nos impuretés,
Et comme la meilleure et la plus pure essence
Qui prépare les forts aux saintes voluptés !

. . . . . .

[Baudelaire]

دقائق الاحياء في قطرة ماء

حيوان كالمبذل — حيوان كالجرس — حيوان أخضر له عين حمراء

﴿ بين النجوم والاحياء الدقيقة ﴾ يجد محب الطبيعة المعني بدرس شؤون احيائها عالماً حافلاً بالغرائب في قطرة من الماء الراكد . فاذا كان من المطبوعين على زيادة المعارف والبحث عن الجمال وجد في درس هذه القطرة على شريحة المكرسكوب خير ما يليه بغيته ويفتن له

فالعالم وحب الطبيعة والفيلسوف ، يجدون جميعاً في هذه القطرة ميداناً واسعاً للدرس والتأمل . وبفضل المكرسكوب يتاح لنا ان ننفذ الى عالم كله جمال رائع ولكننا رغم كل قدرتنا وحكمتنا لا نستطيع ان نزور الاماكن السحيقة التي تُرودها بعين التلسكوب . بهذه العين الكشافة نرصد الكواكب والسيارات فينتقل العقل من التأمل في روح الانسان الحقير الى ريادة رحاب الفضاء ثم ينكفىء الى الارض فيدخل عن طريق المكرسكوب المركب عالماً عجيباً من الاحياء الدقيقة رائعة جاثية في قطرة دقيقة من الماء فيرى نباتات زاهية الالوان تسترعي النظر وفي جمال تنسيقها ما يفوق الجمال الهندسي الأخاذ في رقعة الثلج ويشاهد حيوانات صغيرة لها من عجيب التركيب ما يحير العقل

وكل ما يحتاج اليه الباحث في الرحلة الى هذا العالم الغريب مكرسكوب مركب وبضع شرائح زجاجية (الواح) وانبوبة دقيقة وزجاجة صغيرة وركة من الماء الراكد . املأ زجاجتك عاء من البركة وأنا الكفيل لك بأنها تحوي اصنافاً لا تحصى من الكائنات العجيبة

واذ تدخل غرفة البحث حاملاً في يدك ملايين الاحياء الدقيقة لا يسعك الاّ التأمل في « نسبية » الحياة . فقد كنتَ قبل هنيهة ترى الانسان حقيراً صغيراً اذ كنت تتأمل الكواكب والسدم المنثورة في الفضاء الرحب ثم اذا بك تراه جباراً يحمل في كفه الوف الوف من الكائنات الحية

﴿ حيوان كالمبذل (البانتوفل) ﴾ وتأخذ بأنبوبتك قطرة صغيرة من ماء الزجاجة فتضعها على شريحة المكرسكوب وتحكم وضع الشريحة تحت العين المكبرة وتضبط النور فينجلي أمامك عالم غريب تستطيع مراقبته ولا تستطيع دخوله . واذ تنظر الى هذه الشريحة من ثقة المكرسكوب ترى كائناً شبيهاً بالمبذل (Pantoufle) . هذا هو « البراميسيوم » وهو من أبسط الاحياء تركيباً ليس له عظام ولا اعضاء خاصة ولكنهُ خلية واحدة تقوم بجميع الاعمال اللازمة لحفظ الحياة . ان سطح جسمه مغطى باهداب دقيقة تتحرك حركة منتظمة في جهة معينة فتنتقل بها الخلية من مكان الى آخر في قطرة الماء وهكذا تتمكن من الحصول على ما يغذيها . وهذا الغذاء انما هو من الحيوانات والنباتات الدقيقة جدًّا السابحة في قطرة الماء

والباراميسيوم يتكاثر بالانشطار الى خليتين لا تلبث كل خلية منها بعد الانفصال عن شقيقتها ان تنمو وتكبر حتى تصير مثل الخلية الأصلية في حجمها وهذه العملية — الانشطار فالانفصال فالنمو — قد تحدث من مرتين الى خمس مرات كل اربع وعشرين ساعة فمرعة تزيد او تنقص بحسب ارتفاع حرارة الماء او انخفاضها . فهذه الاحياء من الوجهة النظرية خالدة لا تموت . وكل شطر يمضي حيًّا الى ان تحل به كارثة فتفتله

﴿ حيوان كجرس ﴾ ونمر امام عينك احياء دقيقة اخرى تشبه « الباراميسيوم » في معظم صفاتها ولكنها تختلف عنه قليلاً . هذه ذرات كبيرة من الرمل او قطعة منحلّة من ورقة او نبتة . ولدى التدقيق نرى حيواناً غريباً يشبه الجرس معلقاً بساق طويلة تشبه اسلاك العرائش . هذا هو حيوان «الفورتيسلا» وهو احد الحيوانات الدوّارية . فمه واسع يحيط به شعر غزير قوي يتحرك حركة منتظمة فيحدث في فم الحيوان وحلقه تياراً مستمرًّا من الماء . وهذا التيار يحمل طائفة كبيرة من الحيوانات والنباتات الدقيقة الى معدة « الفورتيسلا » لتتغذى بها . واذا لامست هذا الحيوان فقد نرى في الماء حركة عنيفة نشأت عن حركة الشعر الذي يحيط بالفم ونرى الحيوانات والنباتات وغيرها من محتويات الماء قد حملت قسراً الى الفم المفغور . وحيث ان التيار قوي فانه قد قدراً كبيراً من ذرات التراب التي يحتوي عليها الماء ويصيب جسم « الفورتيسلا » الحساس فتنكمش ساقها فيبتعد الحيوان من منطقة الخطر . فاذا فحصت الحيوان حينئذٍ وجدت ان جسمهُ قد انكمش حتى اصبح مثل كرة ونرى ان شعر فمه قد نام وفمه قد اقفل وبعد انقضاء ثوان على هذا ترتخي الساق ثانية ويعود الحيوان الى مكانه

﴿ حيوان اخضر ذو عين حمراء ﴾ ثم نحدق قليلاً فنرى كائناً اخضر يتصف بصفة تجعله متفرداً بها . وما زال الباحثون في طبائع الاحياء الدقيقة في ريب من حقيقة هذا الكائن أهو حيوان شبيه بالنبات او نبات شبيه بالحيوان . وقد دعوه « يوغلينا » ولكن مكانهُ في شجرة الاحياء لا يزال يحيط به الريب . ان لونهُ الاخضر الآخاذ يضارع لون ازهى النباتات الغريبة الطافية في هذه القطرة من الماء ولكن « اليوغلينا » لا تطفو على غير هدى فان جسمها يدور على محوره الطويل وفي مقدمتها « لسان » طويل يتحرك حركة موجية منتظمة في الماء ليساعد جسم « اليوغلينا » على الانتقال . فاليوغلينا اذا قابلتها بالباراميسيوم تبدو كأنها سائرة دائماً الى هدف معين في خط مستقيم . ونحو مؤخرة الجسم « عين » حمراء زاهية يتبين بها الحيوان النور من الظلام . و« اليوغلينا » خصم تركيب جسمه شبيه بتركيب جسمها ، الاّ انهُ اقصر جسماً واقتم لوناً ، ورؤيتهما في الماء بجسميهما الاخضرين وعينيهما الحمراوين ولسانيهما الطويلين من اغرب مشاهد الطبيعة

ثم هناك حيوان « الاميبا » وهو حيوان نهم خبيث يسعى الى فريسته في تؤدة وحذر ثم يطوقها باذرعه الممتدة من جسمه ويلتهمها . وهو شبيه بكتلة من الهلام الرخو يستطيع ان يمدّ من جسمه اذرعاً تحيط بالحيوانات والنباتات الدقيقة فلا تفلت

السم

لبشر فارسي

جُرْحٌ بَغَى حتى تَسِلْ وسال يُنكِرُ المَلَلْ
لاطَفْتُهُ وكلَّما أتيتُ آسوهُ ثَقُلْ
لَمَّا عَصَى عليَّ فارْفَضَّتْ أساليبُ الحِيَلْ
شَدَدْتُهُ من فَرْطِ يأ سي بِضِمَادَةِ الأَمَلْ
ثمَّ طَبَبْتُ أَمرَهُ حتى حسِبْتُهُ اندَمَلْ

***

واليومَ هبَّتْ ذِكَرٌ الى المُمِيضَاتِ رُسُلْ
عاصِفَةً يَهيجُها سمٌّ غوابِرِ القُبَلْ
لاحَفَّهُ تزاحَمَتْ بينَ ثنايا شُعَلْ
هَوَتْ على جُرحي فَذَابَتْ فوقه ، على مَهَلْ
فانْتَفَضَ الجُرحُ وجَاشَ في مَطاويه النَّمَلْ

ابن شوكتك يا موت !

مينو وصحبه

يقهرون الانيميا الخبيثة بالكبد ومستخلصاتها

قصة رائعة لفتح علمي حديث

لولا اكتشاف بانتنغ [1] لما عاش مينو حتى استطاع ان يقهر الانيميا الخبيثة الفتاكة ويمد في آجال المصابين بها . ففي سنة ١٩٢٥ كانت الاصابة بالانيميا الخبيثة اقوم السبل الى القبر ، لانهُ اذا حكم الاطباء بأنك مصاب بها كان ذلك اقرب الى ختمك من توقيع الحاكم على وثيقة اعدامك

ولكن في سنة ١٩٢٦ اعلن الدكتور جورج مينو Minot والدكتور وليم مرفي ، انهما عالجا خمسة وارتعين مصاباً بالانيميا الخبيثة بادخال الكبد في غذائهم اليومي . كان نجاح العظام في هؤلاء القوم مريعاً لا ينجب كريات الدم الحمر فأصبحوا وهم على حافة القبر ولكن انتغذي بالكبد انقذهم جميعاً من الموت المحتوم . ليستهما العلماء والاطباء الذين تعوّدوا ان يأخذوا المكتشفات من معامل البحث الطبي والعلمي ، محبورة بطابع التجربة والامتحان موسومة بسمة الاسماء اللاتينية والافريقية الطنّانة ؟ ان في هذا التصريح من البساطة ما يدعو الى الريب فيه . ولو انهُ كان صحيحاً لما خفي عن اعلام البحّاث وبصرهم النافذ . فلا تدهش اذا علمت ان المصابين بالانيميا الخبيثة مضوا يموتون بها حتى بعد التصريح الذي اذاعه مينو ومرفي في سنة ١٩٢٦ [2]

***

اذا تتبعت حياة مينو وهو طالب طب في جامعة هارفرد لم تلقَ فيها ما يشكك بأن الرجل مقبل على كشف طبي خطير يحتاج الى جرأة في التفكير واقدام على طرق السبل غير المعبّدة في البحث والتجريب . فقد كان الشاب مينو من اسرة قديمة ميسّرة الحال في بوسطن جرى اقطابها على دراسة الطب فاشتهر منهم والد مينو وعمه في ممارسته وتفوّق ابن عمه في علوم الحياة وصلتها بالنمو والموت . لذلك كانت طريق النجاح المادي ممهدة امام مينو من دون عناء كبير ، وليس ذلك مما يستثير النفوس ويحفز الهمم

ولكنهُ كان نحيف البنية ضعيف الصحة ، فكان توقّد ذهنه ووفرة نشاطه ، باعثاً على القول

---

(١) راجع مقتطف فبراير ١٩٣٤ ص ١٤٤ (٢) مما يغتبط له المقتطف انه نشر خلاصة تصريح مينو بعد صدوره فأنقذ نشره سيدة سورية في مجاهل البرازيل من مخالب الموت (راجع مقتطف يناير) ١٩٢٩ صفحة ٩٩

بأنهُ لابدَّ ان يصاب قبل قليل بمرض خطير لانهُ
واذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الاجسام

فكيف بك اذا كانت النفوس كباراً والاجسام ضعافاً

ولو انهُ اكتفى بممارسة الطب ممارسة لا ترهقهُ لادرك مقاماً لا بأس بهِ بين اقرانهِ في بوسطن . وانما لسبب ، هو من خفايا اغراض الحياة في الناس ، عني هذا الطبيب عناية مفتتن مندفع بامراض الدم على انواعها في الانسان . فاذا رجعنا الى مدوَّنات المستشفى العمومي بماستشوسلس حيث كان مينو يمارس سنة ١٩١٢ وجدنا تعليقات كثيرة مكتوبة بخط يده على الاوراق الخاصة باصابة امرأة فقيرة جرفها تيار الموت فيمن جرف . كان مينو يمرُّ بها كل يوم فيرى وجهها شاحباً تعلوهُ صفرة الموت ، وما كان طبيبٌ يشكُّ حينئذٍ في انها مصابة بالانيميا الخبيثة وانها سائرة الى حتفها لا محالة . كان رقم هذه الاصابة في المستشفى ١٩٠١٨٢ وقد كتب مينو على هامش الورق الخاص بها ما يأتي : — « مع انها كانت جالسة في سريرها ومع انهُ يبدو عليها انها تتمتع بالهواء والنور خارج الحجرة الاَّ انها لا تزال ضعيفة ودمها لا يتغير . . . ومن المؤكد ان ما نحتاج اليه هو معرفة علاج للانيميا الخبيثة »

كان جميع الاطباء يتوقون الى معرفة هذا العلاج . ولكن مينو كان يختلف عنهم في انهُ لم يخطر ببالهِ قط ان تلك المعرفة مستحيلة . فانهُ ما كان يستطيع ان يؤمن بما أشار اليه ذلك الطبيب العظيم السر وليم اوسلر من ان بعض الامراض مستعصية لا يمكن شفاؤها

لم يُضمر مينو انهُ لم يحترم رأياً خيراً كرأي السر وليم ولا حكماً مبنيًّا على الخبرة الطويلة كحكم أديسن Addison الطبيب المشهور ذلك ان أديسن نفسهُ كان قد اكتشف قبل ٦٣ اي سنة ١٨٤٩ هذا الداء الذي يعتري دم الانسان فتنقص كريانه الحمر حتى يصبح دمهُ وكأنهُ سائل شفاف او يكاد يكون شفافاً . وقد وصف أديسن اعراضهُ وصفاً دقيقاً اذ قال : « يشحب الوجه ويصبح بياض العينين لؤلؤيًّا ويتهدل الجسم وينزل ويحسُّ المصاب برغبة في انفاق الجهد ولكن الاعياء وضيق النفس يصحبان كل جهد يبذله » . ومن اقوالهِ في وصفهِ : — « يصاب المريض بتراخٍ عظيم وبالاغماء احياناً وبضيق للتنفس لاقل عاطفة عنيفة تنتابه ، ويعجز عن النهوض من سريرهِ ويشرد عقلهُ ثم يصاب بسكرة الموت ويلفظ نفسهُ الاخير »

[منحت جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٤ ثلاثة اطباء اميركيين هم مينو ومرفي وهويل جزاء لهم على بحثهم في الانيميا الخبيثة وكشف علاج شاف لها هو الكبد وما يستخلص منها]

وتناول الاطباء مدى ٦٣ سنة اعراض الداء من أديسن الى اوسلر وهم عاجزون عن ردّ شبح الموت عن المصابين بهِ . وكلّ ما كان يعزيهم في ذلك ان الطب لم يكشف عن مرض كهذا المرض

يؤيد فيهِ التشريحُ بعد الموت تشخيص الطبيب قبله . فكان الاطباء كانوا على ثقة من اصابة المرضى ومصيرهم ولكنهم كانوا عاجزين عن كشف أية وسيلة لانقاذهم . ويشهد اقران مينو في مستشفى ماستشوستس العام انهُ كان يدقق في فحص كل مريض يعهد اليهِ في علاجهِ كأنهُ المريض الوحيد في المستشفى ، وانهُ كان في حالات الانيميا الخبيثة يبحث ويستقصي كأن شيئاً لم يعرف عن ذلك الداء الفتّاك . وكان من العلم حينئذٍ ان تحسب الدم في اولئك المصابين يحتوي على سمٍّ زعاف يبيد كرياتهِ الحمر فيشفُّ الدم ويشحب المريض ويصاب بسائر الاعراض . ولكن مينو لم ينظر الى الداء الكثيرة العرضية السائدة بل قال ألا يمكن ان يكون الباعث على ذلك اصابة نخاع العظام فلا تنجب كريات الدم الحُمر ؟

لم يكن مينو مبدع هذا السؤال ؟ ولكن النظر الى الموضوع من هذه الناحية لم يكن متفقاً مع اتجاه التفكير الطبي في ذلك العهد . وكان مينو لا يني عن وخز اذرع المرضى بالانيميا الخبيثة لاستخراج دمٍ من عروقهم وفحص محتوياتهِ بالمكرسكوب فيرى الكريات الحمر اقراصاً صغيرة على شريحتهِ . ولاحظ انَّ المصابين بالانيميا تتحسَّن حالهم احياناً فيرى في نماذج دمائهم كريات حمراً تختلف عما ألف رؤيتهُ . فصبغها بصبغ ازرق زاهٍ وتبيَّن خواصَّها التي تختلف بها عن سائر الكريات . ثم لاحظ ان هؤلاء المرضى الذين بدأ التحسن في حالتهم العجيبة قد اخذوا يصنعون فحص دمائهم بدقتهِ المعتادة فوجد هذه الكريات التي كشفها عند التحسُّن قد اخذت تقلُّ رويداً رويداً حتى ادركَ الموت المصابين بعد انقضاء سنتين او ثلاث سنوات على ظهور اعراض الانيميا الخبيثة

وسخر بعض الحمقاء في بوسطن من مينو لتدقيقه في دراسة مرض فرغ الطب من تقرير اعراضهِ

وبعد ما قضى مدة في كلية الطب بجامعة جونز هبكنز وقفها في الغالب على دراسة الدم عاد الى بوسطن واتصل بطبيب باثولوجي يدعى ريط . كان هذا الرجل بارعاً في عمله نافذ البصر في الامراض المختلفة وآثارها في نُسُج الجسم . ولكنهُ كان قليل الصبر يغضب لاقل سبب . وكان مينو يفحص كريات الدم الحمر بمكرسكوبهِ ويرهق ريط بالاسئلة يوجهها اليهِ فيفوز منهُ بعبارات قصيرة تتخللها الفاظ القسم واللعن . ولكن مينو فاز من ريط بملاحظات جديرة بالتدبر ، فاز منهُ بقوله ان الكريات التي تظهرُ عندما تتحسن حالة المصاب بالانيميا الخبيثة ثم تزول بزوال التحسُّن انما هي كريات حديثة السن ، وان نخاع العظام حافل بهذه الكريات ولكن لسبب ما لا تستطيع ان تنمو وتصح كريات حمراً تامة النمو . فلما سأله مينو ولكن لماذا لا يستطيع النخاع ان يفعل ذلك اجابه ريط : —

لماذا ! لماذا ! يا ليتنا نعلم لماذا !

ولكن مينو لم يقنط فمضى في توجيه السؤال ومضى ريط في الردّ عليه ، مغضباً ، محنقاً ، وفي ردوده كلمات كانت كأنها شذور الذهب في نظر مينو وخاصة اذ قال له ريط في احد الأيام ان نخاع العظام التي لا تستطيع ان تولد الكريات الحمر تامة النمو ، اشبهُ شيء بنمو خبيث او نمو سرطاني .... فتأصل هذا القول في فكر مينو .... الانيميا الخبيثة نموٌّ خبيث في نخاع العظام ..

وكان مينو قد بدأ يمارس الطب في بوسطن فاشتهر بين المرضى الذين يترددون عليه ، بأنهُ صديق لمرضاه ، مدقق كل التدقيق في ما يصفه لهم من وسائل العلاج او اساليب المعيشة . فكان اذا وصف لاحدهم المشي قليلاً قبل العشاء يعين له المسافة والوقت والسرعة . او اذا وصف لهم الغذاء يتحرّى كل الدقة في اوزان الاغذية التي يصفها . وكان قوي الذاكرة يتذكر ما يبوح به مرضاه عن أفراحهم واتراحهم فيشاركهم فيها جميعاً ولا ينسى ان يسألهم عنها عند ما يلقاهم . ولو انه مضى في سبيل ممارسة الطب لاصبح من اغنى اطباء بوسطن . ولكنه في ساعات فراغه كان يعود الى بحثهِ القديم في الانيميا الخبيثة

وكان المصابون بها يجيئون اليه متوسلين ألا تستطيع ان تفعل شيئاً يا دكتور ؟ كانوا جميعاً في حالة من الضعف والاعياء يرثى لها . فكان يقول : « ارضى يافلان ان تعمل لك عملية جراحية ؟ ولكننا لا نستطيع ان نعد بشيء . العملية تجربة لك ان تقبلها او ترفضها » . وكذلك ذهب ١٧ مريضاً من مرض مينو الى جراحي بوسطن فعملت لهم عمليات استئصال الطحال . فبدت عليهم على اثرها علامات التحسّن فكثف الدم وكثرت كرياته الحمر مدة من الزمن ... ثم عاد الدم فشفَّ والكريات الحمر فقلّت ، وعاد الاعياء والشحوب السمة الغالبة على اولئك المساكين ، في طريقهم الى القبر

وجرب هو وصديقهُ الدكتور لي Lee حقن الدم من اجسام قوية في عروق اولئك المساكين ، فظهر تحسن في خمسين في المائة من الاصابات التي عولجت كذلك . ولكن التحسن لم يدم اكثر من بضعة اسابيع . وكان الموت نهايتهم جميعاً

ألم يخطىء مينو يوم رفض ان يسلّم من دون وعي باشارة ابقراط العصر الحديث السر وليم اوسلر ، اذ قال ان بعض الامراض مستعص لا يمكن شفاؤهُ ؟ !

***

بعيد ذلك رقي مينو في مدرسة هارفرد الطبية وعهد اليهِ في ادارة الخدمة الطبية في مستشفى هنتنغتن التذكاري حيث عني بدرس المصابين بالسرطان او بامراض الدم الخبيثة . وكان متصلاً كذلك بمستشفيين آخرين علاوة على عيادتهِ الخاصة . ولكنهُ في كل ذلك لم يغفل عن الانيميا الخبيثة ولم ينفكّ يفكر ويتأمل في سرّ نمو الخلايا ، او في سرّ عجزها عن النموّ في بعض الاجسام

وكانت سنة ١٩٢١ سنة خطيرة في تاريخ حياتهِ . اذ احسّ بضعفٍ عام في جسمهِ وبتهتّم غير مألوف في غذائهِ ، وبهمة تفوق همتهُ العظيمة العادية في انجاز ما عليهِ . فواجه الحقيقة ذات مساء في عيادتهِ اذ وقف بوجههِ الشاحب المهزول امام المرآة واخذ في انبوب قليلاً من بوله واضاف اليهِ الكواشف الكيماوية اللازمة وامسك بهِ فوق لهب المشعال ، فثبت له انهُ مصاب بداء البول السكري

كان مينو حينئذٍ في الرابعة والثلاثين من عمره . والرجل في الرابعة والثلاثين اذا اصيب بداء البول السكري كان في حكم المقضيّ عليهِ . فعهد الى احد الاختصاصيين في معالجتهِ فوصف لهُ غذاءً

معيشاً ، فاقبل عليهِ مينو ، رغم ما كان يحسُّ بهِ من الجوع الشديد ، يزن كلَّ كسرة خبز وكلَّ قطعة طعام من الطعام الذي سمح لهُ بهِ . كان يعلم انهُ بدأ يتدهور على سلم الحياة المؤدي الى القبر رغم العناية بغذائهِ . ولكن ذلك لم يقعده عن مواصلة البحث جهة فيما لثة من حراسة القديسين

ولكن لم يطل المطال حتى كشف بالتلمع عن الانسولين لعلاج البول السكري . فاقبل عليهِ مينو فنجا من الموت المحقق ، وعاد اليهِ نشاطهُ وصفاء ذهنهِ . ولكن عنايتهُ بغذائهِ قبل الانسولين كانت قد حملتهُ على العناية بتوجيه الاسئلة الكثيرة الدقيقة المختلفة الى مرضاه عن غذائهم ، وما يحبون وما يكرهون ، حتى لكان صغار الاطباء في المستشفى الذي يديرهُ يقولون هازئين : « ان الدكتور مينو قد اكتشف اليوم ان السيدة فلانة لم تأكل الاسباغ قبل ان تبلغ العاشرة من العمر » ثم يقلبون شفاههم إشفاقاً منهم على عقلهِ

ولكن مينو ما كان يدري حينئذٍ انهُ على وشك ان يكشف كشفهُ العظيم من هذه السبيل . وكيف يستطيع ان يدري ذلك ؟ . يقول احد الحكماء : « كيف تستطيع ان تدعو الكشف كشفاً اذا كنت تعلم ما توشك ان تكشف »

كانت عناية مينو بالغذاء ، وتوجيهِ الاسئلة الخاصة بهِ الى المصابين بالانيميا الخبيثة قد هدتهُ الى حقائق مختلفة غريبة عن اولئك القوم

واذا بهِ يجمع في عقلهِ الباطن طائفة متفرقة متناثرة من الافكار تواردت بعضها في اثر بعض من دون رابط منطقي علمي يربطها .... في البلدان الشمالية تكثر الانيميا الخبيثة .... في البلدان الشمالية تكثر منتجات المواشي من لبن وجبن وزبدة وغيرها .... ولكن سكان تلك البلدان لا يقتصرون طعامهم على منتجات اللبن .... الا يمكن ان تعطي المصابين بالانيميا الخبيثة غذاء نصيب اللبن فيهِ قليل ... هه ! الانيميا الخبيثة تشبه البلاغرا في اعراضها — التهاب في الفم وتلبك في الهضم واضطراب في الاعصاب ..... ولكن جولد برغر اثبت ان اصل البلاغرا الامتناع عن اكل مقدار كاف من اللحم ، او البروتين .... لقد ذكر احدهم ان غذاء غنيًّا بالكبد افاد في مرض القلاع (وبعض اعراضه شبيهة ببعض اعراض البلاغرا) .... وهكذا

واذ كانت تتوارد هذه الخواطر على ذهنه متفرقة ومجتمعة ، طالع كتاباً في الغذاء وقع فيهِ على بعض الفوائد التي تجنى من بروتينات الكبد . فالكبد زادت معدل النمو في الجرذان البيض . وكبد الجرذان البيض اذا أعطيت لحنازير الهند المصابة بالاسكربوط زادت مقدار الهيموغلوبين في دمها وما علاقة الأنيميا الخبيثة بالهيموغلوبين ، أليقل الباثولوجي ربط ان نخاع العظم هو النسيج المريض ؟ وكذلك ظلت هذه الالفاظ وهذه المعاني تتوارد على ذهنهِ متفرقة ومرتبطة — أنيميا خبيثة — نخاع العظم — الكريات الحمر — الهيموغلوبين — الجرذان — خنازير الهند — الكبد — وكانت كلمة الكبد اظهرها وألمعها ، فصار لا يقرأ كتاباً طبيًّا الا ويرى كلمة الكبد مكتوبة أمامهُ

ومضى في قراءة كتاب الغذاء فرأى فيهِ ان مديري حدائق الحيوانات اذا كتفوا بتغذية الاشبال باللحم الاحمر ، نشأ الاشبال ضعافاً وانشأت عظامهم لينة ... فقال مينو: ماذا ؟ عظامهم لا تنمو ... انيميا خبيثة ... كبد ... ولكنهُ ما أتمَّ القراءة حتى رأى انهُ اذا اضاف مديرو الحدائق الكبد الى اللحم الاحمر في غذاء الاشبال نشأت قوية صلبة العود

ثم اطلع على بحث علميّ للدكتور هويل Whipple ومساعديهِ . ذلك ان هؤلاء كانوا قد فتحوا عروق كلبٍ واستنزفوا مقادير من دمهِ ثم خاطوا الفتحة وغذوا الكلب بالكبد فعاد دمهُ طبيعيًّا . ولكن الانيميا التي تنشأ عن فقد الدم ليست أنيميا خبيثة ، وعلماء الطب يعرفون ان شتان بين نوعي الانيميا هذين. وهويل نفسهُ لم يدّع بعد تجربتهِ العلمية ان الكبد تشفي من الانيميا الخبيثة وان كانت تشفي من الانيميا العادية الناشئة عن نزف الدم. وكلّ ما قاله هويل ان قلب الثور وعضل الثور يشفيان الكلب الانيميّ . ثم قال : والكبد المطبوخة تشبه العضل المطبوخ في هذا

وكان مينو يعلم من بحثه الدقيق في غذاء مرضاه ان لا قلب الثور ينجح في شفائهم ولا عضل الثور . بل كانوا قد اطعمهم كلّ هذا ، فلم يدفع عنهم عادية الموت

وكذلك قال في احد الايام لنفذ هؤلاء المرضى بالكبد !

***

لم يجرؤ في البدء ان يغذي مرضى المستشفى بالكبد ، فبدأ بأحد المرضى في عيادته الخاصة . ومن حسن الطالع كان هذا الرجل المصاب بالانيميا الخبيثة ، لا يزال قويّ الشهية للطعام ، وكان كمينو ، ينفذ تعليمات الطبيب تنفيذاً دقيقاً كلّ الدقة

فقال مينو لهذا الرجل في احد الايام ارجوك ان تدخل الكبد في غذائك مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع. واشار عليهِ كذلك بأن يكثر من اكل اللحم الاحمر والخضراوات واتفوا كه وان يقلل من الزبدة والقشدة والحلويات ما استطاع

ولكنهُ قال بعد ما فرغ من كل هذا : إيّاك ونسيان الكبد . يجب ان تأكل الكبد مرتين في الأسبوع

وعاد هذا الرجل الى بيتهِ . وكأن يد القدر ارادت ان تجعله المثل الحي على فعل الكبد في شفاء الانيميا الخبيثة ، فجعلتهُ يستطيب الكبد حيث يتقزز منها اكثر الناس . فأكل منها اكثر مما طلب اليهِ . ونسيه مينو في خلال ذلك لشدة عنايتهِ بغيره من المرضى الذين كانوا اقرب الى حتوفهم منهُ

وكان مينو في عيادتهِ في أحد الأيام اذ قيل لهُ ان فلاناً ينتظر فقال في نفسهِ ، لا بدّ ان يكون مصيرهُ مصير سائر المصابين بهذا الداء الخبيث . فأمر بادخالهِ ، وهو يشفق ان يرفع رأسهُ خوفاً من ان يرى شحوبهُ قد زاد وهزالهُ قد استفحل . ولكنهُ ما كاد ينظر اليهِ حتى صاح دهشاً

— هالو ! فقال الرجل : لا ريب يا دكتور في انني أحسُّ بنشاط عجيب

فقال مينو : وأنا اعلم ذلك . انني أقرؤه في وجهك

قال مينو ذلك وهو مرتاب مضطرب ، لانهُ رأى جماعة من المرضى بالانيميا الخبيثة تتحسن احوالهم خلال فترة قصيرة ، ثم تسوء رويداً رويداً . ولكنه لم يشأ ان يثير مخاوف الرجل بل اكتفى بان قال له « امضِ في الغذاء الذي وصفتهُ لك ولا تنسَ الكبد »

كان ذلك في سنة ١٩٢٣ وفي الطريق جاءتهُ سيدة حالها اسوأ من حال الرجل الذي تقدم ذكرهُ . فوصف لها الوصفة نفسها . وهو يعترف انهُ فعل ذلك وهو لا يؤمن بفائدة الغذاء بل كان معتقداً ان هؤلاء القوم مقضيٌّ عليهم بالموت قضاءً لارادَّ لهُ

وجاء بعد المرأة ثالث ورابع وخامس ، فوصف لهم جميعاً الغذاء نفسهُ . واكبَّ هو على مباحثهِ العلمية . فلما عادوا اليهِ بعد شهر وشهرين وثلاثة اشهر ، وفي خدودهم تورُّد الحياة ، وفي مشيتهم نشاط الصحة ، اخذ نماذج من دمائهم واحصى كرياتها الحمر فوجد الكريات الحمر آخذة في الازدياد ، وعلى أثر ذلك كان يلتفت اليهم ويقول « جربوا ان تأكلوا الكبد كل يوم . زنوا ما تأكلونه منها . وليكن نحو ربع رطل — كل يوم ... » . وعادوا اليهِ بعد اسابيع فقال احدهم لقد عادت شهيتي للطعام . وقال الآخر : لقد زال التقرُّح من لساني . وقال الثالث : احسُّ بالقوة في ركبتيَّ

وكذلك مضى مينو خلال سنة ١٩٢٤ يعالج المصابين بالانيميا الخبيثة ، بغذاءٍ يحتوي على الكبد . . . . « تذكر يا فلان يجب ان تأكل ربع رطل من الكبد كلَّ يوم »

ومع ذلك ظلَّ اتباعهُ ضعيفاً بفائدة هذا العلاج فائدة تامة ، بل ظلَّ يخشى ان يكون التحسُّن الذي في صحتهم تحسناً وقتيًّا . ولكن جاء شتاء سنة ١٩٢٥ ، فوجد مينو انهم كانوا لا يزالون جميعاً على قيد الحياة ، بعد ما كانوا على شفا الموت ، وان القطرة (ملمتر مكعب) من دمائهم في حالة المرض كانت لا تحتوي على اكثر من ٥٠٠ الف كرية حمراء (وعدد الكريات فيها يجب ان يكون ٥ ملايين) اخذت تعجُّ من جديد بهذه الكريات الحمر . فهذه قطرة من دم فلان تحتوي على ثلاثة ملايين كرية ، وهذه قطرة من دم فلان تحتوي على ثلاثة ملايين كرية ونصف مليون ، بل هوذا قطرة من دم هذا الرابع تحتوي على ٤٥٠٠٠٠٠ كرية حمراء ، فحالة دمهِ تكاد تكون طبيعية

ولكن هذا الظفر لم يبطرهُ فحتَّم على مرضاهُ بان يمضوا في تناول الكبد كلَّ يوم ربع رطل منها ومضى هو في مراقبتهم ، حذراً من التمادي في التفاؤل ، ولم يفه بكلمة عن كلِّ هذا لاحد من الناس

واتصل مينو في ذلك العهد بطبيب حديث التخرج من مدرسة الطب يدعى مرفي ، كان يعنى مثله بامراض الدم . فاحبَّهُ . فلمَّح له في احد الايام ان يغذي المصابين بالانيميا الخبيثة في المستشفى الذي يشتغل فيهِ بغذاءٍ مؤلفٍ من عناصر خاصة ، وذكر الكبد فيما ذكر من عناصر الغذاء

فلقي مرفي في طليعة الامر عقبة كؤوداً في سبيل هذه التجربة . ذلك ان مستشفاه لم يأتهِ الا باكباد الثيران ، وكانت قاسية جافة تعافها نفس السليم ، دع عنك نفس المريض . ولكن

مرفي كان يحبّ اكل الكبد ، ويتلذّذ به ، فكان في حماسته هذه خير من يحاول اقناع الغير بتناوله . ومضى مرفي ثمانية اشهر يغذّي مصابي الانيميا الخبيثة بغذاء خاص يشتري من الكبد بحسب تعليمات مينو ، فلما انقضت الاشهر الثمانية ، وشاهد مرفي الذين كان يتوقع لهم الموت ، وقد اصبحوا يرتعون في بحابح الحياة ، تحمّس للامر حماسة الشباب ، وعدّته حماسته الى مدينته ومرشدو مينو

بيد ان مينو ظلّ لا يفوه بكلمة عن الموضوع ، حتى تتجمع لديه الحقائق وتبوّب . ومما يؤثر عنهُ في هذا الصدد انهُ كان عضواً في جمعية من الاطباء تجتمع مرة كل شهر لتناول الغذاء معاً ، وفي فبراير سنة ١٩٢٦ كان ميعاد اجتماعهم في دار مينو ، فتناولوا العشاء وجلسوا بعده يتحدثون ، فالتفت احد الاطباء الى مينو وكان من اقرب اصدقائهِ اليهِ وقال اسمعتَ بذلك العمل العجيب الذي يقوم بهِ احد الاطباء في هذه المدينة ؟ انهُ يعالج الانيميا الخبيثة بغذاء يحتوي على الكبد .. فعرفهُ مينو عن الموضوع بكياسة حتى تجتمع لديهِ الحقائق الكافية للتصريح

وفي احد الايام جاءت امرأة مصابة بالانيميا الخبيثة متبرمة بطعم الكبد وسألت مينو في بساطة : ايلزم ان تكون الكبد مطبوخة ؟ الا يمكن ان تهرس حتى تصير مثل الربّة ثم تمزج بعصير البرتقال فيتناولها المريض شرباً ؟

وما كاد المصابون بالانيميا الخبيثة يسمعون بأن مينو ومرفي شفيا مصابين مثلهم حتى تقاطروا على المستشفى حيث كان مرفي وعلى عيادة مينو الخصوصية ، تقاطروا عليهما ضعافاً هزالاً ، دماؤهم تكاد تكون شفافة لقلة الكريات الحمر فيها ، وركبهم تكاد لا تقوى على حملهم فجاؤهما محمّلين فاقدين الرشد أحياناً . فكان مينو ومرفي يلازمان اسرّتهم ويحقنانهم هريس الكبد في عصير البرتقال بأنابيب ومضوا على ذلك اياماً لا يعرف القنوط الى نفسيهما سبيلاً بلغ المريض من ضيق التنفس او ضعف النبض مابلغ .... وفي نهاية اسبوع على الاكثر كانت ترتد ألقة الحياة الى العينين وقبل نهاية أسبوعين كان المريض يستطيع ان يقف على قدميه ويسير . وفي سنة ١٩٢٦ اجتمع مؤتمر علمي في مدينة اتلانتك سيتي فبسط فيهِ مينو كيف انقذ مصابي الانيميا الخبيثة من الموت بالكبد !

اما باقي القصة فمن شأن الاطباء والبحاث الاختصاصيين . لقد استنبطت كواشف خاصة لاحصاء كريات الدم الحمر الحديثة السن فيقاس بعددها مدى التحسّن الذي يصيبهُ المريض . وابتدعت اساليب لاستخراج مستخلصات الكبد فيتناولها العليل غير متقزز ولا متمنّع . وجرب كاسل تجارب بنفسهِ اثبتت ان معدة الخنزير المجففة تفعل فعل الكبد في الانيميا الخبيثة . وعمد اطباء شركة بارك دايفس الى تجربة كاسل فبنوا عليها مادة الفنتريكولين التي توازي الكبد على الاقل في علاج الانيميا الخبيثة . والمباحث في هذه الناحية لمّا تبلغ نهايتها

ولكن المهمّ في كل هذا ان رجلاً كمينو استطاع ان يتنكّب الطريق التي رسمها العلم ، ببداهة فيها سمة من الالهام فكشف عن فعل الكبد في شفاء هذا المرض الخبيث — انّ مرفي ولا ريب من الروّاد !

مصرع بلبل

لابراهيم عبد الفتاح طوقان

حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل تيارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة او القرية البسيطة ... هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها والوان عيشها . فتجتذبه فيرمي بين أحضانها ويلقي بقياده اليها ، فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح ، وتتقنع نشوتها عن صحو مضى أواه ... فاذا هنالك الافلاس في احد ثلاثة : في المال ، او الصحة ، أو المستقبل ، وكثيراً ما أعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً وهناك الفاجعة الأبدية . . . أما (البلبل) في هذه الحكاية فيرمز الى الشاب المخدوع ، وأما (الوردة) فترمز الى بائعة الهوى والعبث . . . . . ، وأما (الروض) فهو رمز الخانة او الملهى

قَدَرٌ ساقهُ فآواهُ روضاً لم يكن طار فيهِ قبلاً وغنّى
فاستوى فوق أيكةٍ ورمى عيـ ـنيه فيما هناك يُسرى ويُمنى
واذا الروض بهجةُ الروح طيباً وظلالاً ، وفتنةُ العين حسنا
وكأنّ الغدير بين ضلالٍ وهدىً ، كلما استوى او تثنّى
تنحني فوقه كرائم ذاك الدوح منها الجنى ، وكم يتجنى ...
مطمئنٌ يسير تيهاً ، فان رامَ عناق السحور صدّت فجنّا
هكذا يصبح الحبيب المعنّي بعد حين وهو الحبيبُ المعنّى

***

ومضى البلبل الغريب يطوف الروض حتى ازوى محيّا النهار
راح يأوي الى الغصون ولكن كيف يغفو مشرّد الافكار
كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الاثمار والازهار
غير أنّ ليس فيهِ طيرٌ يغني أيّ روض يحلو بلا أطيار
وسرَت فيه رعدة حين لم يلمـ ـس سوى دارسٍ من الاوكار
وبقايا نوافضٍ رخم المو ت عليها ، مخضب الاظفار
اي خطبٍ اصابكم معشر الطير ...؟ وماذا في الروض من أسرار ؟

***

طلع الفجر باسماً إثرَ ليلٍ دونهُ وحشةٌ كهول المنيهْ

تتنزى اشباحه صاحباتٍ طاراتٍ ، اكفُّها دمويهْ
ورجومٌ تذري الغيوم وتهوي كلُّ رجمٍ من الجحيم شظيهْ
وخسوف تحدّث البدرُ فيه بفم الحوت منذراً برزيهْ
ذاك ليل قضى على البلبل المنـ ـكود لولا يدٌ تصدت عليهْ
ملكةٌ عرشها المشارق والتـ ـاج سناها ، أعظِمْ بها شرقيهْ
انقذتهُ فهبَّ يشدو شكوراً مرحاً ، هاتفاً لها بالتحيهْ :

تحية البلبل للشمس

(١)

مليكة النيّراتْ الهة المشرقينْ
الناس في الغاراتْ اليك مدّوا اليدينْ
وأحرفوا في الصلاةْ تعاظم والتجينْ
وقربوا الاعناقْ
ذلي تراقْ

*

(٢)

يا ليل ان الصباحْ رمز حياة الورى
انفاسه في البطاحْ وروحه في القرى
أما رأيت الأقاحْ أفاق بعد الكرى
وضرع الآفاقْ
لثما أفاقْ

*

(٣)

هناك راعي الغنمْ جذلان ، حيُّ الفؤادْ
يرتع بين الأكمْ بهيم في كل وادْ
والناي سبب النغمْ وبشهُ في الوهادْ
كوفرة الأشواق
غبَّ الفراق

*

تسمعَ الطير همه حين غنّى فلّما يستقرَّ همُّ الطروب
ألفَ الروض مفرداً وتولّى عنهُ في روحهِ شعورُ الغريب
مستقلٌّ في الملك، لا من شريكٍ طامع يُتّقى ، ولا من رقيب
مطلقٌ ، يستقرّ عند غير تارة او يقبل فوق رطيب

. . . . .

واذا (وردة) تفيض جمالاً تتهادى مع النسيم اللعوبِ
قد حماها اشواكها مشرعات حولها دون عاثرٍ أو غصوبِ
تمنح العين حين تبدو وتخفى من ضروب الاغراء كل عجيبِ

***

كل قلب لهُ هواهُ ... ولكن ليس يدري متى يجيء زمانُهْ
وهو إمّا في ظل جفن كحيل كامنُ السحر ، راقدٌ افعوانُهْ
أو وراء ابتسامةٍ حلوةِ الثغر ، نقيّ ، مفلّج أقحوانُهْ
أو على الصدر يستوي فوق عرشين . . مكيناً مؤيداً سلطانُهْ
فاذا كان لفحة من جحيم السرجس ... أمل أحكامهُ شيطانُهْ
واذا هبّ نفحة من نعيم الطهر ... قامت ركيزة اركانُهْ
هو ذا الحبُّ فليكن حين يأتيك، بريئاً من كل عيبٍ مكانُهْ

***

صارت الوردة الخليعة للبلبل همّاً ومأرباً يُشقيهِ
حسرةً للغرير أصبح كرباً ما يلاقيه من دلالٍ وتيهِ
شفّهُ السهد واعتراهُ من الحب سقام مبرح يُضنيهِ
مَن رآها وقد تحامل يهوي نحوها ، كيف أعرضت تغريهِ
مَن رأى روحَهُ تسيل نشيداً لاهباً ، لوعةُ الأسى تُذكيهِ
هي (حوّاء) ذلك الخلد فاحذر لا تكونَنَّ أنت (آدمَ) فيهِ
لا تهب قلبك الكريمَ لئيماً تحت رجليهِ عابثاً يلقيهِ

***

هل يرى في ظلال وردته الحمراء سرًّا بدا وكان خفيًّا
هل يرى للطيور فيها قلوباً نبذتهنَّ يابساً وجنيًّا
هل يرى اليوم ما الذي جعل الروض كئيباً من الطيور خليًّا
كم نذيرٍ بدا لعينيه حتى قام شخص الردى هناك سويًّا

سامهُ حبُّهُ شقاءً ولكن نعمة الحبّ ان يكون شقيًّا
والهوى يطمس العيون، ويُنسي في قرار الأسماع منهُ دويًّا
هكذا يسلك المحب طريق الـــخوف أمنًا ويحسب الرشد غيًّا

***

مَنْ ترى علّم البخيلة حتى سمحت ان يقبّل الطير فاها
لم يصدق عينيه حتى اطلّتْ واطالت في ختلهِ نجواها
زاول الروض عند ذلك بالألحان ... فاسمع روايتي عن صداها

نشيد البلبل للوردة

أنشدي يا صبا وارقصي يا غصونْ
وأسقني يا ندى بين لحظ العيونْ
فيك يا وردتي قد حلا لي الجنونْ
انا مني الهوى انت ملك الفتونْ
انشري ما طوت من غرامي السنونْ
كان في أضلعي فروتهُ الجفونْ
أقربي من فمي فخديثي شجونْ...

***

ضمّها الطير مطبقًا بجنـــاحيه ، وعمّت بنفره شفتاها
لم يمتّع بنشوة الحبّ حتى اشرعت شوكةٌ تلظّى شباها
اوردتها قليًا ، اذا رفّ يومًا خافقًا للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما عكستهُ وهّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً اعقبتها روحه طي شهقةٍ معناها :
وردة ... تبهر العيون ... ولكن... كثرة الشم... قد اضاعت... شذاها

نابلس — فلسطين

١ – ألفاظ الغيوم[1] . . . للأستاذ مصطفى الشهابي
٢ – الذرة وأسماؤها . . . للدكتور أمين المعلوف باشا

ألفاظ الغيوم

اذا تكاثف بخار الماء في الجو انقلب ضباباً او سحاباً. ولا فرق بين الضباب والسحاب الا في كون الاول يكون على مقربة من سطح الأرض والثاني يكون في طبقات من الجو مختلفة الارتفاع وكلاهما مركب من ذرات مائية معلقة حجمها صغير جداً قلما يتجاوز قطر واحدتها اثنين في المائة من الملمتر . وربما كان عدد هذه الذرات او النقيطات كبيراً جداً لصغرها . فغرامان منها يكون حجمهما متراً مكعباً، وفيهما نحو نصف مليار ذرة . واشكال الغيم مختلفة كما هو معلوم . وكذا لونه ومقداره وارتفاعه . ومن الغريب ان منظر الغيوم واحد تقريباً في مختلف الاصقاع . ويقول البحارة ان انواعها لا تختلف في اختلاف البلاد . ولهذا تمكن العلماء من تصنيف الغيوم تصنيفاً يصلح اتخاذه في انحاء العالم

وبعد ، قبل ذكر السحب وألفاظها ، تنبيه القارىء الى ان مبحث الغيوم جزء من اجزاء العلم الذي يسمونه بالفرنسية ميتيرولوجيا Météorologie . وهذا العلم قد وضعت له لفظة «الجَوِيّات» كالمعدنيات والطبيعيات . ويمكن أيضاً ان نسميه « علم الجو » و « علم الاجواء » واذا اردنا التطويل « علم الاحداث الجوية » . ولكن اللفظة الاولى هي أصلح الألفاظ لأنها لفظة واحدة يسهل لفظها والاضافة اليها والنسبة اليها وغير ذلك فيقال « الجويات الزراعية » لما يسمى Météorologie agricole و « موقف الجويات » مقابل Station de météorologie وجوياتي او أجوائي مقابل Météorologiste وهكذا

ولنعد بعد هذا الاستطراد الى الغيوم واشكالها فنقول : أول اشكال الغيوم يسمونه سيروس Cirrus وهي سحب خفاف بخارية المنظر تبدو كأنها مركبة من خيوط بيض قطنية متشابكة ومتشعبة على اشكال شتى . وهي أعلى السحب . فأما كنها اذن باردة جداً تجعل ذراتها قطعاً صغاراً من الجليد . ويتضح ان الصفات البارزة لهذا الضرب من الغيوم هي اولاً ارتفاعه ثانياً لطافته ثالثاً تشابكه . ولهذا رأيت ان اصلح لفظ عربي يقابله هو الطُّخَاف والطُّخْرُور . فالأول السحاب المرتفع والثاني السحاب الرقيق . واللفظتان تردان ايضاً بالخاء المهملة

(١) في الالفاظ التي وضعتها لاسماء السحب الانجليزية في «معجم الالفاظ الزراعية» وهذا المعجم لا يزال الذي مخطوطاً

اشكال بعض الغيوم

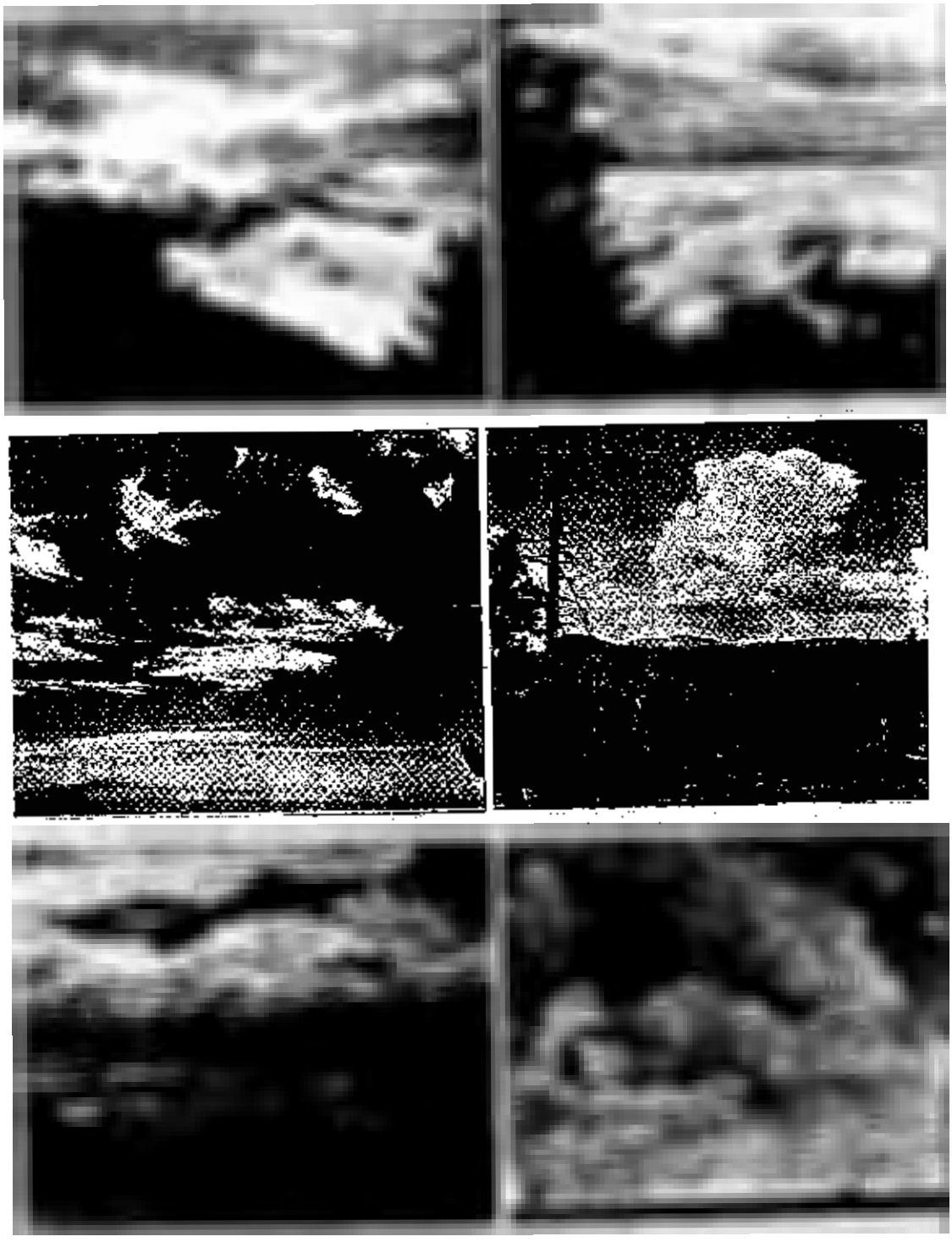

(١) رهل من الصنف النالي وتحته شباب (٢) ممطرة (٣) كثيور (٤) طمرور : صنف شبيه بالريش (٥) فرع (٦) فرع : فوقه وتحته نوعان آخران

(راجع صفحة ٣٨)

الأستاذ هارولد يوري
Harold Urey
الفائز بجائزة نوبل الكيمائية

الدكتور جورج مينو
Dr. George Minot
زعيم الفائزين بجائزة نوبل الطبية

الكاتب الايطالي لويجي بيراندللو
Luigi Pirandello
الفائز بجائزة نوبل الأدبية

جوائز نوبل في العلم والأدب عن سنة ١٩٣٤

والضرب الثاني يسمى Cumulus وهي سحائب بيض كأنها مركبة من كرات متتابعة . يشبهون بها زرم القطن المعلومة او بالدخان الابيض الذي يتدافع من مدخنة القاطرة في بدء سير القطار . وهي تسمى في تجاريفها اي عالمها بتأثير حرارة الشمس وتزداد في كثفها اي اسافلها ولهذا يكون اندفاعها قويًّا كما يكون شكلها وحجمها في تبدل مستمر . وقلما يكون فيها مطر بل تظهر في أيام الصحو وفي الخريف . وربما امّحت سريعاً بعيد تكوينها . وأسميت هذا السحاب القزع فقد جاء في المخصص ان القزع سحاب صغار يتطاير في السماء وقيل هو السحاب المتفرق ومنهُ قزع الخريف . وأسميته ايضاً الخيّر والنفاش لانك تراه يتحرك بعضه في بعض متحيراً ولا يسير

والضرب الثالث يسمونه Nimbus وهي سحائب شهب قاتمة واسعة مطيرة . وأصلح ما نسمي به بالعربية « مُعْصِرة ودُجُنّة » ومعناها معروف وهو مقارب لمدلول اللفظة الانجليزية

والضرب الرابع يُسمى Strabus وهي غيوم قريبة من الارض كأنها ضباب مرتفع . ويقابلها بالعربية « الرَهَل » و « السديم » قال ابن سيده ، الرهل السحاب الرقيق شبيه بالندى يكون في السماء . وقال السديم هو ما كَثُف من الضباب حتى كاد يكون غيماً

هذه هي اهم اشكال الغيوم وهنالك اشكال بَيْنَ بين أقرّها علماء الجويات في مؤتمراتهم منها الآتية :

السحاب المسمى Cirro-stratus وهي طخارير متداخلة بعضها ببعض حتى يكاد يصعب تمييز اجزائها . وتكون كالرداء الابيض لوناً . وهنّ مرتفعات وكثيراً ما يسبقن العواصف والأمطار . ولعل لفظة سَحاحيق (مفردها سِحْحاق) تصلح للدلالة عليها

ومنها السحاب المسمى Cirro-cumulus ويكون امواجاً طوالاً في السماء شبيهة بأمواج البحر . وكأن تلك الأمواج تحمل من غاس ويحين احداها فوق الثانية كما هي الحال في موج البحر تماماً . ولما كان الهواء الطف من الماء كانت امواجه اطول . فالموجة البحرية التي طولها متر يقابلها موجة جوية طولها كيلو متر . والزبد حاشية موج البحر . اما حاشية موجة الجو فضبابٌ مُنقِع . وعلى هذا يكون هذا السحاب كالبحر الجوي منظراً او كصوف الضأن المتماوج . وهو كالسابق من امارات الغيث . والنَمِرَة على ما رأيت اصلح لفظة لهذه السحابة . وفي المخصص النَمِرُ من السحاب قطع صغار متدانٍ بعضها من بعض . وفيه : النمرة ان تراها كجلد النمر من غيم صغار تكاد تتصل . وقالوا أرنبها نمرة أركبها مطيرة . قال وقد بلونا ذلك كثيراً فوجدناه كذلك . انتهى

ومنها المسماة Cumulo-nimbus وهي سحائب متراكمة بعضها فوق بعض كالجبال . ويكون لونها قاتماً في اعاليها والى سواد في اسافلها . والغيث والعاصفة من اماراتها . اسميتُ هذا السحاب المكفهرّ والركام . قال ابن سيده المكفهر الذي يغلظ من السحاب ويركب بعضه بعضاً . وقال في مكان آخر المكفهر من السحاب الذي امتلأ ماء وقيل هو الذي يسوادّ ويصهابّ وتعرف فيه المطر . انتهى .

وارى ان لفظة الكَنَهْوَر تصلح ايضاً لهذا الضرب من الغيوم

وثمة ثلاثة اشكال اخرى من الغيوم اقل شأناً مما ذكر لم نذكرها . ومن البديهي ان في العربية الفاظاً عديدة تدل على السحائب في مختلف اشكالها واوضاعها يراعها الانسان في المخصص وفي غيره . وليست الغاية من هذه المقالة تعدادها بل الغاية منها ذكر اصلح الالفاظ العربية لاسماء الغيوم العلمية وهو ما عرضتهُ على القراء في هذه الكلمة . ويمكننا اختصارها على الصورة الآتية :

جويّات	Météorologie
جويات زراعية	Météorologie agricole
موقف الجويات	Station météorologique
جوياتي . أجوائي	Météorologiste
مُخرور . طَخاف	Cirrus
قَزَع . حَيْر . نَمَاض	Cumulus
مُعْصِرة . دُجُنَّة	Nimbus
رَهَل . سَدِيم	Stratus
سِمحاق	Cirro-stratus
سُمَير	Cirro-Cumulus
مُكفهِرّ . كَنَهْور	Cumulo-nimbus

الذرة الافريقية والذرة الاميركية

اي الذرة البيضاء والذرة الصفراء

في مقتطف اكتوبر الماضي مقالة ممتعة في تاريخ الذرة ونشوء زراعتها وهي تلخيص بحث للاستاذ ايست بجامعة هرفرد وهو يريد بالذرة الذرة الاميركية المعروفة في الشام بالذرة الصفراء وفي مصر بالذرة الشامية وهي دخيلة في الشرق منشأها اميركا الجنوبية كما يقول الاستاذ . اما الذرة المعروفة بهذا الاسم العربي فشرقية نشأت بأفريقية في عهد راسخ في القدم فاذا ذكرنا هذين النوعين من الذرة اوى ان نسمي الذرة المعروفة بهذا الاسم في كتب اللغة العربية بالذرة الافريقية او الذرة البلدية او الذرة البيضاء ونسمي الاميركية بالذرة الاميركية او الذرة الصفراء دفعاً للالتباس. وسيأتي ذكر الاسماء العلمية والانكليزية والعامية في آخر هذا البحث وانما نبدأ في ايراد بعض ما جاء عن الذرة في المؤلفات العربية ثم بعض ما جاء عنها في المؤلفات الاوربية

قال ابن سيده ١١ : ٦٣ « الذرة وهذا الحب يسمى الجاورس الهندي وقيل هي التي مثل رؤوس الأُرْصة فاذا طالت قيل اخرفت الذرة ويقال لسَبَل الذرة المُطر ويقال للذرة المِحجَن وهو حيث

انحنى من الثقل والساق » انتهى . قلت الذرة هي ما يسمى عند العلماء Sorghum وسيأتي ذكره أما قول ابن سيده انها تسمى الجاورس الهندي فهو عين ما يقوله الانكليز في ما جاء في معجم وبستر في مادة Durra ومادة جاورس هندي Indian millet . وأما قوله هي مثل رؤوس الأرضة فان حب الذرة البيضاء مثل رؤوس الارضة المعروفة عند الافرنج بالنملة البيضاء لذلك يسمون الذرة في الشام بالذرة البيضاء تمييزاً لها عن الذرة الصفراء وهي الذرة الاميركية المعروفة في مصر بالذرة الشامية وهذه اميركية الاصل كما تقدم ولم يعرفها العرب . أما قول العامة في مصر ذرة شامية فليس معناه انها شامية الاصل بل لانها نقلت اولاً الى الشام ثم الى مصر . واما تسمية ابن سيده لسبل الذرة بالمطر فيراد سبل الذرة البيضاء لا سبل الذرة الصفراء فسبل الذرة الصفراء لا اسم له بالعربية وعامة أهل مصر تسميه كوزاً وعامة أهل الشام تسميه عرنوساً وهي كلمة دخيلة او تحريف عرناس ذكرها دوزي بمعنى ساق الذرة والذي اعلمه ان عرنوس الذرة الصفراء عند عامة أهل الشام هو سنبولها وهو الكوز عند عامة اهل مصر . وقد ذكر العرنوس بهذا المعنى الأمير مصطفى الشهابي في كتابه الزراعة العملية الحديثة اي ان عرنوس الذرة الصفراء هو الكوز في مصر ولا بأس باستعارة المطر له ولكن المطر سنبول الذرة البيضاء . ثم ان قول ابن سيده انهُ يقال للذرة المحجن فلعله يراد بذلك الذرة المعروفة عند العامة بالعويجة وهي صنف من الذرة البيضاء

وقال صاحب التاج «الذرة كُنْبَة حب معروف اصلها ذُرَوٌ او ذُرَىٌ بالياء والهاء عوض كما في الصحاح وفي التهذيب . يقال للواحدة ذرة وللجماعة ذرة ويقال لهُ ارزن» . انتهى . قلت اما صاحب التهذيب فتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة وصاحب الصحاح سنة ٣٩٠ اي بعده بقليل اي ان اقدم ذكر للذرة بهذا الاسم في ما وقفت عليهِ هو في القرن الرابع للهجرة اي قبل اكتشاف اميركة بزمن طويل فلا يمكن ان تكون الذرة التي عرفها العرب اميركية الاصل فهذه زرعها المصريون في زمن عريق في القدم كذلك العبرانيون فقد ورد ذكرها في سفر حزقيال باسم الدخن ويرى علماء التوراة انهُ الدخن المعروف بهذا الاسم في ايامنا او نوع من الذرة البيضاء وكلاهما قديم في الشرق

ونقل لاين في معجمه بعض ما ورد عن الذرة في كتب اللغة العربية وقال انها نوع من الدخن اي الجاورس وقال ان اسمها في ايامه Sorghum وعند العامة ذرة صيفي وذرة فيظي تمييزاً لها عن الذرة الاميركية وقال هذه اسمها ذرة شامي وذرة كيزان ويريد بقوله العامة عامة اهل مصر لان لاين ألّف معجمهُ في مصر . وقوله هذا صحيح فانهم يسمون الذرة تارة بالذرة الصيفي وتارة بالذرة الصيفية اما الذرة الصفراء اي الاميركية فيسمونها ذرة شامي او ذرة شامية وليس معنى ذلك انها شامية الاصل ولعلها نقلت الى الشام اولاً ثم الى مصر لذلك يسمونها الذرة الشامية

والدكتور شوينفورث رحلة في قلب افريقية وصف فيها الذرة وصف عالم خبير وقال عن الذرة البيضاء انها قديمة هناك وذكر اسمها العلمي وذكر اسماءها العربية وسيأتي بعضها في آخر هذا البحث

اما كلمة Corn فيريد بها الانكليز الحب الذي يصنع منهُ الخبز او الذي هو قوام طعامهم واصلح تعبير له بالعربية حبّ او طعام او عيش وجميعه وارد في اللغة فاذا قال الانكليزي في بلاد الانكليز فانهُ يريد بها الحنطة اي القمح واذا قالها في ارلندة او اسكتلندة فانهُ يريد بها الشوفان واذا قالها في السودان فانهُ يريد بها الذرة البيضاء واسمها في السودان عيش اما الذرة الصفراء فاسمها عيش الريف واذا قالها في اميركة فانهُ يريد بها الحنطة اما الذرة الصفراء فاسمها الانكليزي في اميركة الحب الهندي نسبة الى هنود اميركة الحمر لانهُ طعامهم

ولنذكر في ما يلي الاسماء العلمية لبعض انواع الحب او الطعام وبعض اسمائها الانكليزية والعربية

Millet ذُخن . جاورس . ذُرَة . تُمام

نبات من الفصيلة النجيلية يعرف منه اجناس وأنواع كثيرة منها الدخن المعروف بهذا الاسم في البلاد العربية . والدخن هو الجاورس او ان الجاورس نوع منهُ لذلك قالت العرب ان الدخن الجاورس الهندي كما تقدم وهم يسمون الذرة بالدخن في بعض انحاء اليمن

Panic grass. (Panicum) تمام

جنس من الفصيلة النجيلية يعرف منهُ انواع كثيرة منها الدخن الآتي ذكره

Panic millet or common millet. (Panicum miliaceum) دُخن

حب صغير املس وهو المشهور في البلاد العربية فارسيته جاورس . اما ما جاء في محيط المحيط وغيره من ان الدخن خلاف الجاورس ففيه نظر لان الدخن انواع كثيرة منها الذرة ومنها الحب المعروف في الشام ومصر بالدخن وهو قديم جدًّا فيهما

Italian millet or Bengal grass. (Chaetochloa italica) دخن ايطالي

نوع من الدخن لعله الجاورس وهو من جنس آخر خلاف الجنس الذي تقدم ذكره وكلاهما من حبوب البلاد العربية في ايامنا

Sorghum. Syn. Durra. Indian millet. Guinea corn. Kaffir corn. Millo maize. Egyptian rice. Jerusalem corn. Brown corn. Negro cane. Bushel maize. (Andropogon sorghum.)

ذرة نوع من الحب اسمه في العراق والشام وجزيرة العرب ومصر ذرة ولكن العامة تسميه في مصر ذرة بلدية لانها اصلية في مصر وفي الشام ذرة بيضاء فلهم سموها بذلك بعد دخول الذرة الاميركية اي الذرة الصفراء وهذا النوع من الذرة اي الذرة البلدية اصناف او ضروب منها صنف يعرف في مصر بالعويجاء

Maize or Indian corn. (Zea mays) ذرة اميركية

اسمها في الشام ذرة صفراء وفي العراق ذرة مصرية وفي اليمن ذرة رومية وفي مصر ذرة شامية وفي السودان عيش الريف اي مصر وجميعه يدل على انها دخيلة في البلاد العربية فكانت كل بلاد عربية اللسان تسميها باسم البلاد التي يظن انها جاءت منها لان الذرة قديمة عند العرب واسمها بالعربية ذرة كما تقدم

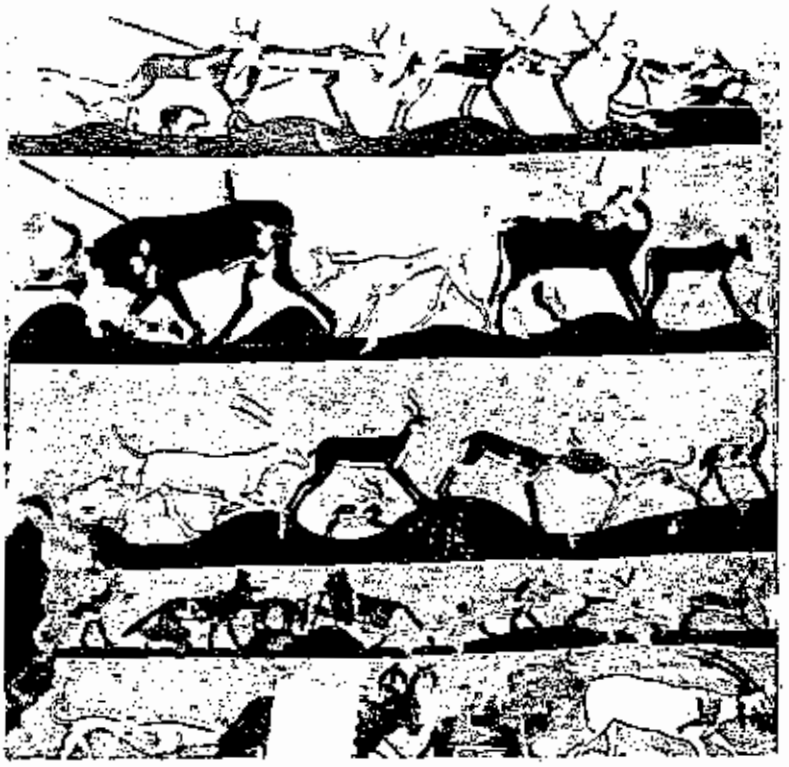

منص في الصحراء

مثيرة (انفوكر) بالاقصر . من عهد الاسرة الحادية عشرة عن كتاب انفوكر لجمعية العاديات المصرية

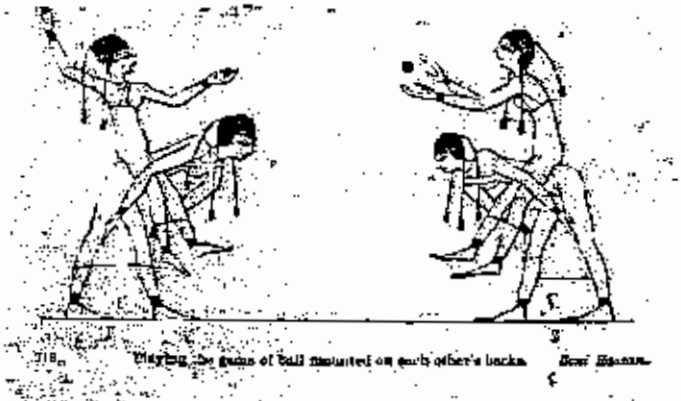

لعبة الكرة بأنواعها

وهي خمسة ورد شرحها في المقال

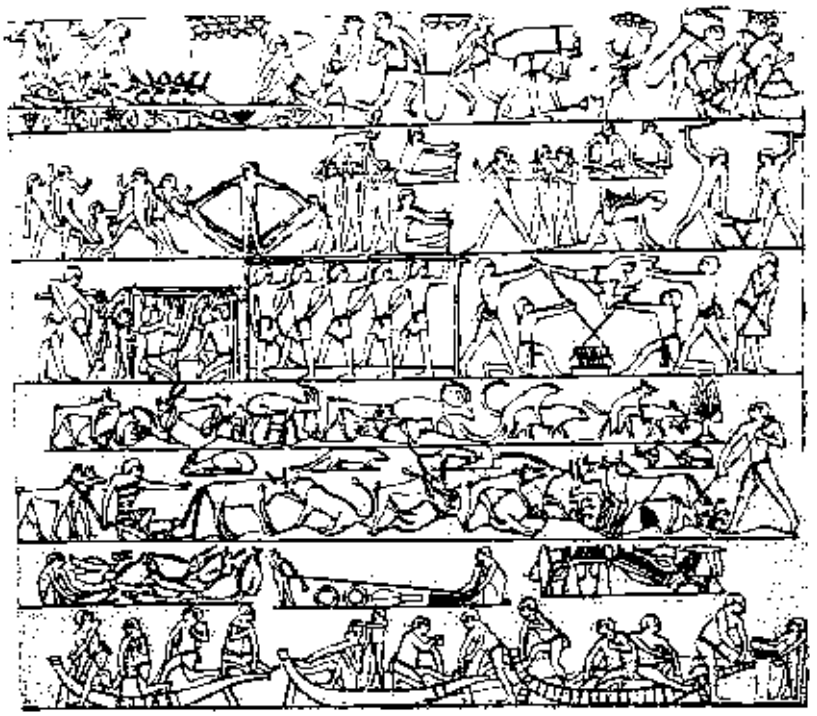

صورة لخائط
في مقبرة
بتاح حوتب
بسقارة حوالي
٣٠٠٠ ق . م .
يمثل الغابا ورد
شرحها في المقال

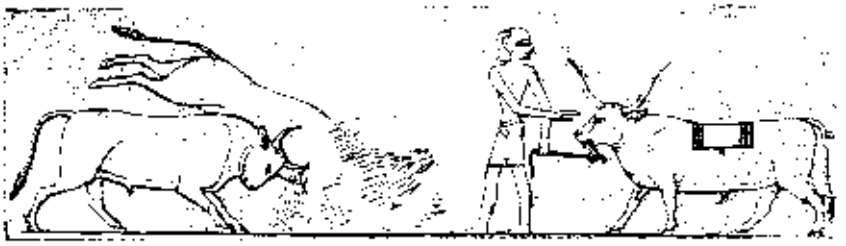

كفاح الثيران
عن ولكنسون

كفاح الثيران . عن ولكنسون

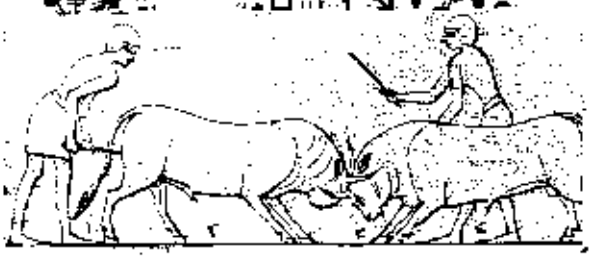

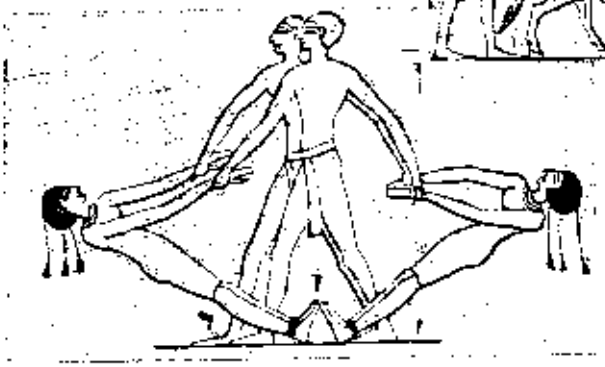

لعبة الالتفاف . من عهد الاسرة
الثانية عشرة . مقابر بني حسن .
عن ولكنسون

الرياضة البدنية

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

أخذ شأن الرياضة البدنية ينمو ويعظم في مختلف بلدان العالم حتى صار لها مكانة كبيرة في جميع النفوس . والمعروف ان هذه الرياضة ظهرت وترعرعت في احضان قدماء المصريين الذين علموها وديعة الى أهالي اليونان . وهناك ظهرت فائدتها وبدأ خطرها ببلدة اولمبيا . ثم انتقلت الى الرومان حوالي عام ١٨٦ ق.م . ثم عمّت اوربا و ميركا وسائر انحاء العالم بعد ان نمي القوم منشأها وأصحابها الاصليين . شأنها في ذلك شأن كل عمل جليل اهمله أهله وذووه . فيأتي الغير وينسبه الى نفسه إدّعاء وبهتاناً . ولا عبرة الآن بالقول والمجادلة بل بالرجوع الى المراجع الأثرية التي لا تزال حافظة لنا اعمال أجدادنا وتعاليمهم . تلك الاعمال التي تحمد للمولى جلّ وعلا على انها نقشت على الصخور فلم يتمكن الدهر من طمسها ولا الغير من سرقتها . بل بقيت ولا تزال قائمة برهاناً ساطعاً على ما قدمه القديم للحديث من درر ولآلىء

الرياضة الصحية

ان الباحث في هذا الموضوع يتحتم عليه فحصه من الوجهتين الطبية والتاريخية معاً . لأن الرياضة البدنية لها مكانتها الصحية خصوصاً عند ذوي المهن القليلة او العديمة الحركة . لكن هذا لا يعني ان الرياضة في العمر وسن الشباب لا تقل فائدة عنها عند البالغين . فالتجارب الحديثة اثبتت ان الرياضة البدنية اذا بدىء بها في سن التلمذة وثابر عليها الشخص بعد ذلك في الحدود الصحية فانها تساعد جسمه على النموّ وتقوي مناعته ضد الامراض . فيجد اللذة في الكدّ والعمل والنعيم في قدح الذهن وبذل المجهود

الرياضة البدنية تحدث انقباض العضلات وانبساطها . وهذه الحركة تستهلك بعض الانسجة وتتطلب ايجاد أنسجة جديدة بدلاً منها . وكلما استعمل العضل ضخم حجمه . وبديهي ان العضلة اذا انقبضت ضغطت على الشرايين والاوردة الدموية والليمفاوية . واذا انبسطت سببت ارتخاءها . فتزداد بذلك سرعة الدورتين الدموية والليمفاوية . او بعبارة اخرى تزداد سرعة حمل الغازات والمواد المحللة الناتجة من المجهود الى الرئتين والقلب والكليتين فتنبههما للقيام بنصيب أكبر للعمل كي يتخلص الجسم منها . وبذلك تحدث الرياضة البدنية اصلاحاً عامًّا

ثم اننا اذا نظرنا الى تأثير الرياضة البدنية في الحجاب الحاجز وعضلات البطن نجدها تفيد الكبد والمعدة والامعاء وذلك بالتدليك وبالضغط فيسهل افراز الصفراء من الكبد والكيس الصفراوي. وينعدم تلبك المعدة والامعاء فلا يصاب الشخص بعسر الهضم ولا الامساك المزمن مثلاً

وقدّر بعضهم ان الانسان الذي يزن حوالي ١٥٤ رطلاً يقوم بمجهود يعادل رفع ما وزنه طن الى قمة جبل متوسط الارتفاع . وأقل من عشر هذا المجهود تصرفه الاحشاء الداخلية كالقلب وعضلات التنفس والمعدة والامعاء لقيام بوظائفها الطبيعية . وعشر آخر يصرفه الجسم في القيام بأعماله المعاشية . والثمانية الاعشار الباقية تصرف في حفظ حرارة الجسم عند الحد الطبيعي . هذه باختصار نسبة تصريف المجهود في العامل . أما الكتّاب وارباب الحرف الفنية والسراة فلا يقومون بمجهود يماثل مجهود العامل . وعليه فيجب ان يعمدوا الى الرياضة البدنية بشكل من الاشكال حتى يمكنوا اجسامهم من القيام بمجهود يعادل مجهود العامل الاعتيادي

والاحجام عن القيام بالرياضة البدنية يحدث تأثيراً سيئاً في الجسم . ففي الاطفال والشبان تمتنع العضلات والعظام عن نموّها الطبيعي . نعم انهم قد يبلغون احياناً الطول الاعتيادي لكنهم يكونون عادة نحافاً ضعافاً . ثم ان عضلات الظهر تتعب بسرعة فيتقوّس العمود الفقري . ولما كانت الاعمال المعاشية تحمل أحد جانبي الجسم يتعب قبل الآخر فان أحد الكتفين ينحط في مستواه عن الآخر فحدثاً تقوّساً بالعمود الفقري الى أحد الجانبين . وعدم تمدد الصدر ينجم من عدم النشاط في التنفس . وهذه الحالة تهيىء صاحبها للاصابة بالدرن الرئوي . وعدم استعمال عضلات خاصة بالجسم كما يشاهد مثلاً في الشلل يحدث تحللاً دهنيًّا في العضلات وتيبساً بالمفاصل المتصلة بها واذا تقدم الانسان في السن وحيا الى الشيخوخة وكان ممتنعاً عن الرياضة البدنية اعتراه الضعف وفقر الدم وعسر الهضم والامساك . والاشخاص الذين لا يروّضون أجسامهم يصابون في متوسط أعمارهم بالبدانة وانحلال عضلة القلب وجدران الاوعية الدموية ورخاوة العضلات

الوجهة التاريخية

والآن وقد ألممنا الى مكانة الرياضة البدنية من الوجهة الطبية يجدر بنا ان نبحث في تاريخها القديم ابتداء من العهد اليوناني لمكانة هذا العهد من وجهة خاصة لان الغربيين ينظرون اليه كمبدأ عهد الالعاب الرياضية لذلك تجدهم ينسبون الى اليونان فخر ابتكار الرياضة البدنية وتشجيعها. وسنرى ان جميع هذه الآراء خطأ . لان الدعاية الكبيرة التي قام بها أهالي اولمبيا باليونان طمست فضل المصريين الذين كانوا قد انحطوا وتشدّدوا ودخلوا في دور الخمول والاستعباد

وعبارة الرياضة البدنية « يقابلها بالانكليزية » Athletic Sports وهي مشتقة من كلمة Athlete التي تعني الشخص الذي يتبارى في الالعاب الرياضية قصد الحصول على جائزة الشرف . وقد اطلقت

اولاً على كل شخص يشترك في مباراة موسيقية او رياضية او خلافها ثم حصرت بعد ذلك في هواة الرياضة البدنية فقط . واقتصرت الرياضة البدنية اولاً في بلاد اليونان على أهالي الطبقة الراقية والمراكز السامية الذين كانوا يتبارون لا لقصد الحصول على جوائز مادية . لكنها بعد ذلك عممت ثم انحصرت في الطبقة الوضيعة

وكان الفلاسفة والاطباء الاقدمون من يونانيين ورومانيين يمقتون هذه الالعاب ويعتبرونها ضارة بالذهن والجسم كما يستدل على ذلك من كتابة Euripides لمقالاته في Actolycus . وعني اليونانيون وقتئذ عناية عظيمة بغذاء الرياضيين حتى كانوا يقصرونهُ على الجبن والتين المجفف وخبز القمح . وتتلخص العاب القوم حينذاك في التمرينات الرياضية المعتادة ورفع الاثقال وثني الاقواس الحديدية والعدو والقفز والمصارعة والملاكمة . وكان القوم يقومون بذلك وهم عراة ويدهنون اجسامهم بالزيت . قال ليفي (جزء ٣٩ — ٢٢) ان الالعاب الرياضية اليونانية أدخلت الى روما بواسطة فولفياس نوبليير Fulvius Nobilier وذلك عام ١٨٦ ق . م . وكانت هذه المهن تعتبر أرقى من مهنة التمثيل لكنها كانت معتبرة مشينة لمقام الروماني . والالعاب الرياضية اليونانية والرومانية كانت ممزوجة بروح دينية في اوائل امرها . ويرى الاثريون ان هذه الالعاب كان لها نصيب واقر في تحسين الاجسام والاذهان ببلاد اليونان كما يستدل على ذلك من كتاباتهم وعاداتهم . واعتبرت الالعاب الاولمبية مرعية في اليونان الى اوائل تاريخهم القديم . واولمبيا هو اسم لبقعة في سهل باليونان يقال له إليس Elis . والالعاب الرياضية فيها ابتدأت عام ٧٧٦ ق . م .

عند قدماء المصريين

نعود الآن الى قدماء المصريين فنقول ان عناية اليونان والرومان بالالعاب الرياضية لم تظهر فجأة بل كانت نتيجة تلقينهم بواسطة المصريين الذين كانوا شديدي العناية بها منذ اقدم العصور قصد المحافظة على صحتهم وتحسين اجسامهم . فالباحث في آثار عهد الاهرام واواسط التاريخ المصري واواخره يجد ان المصريين اتقنوا منذ اقدم العصور المصارعة والمبارزة بالعصي والحركات الجسمانية الرياضية والعاب الكرة وانواع الصيد والقنص ومبارزة الثيران وغير ذلك . وانهم كانوا يجدون في ذلك لذة وسروراً حتى نقشوها على جدران مقابرهم محافظة عليها للدار الآخرة كما نقشوا الدعوات والصلوات الدينية بالقرب منها جنباً الى جنب . والباحث في هذا الموضوع من الوجهة المصرية يجد فيه سروراً كبيراً لانهُ يدلهُ بطريق غير مباشر على كثير من احوال البلاد المعاشية في تلك العصور المتغلغلة في القدم ويظهر له الغامض من جغرافية الاراضي وقتئذ وعادات اهلها وما بلغت معارفهم وفنونهم خاصةً بالصيد والالعاب الرياضية

ولما كانت مصر تروى بالحياض وكانت ايضاً تحوي الكثير من البرك والمستنقعات الكثيرة الطيور

والاسماك على اختلاف انواعها كما كانت الصحارى تفيض بالحيوانات المفترسة المختلفة فانا نجد ان المصريين كثيراً ما كانوا يهتمون بالصيد والقنص في القياني والمستنقعات ويصطحبون معهم أسرهم كي يشتركوا في ذلك السرور وتلك المغامرات . وسنبدأ بحث في الصيد والقنص ثم الالعاب الرياضية التي كانوا يقومون بها داخل منازلهم ثم خارجها

الصيد في البرك

وان تعجب بشيء فاعجب بطباع الانسان الذي كلما زادت حضارته وارتقت مدنيته وكلما زاد في رفاهية حياته ونعيم مسكنه، زاد حنينهُ الى الطرق المعاشية التي تربى فيها اجداده بالرغم مما تتطلبه من عنىً وتقتضيه من نصب . وفي كثير من الاحوال يعمد الانسان وقت سروره وفرحه الى التسلي بألعاب تلك الازمنة القديمة وملاهيها . وليس بين بلدان العالم ما يظهر قيمة هذا الرأي بجلاء اكثر من القطر المصري . فمن اقدم العصور التاريخية نجد السيد المصري مرسوماً على الآثار يصطاد السمك بالحربة ذات الرمحين والطيور بالعصاة الملتوية . هذا بالرغم من ان صيادي تلك العصور كانوا يستعملون في مهنتهم شباك الاسماك ومصائد الطيور . ومعلوماتنا عن مصر القديمة تبدأ من عصر قد وصلت فيه الى درجة كبيرة من المدنية والحضارة . فالغابات الكثيفة المملوءة بالمستنقعات التي اكتظت بها الوادي قبل ذلك صارت في تلك العصور اثراً بعد عين . واصبحت ترى الحقول الزراعية المنظمة . لكن في كثير من الجهات تتخلف البرك والمستنقعات بعد زوال الفيضان السنوي وهناك ينمو شجر البردي بغزارة ويكثر حصان البحر والتمساح والطيور المائية العديدة . وهذه البقاع كانت دائماً مجال حبور وانبساط لأن جمالها الطبيعي جذب قلوب المصريين فصاروا يذهبون اليها كثيراً للصيد والقنص ولم يقتصر الامر على ذلك بل وضع الشعراء والكتّاب في جمالها ورونقها القصائد الرنانة والنثر الفياض

ففي المستنقعات وبين سيقان البردي الجميلة كان السيد المصري يتروّض في قارب صغير قاطفاً أزهار اللوطس صائداً الطيور العديدة بالعصاة الصغيرة الملتوية وقاتلاً بالرمح الطويل حصان البحر او سمك النيل . هكذا كان يحلو السيد المصري في تمضية اوقات سروره

ففي مقبرة رقم ٣ ببني حسن التي يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق.م) من حكم الملك امرأتسن الثاني تشاهد رسوم واضحة واشكالها الآدمية لا تزال محافظة على لونها — وكذلك صور الطيور والحيوانات . ولا يجد الباحث تعباً في معرفة انواع السمك والحيوانات الواردة بالصورة لدقة الرسام ومهارة الحفار . ويشاهد تحت الافريز بيان باسماء والقاب صاحب المقبرة (خنوم حوتب) رئيس اقليم الوعل ورئيس الامراء . وهذا مكتوب في الجهة اليسرى للصورة . وفي اسفل ذلك يشاهد الامير المذكور يصطاد الطير وهو في قارب صغير منحوباً

بزوجته وابنه وسيدة اخرى من عائلته وتابع له . ويشاهد (خنوم حوتب) هذا ايضاً بيده اليمنى على العصاة الملتوية وبيده اليسرى على ثلاثة طيور . وفي المياه اسفل القارب تشاهد عدة اسماك وحصان بحر وتمساح . وتحت ذلك تشاهد جماعة من الصيادين يصطادون السمك وحصان بحر بالشباك تحت ملاحظة رئيس الصيادين (منتوحوتب) .

اما القسم الايمن للصورة فيحوي نقوشاً اسفل الافريز هذا تعريبها « الامير الجليل الكثير الاسماك الغني في الطيور المحب لمعبودة الصيد » . وتحت ذلك يشاهد منظر يمثل (خنوم حوتب) يصطاد سمكاً وهو في قارب صغير مصحوباً بابنه البكر وخادم وقابضاً بيديه على حربة ذات رمحين اصطاد بها سمكتين معاً . واسفل ذلك تشاهد اسماك وحصان البحر وتمساح . اسفل ذلك تشاهد جماعة من الناس في قوارب على سطح المياه . واليك ترجمة النقوش فوق (خنوم حوتب) « التنزه في مستنقعات البردي وبرك الطيور البرية والبحيرات والانهر بواسطة (خنوم حوتب) كبير المتنزهين في القوارب بمستنقعات البردي وبرك الطيور البرية يصطاد الطيور والاسماك . وهو يجلس مختفياً ويطبق الشبكة الطابقة ويصطاد بالحربة ذات الرمحين ثلاثين سمكة . ما احلى يوم صيد فرس البحر بواسطة (خنوم حوتب) » . والرجل الصغير امامه هو الخادم (خنوم حوتب) مميه . والذي خلفه هو ابنه الكبير (نخت) كما يستدل عليه من النقوش اعلا كليهما

هذه الصورة تظهر للقارىء الصيد والتنس في المستنقعات والانهر وهي من ألذ انواع الرياضة التي كان يهتم بها القوم وقتئذ . والذي شاهد الفلم السينمائي المعروف باسم (اسكيمو) يكون قد حظي برؤية طريقة استعمال الرماح في صيد الاسماك باجلى مظاهرها وايضاً صيد الطيور بالرماح على النمط المتبع عند الاسكيمو سكان منطقة القطب الشمالي والتي تقرب جداً من الطريقة المرسومة بالصورة سالفة الذكر

أما الصيد في الصحارى فيرى بوضوح في الصورة المأخوذة من مقبرة (انتفوكر) بالاقصر (أسرة ١١) وهي مكونة من خمسة صفوف وتمثل الحيوانات الوحشية محاطة بالشباك والسهام مصوبة اليها من المخارج بواسطة صيادين وبعض الحيوانات الجبلي يضعن صغارهن من شدة الولع . ويمكن الباحث معرفة انواع هذه الحيوانات كالظباء والوعول والتيتل والثيران الوحشية . ويشاهد استعمال الكلاب السلوقية في هذا الصيد (شكل ١)

الالعاب المنزلية

اما الالعاب المنزلية فعلى عدة انواع أهمها لعب الكرة . وهذه تلعب ايضاً خارج المنازل ويشترك فيها الأطفال والنسوة والرجال ، لكنها ترسم عادة خاصة بالنساء وتلعب الكرة على عدة طرق كما يشاهد في الرسم المأخوذ من مقابر بني حسن (اسرة ١٢) ، الطريقة الاولى وهي العليا تتلخص في صيدتين راكعتين فوق ظهري صيدتين أخريين تتبادلان ثلاث كرات بسرعة

بالتوالي . والتي تحاق في التقاط احدى هذه الكرات تركع لتمتطيها الاخرى وهكذا . وهنالك طريقة ثانية وهي المثلة في اول رسم على اليمين من أسفل وفيه سيدة تقذف بكرة الى أعلا على عدة دفعات مع الاتيان ببعض الحركات الى الامام او الخلف . والطريقة الثالثة وهي المثلة في الطريقة الثانية من اليمين في أسفل الصورة وتتلخص في تقاطع الذراعين وتبادل قذف ثلاثة كرات بالتناوب بسرعة . وهذا الوضع صعب الطراز للغاية . الطريقة الرابعة وتتلخص في قذف ثلاث كرات بالتناوب والذراعان ممدودتان الى الامام . ويشاهد هذا في رسم السيدة الثالثة السفلى من اليمين . ويشترط في هذه الطريقة ان يكون في كل يد كرة والكرة الثالثة في الهواء . الطريقة الخامسة وهي المرسومة في الرسم الأول من اليسار في النصف الثاني وتتلخص في قذف ثلاث كرات بالتناوب الى أعلا والذراعان ممدودتان الى الامام واليدان متقابلتان بشرط ان يكون كرتان في الهواء وكرة في اليدين وهذه حركة ليست بالهينة . والطريقة الاولى أخذها اليونان ولعبوها ضمن ألعابهم واطلقوا على السيدة الراكعة « الخاضعة لاوامر الفائز » واخذ اليونان ايضاً عن المصريين لعبة قذف الكرة الى أعلى مسافة ممكنة والتقاطها في حركة قفز قبل ان تمس رجلان الارض وقد ذكرها (هوميروس) وقال انها لعبت في اليونان بواسطة هالوس Halles ولاوداموس Laodamus

ويلاحظ ان السيدة التي تجلس على ظهر الاخرى في الطريقة الاولى تكون رجلاها مرسلتين الى جانب واحد ، وان الرداء وقتئذٍ يتكوّن من قميص بدون كمّ . ولا يبعد ان يكنّ قد خلعنّ جلبابهنّ الخارجي خصيصاً للقيام بهذه اللعبة

والكرة وقتئذٍ كانت تصنع من الجلد المخيط رأسيًّا قطاً الى قطب كالكرات الحديثة . وكان حشوها الدقيق او التبن . ويقرب قطر الواحدة منها من عشرة سنتمترات . وهنالك كرات اصغر حجماً من هذه اجزاؤها متباينة الالوان كما هي الحال عندنا في بعض الاحيان

***

﴿ لعبة الكرات ﴾ : تتلخص في وضع كرة تحت كوبة من اربعة كوبات . ويراهن احد اللاعبين زميله على اية كوبة تحتوي الكرة . كما يشاهد ذلك في الرسم الذي اورده (روزلليني)

﴿ لعبة « الجديد » ﴾ هي لعبة قديمة تتلخص في تحبيثة حصاة او ما شابهها في احدى اليدين وتخمين احد اللاعبين على اليد الحاوية للحصاة . اما لعبة « الضامة » فكانت معروفة ومنتشرة لكن طريقة لعبها وقتئذٍ لم يتأكد منها بالضبط

ومن الالعاب التي كان القوم يقومون بها داخل منازلهم وخارجها هي ان يجلس شخصان على الارض ملتصقي الظهرين وان يمد كل منهما احدى ذراعيه الى الامام ويؤخر الآخر للخلف . ويبدأ في القيام من الارض بدون لمسها باحدى اليدين والفائز في هذا التمرين هو طبعاً الاول في اتمام هذه الحركة . وتعمل الحركة ايضاً معاكسة بأن يقف الرجلان ملتصقي الظهرين حافظين ذراعيهما

في الوضع نفسه ثم يجتهدان فيمن يسبق زميله في الجلوس على الارض . وقد وردت هذه اللعبة منقوشة على مقابر بني حسن (انبرة ١٢)

ومن اجمل العابهم التي يشترك فيها الجنسان وتجتمع فيها الرشاقة والنظام والسرور هي لعبة الالتفاف وتتلخص في ان يقف شابان احدهما الى جنب الآخر ويمدان احدى الذراعين الى الامام والاخرى الى الوراء . بعد ذلك تأتي فتاتان رشيقتا القوام قصيرتا الملبس فتضعان ايديهما في ايدي الشابين ويلقيا بجسميهما الى الوراء بشكل رشيق مستقيم بشرط تقابل ارجلهما بعضها ببعض . وبالطريقة الاخيرة يمنعان انفسهما من الانزلاق . فاذا ما تم هذا التوازن بدئت حركة الالتفاف الدائري اولاً تدريجاً ثم تزداد بسرعة حتى تبلغ لمح البصر . وغني عن البيان ان هذه الحركة تتطلب مهارة من الجنسين لكنها في الرجلين اكثر منها في السيدتين . فالرجلان يحافظان على التوازن بأيديهما ويراقبان حركة الالتفاف فيبدلان ارجلهما بتناوب لا يتعارض مع سيقان السيدتين . وضفائر الشعر في هذه اللعبة تعطي اثناء الوقوف شكلاً بديعاً اذ كلما زاد الالتفاف سرعة ازداد تطاير الشعر عن الرأسين . واساس هذه اللعبة الاستمرار في بقعة واحدة مستديرة مركزها نقطة تقابل رجلي السيدتين

وهناك العاب اخرى منزلية مثل لعبة الضامة وهي قديمة العهد جداً لا يبعد ان تكون طريقة لعبها قريبة من طريقتنا الحديثة . ولعبة اخرى تتلخص في ركوع شخص وقعود آخرين بالقرب منه قابضين بأيديهما على عدد من ظهر الطاولة . وعلى الراكع تخمين العدد الموجود في يد مخصومة . ويتحتم عليه المكوث في تلك الهيئة الى ان يصيب الحقيقة مرة ما . وهناك لعبة اخرى تتلخص في استخلاص طوق بواسطة عصاة ملتوية يحملها شخصان

الالعاب الخلوية

ولنترك الآن الالعاب المنزلية ونبحث في الالعاب الخلوية التي كان القوم يقومون بها في العراء ويأتون فيها بكل نوع وحركة . وليست هذه الالعاب وليدة عصر مخصوص اهتدينا اليه بل الغريب انها وجدت منقوشة على مقابر عهد الاهرام اي من عهد المملكة القديمة وذلك حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد او ما يسبق الالعاب الاولمبية بالفي سنة وخمسمائة سنة تقريباً . وسأورد للقراء هنا صورة للحائط من مقبرة الفيلسوف العظيم (بتاح حوتب) بسقارة تلك المقبرة ذات الرسوم البارزة البديعة والنسق الجميل والتي جمعت من مناظر حياة القطر المصري الزراعية والمنزلية ما يأخذ الالباب ويبهر العقول . هذه المقبرة هي ككل مقابر سقارة يرجع تاريخها الى عهد الاهرام وهو العهد الذي بدأت فيه المباني الحجرية تأخذ شكلها الضخم ومتانتها البديعة المثال . ففي الصف الاول او الاعلى من الصورة نرى مناظر جمع البردي من المستنقعات وعبر البهائم للمستنقعات حيث توجد التماسيح في انتظار فرائسها . اما الصف الثاني فتشاهد فيه عدة العاب يقوم بها الشبان

يظهر انها كانت تقام في موسم العنب وصنع الخمور . واول هذه الالعاب هو القاء العصي او السهام المدببة الى الارض احتفالاً بالمعبود (شمو) معبود الكروم على الارجح ثم شابان جالسان على الارض مربعي الساقين وقابضين بيديهما على اقدامهما واسفلهما شاب يحمل فوق ظهره طفلين يمسك كل منهما قدمي الآخر فيشبهان قفصين لحمل المحاصيل . وبديهي ان هذا الشاب يقوم بدور دابة كالحمار . بعد ذلك يشاهد شابان واقفان معاً كلٌّ منهما يطوّق عنق الآخر باحدى ذراعيه ويقبض ذراع الآخر بيديه . يظهر من امرهما انهما يقومان بحركة دوران متعاكس يتبادل فيه كل منهما عنق زميله ثم يده . بعد ذلك يشاهد شاب يحمل معطف على كتفيه يتقدم بخطوات واسعة نحو شابين جالسين على الارض مادين ارجلهم الى الامام وواضعين كعب قدم فوق اطراف اصابع القدم الاخرى . وتشاهد فوق ذلك البدان في حالة البسط موضوعتين فوق القدمين . ولا يبعد ان تكون هذه الالعوبة هي المتداولة الآن بين اطفال الفلاحين وهي القفز على ارتفاعات مختلفة تبدأ اولاً بارتفاع يعادل قدماً واحدة ثم قدمين ثم قدمين ويد ثم قدمين ويدين . وان الشخص الذي يعدو أمامهما هو الذي يقوم بحركة القفز على الارتفاعات المذكورة بالتوالي . بعد ذلك يشاهد شاب يعدو على الاربع فوق اكتاف ثلاثة شبان يظهر من أمره انهُ يستمر في هذا العدو كلما تخلص الشاب الثالث واخذ محله امام الشاب الاول وبعد ذلك تشاهد حركة الالتفاف الدائري بشكل غير السابق شرحه مع ملاحظة ان هذه النقوش يرجع تاريخها الى القرن الثلاثين ق . م . والصورة السابق عرضها يرجع تاريخها الى حوالي القرن العشرين ق . م . وتتلخص هذه اللعبة في عمل دائرة من ستة شبان مثبتين اقدامهم بعضها في بعض وملقين بأنفسهم الى الوراء قليلاً ثم قائمين بعملية الالتفاف . وفي هذه الحالة يكون الستة أشخاص مشتركين في حركة الالتفاف غير الحركة اليسابق شرحها تحت رقم ٧ حيث يقوم بالالتفاف سبعة ان دون الشابان . وفوق هذه الرسوم نقوش تعريفها « لف اربع مرات » واخيراً بعد ذلك يشاهد شاب راكعاً فوق الارض يجتهد في القبض على قدم لأحد زملائه الاربعة الذين يشغلونه بوكزه دفعة واحدة في كل الجهات من جسمه . أعلا ذلك نصوص هذا تعريبها : اتركني الكزك . انني اتألم من جانبي . أنا أحسست بك ! »

وفي الصف الثالث يشاهد رجلان يقومان بعملية ري شجرة عنب . وآخران يقتطفان الثمار ويطؤونه بأرجلهم لعصره

وفي الصف الرابع يوضح الصيد والقنص في الصحارى . فالمنظر الاول هو لكلب سلوقي يهجم على كلبين وحشيين . ثم كلب يهجم على وعل . ثم غزالة ترضع صغيرها . ثم سلوقي يقبض على تيتل . ثم عران ثم ابن آوى . وفي القسم السفلي يشاهد رجل قابضاً بحبل على كلبين من النوع السلوقي ويشير بيديه الى اسد يفترس ثوراً وحشيًّا من الفه . ثم كلب يفترس غزالا وآخر يشد وعلاً . بعد ذلك يشاهد نوع من التيتل وثوران وحشيان اقتنص احدهما رجل بطريقة الحبل والانشوطة

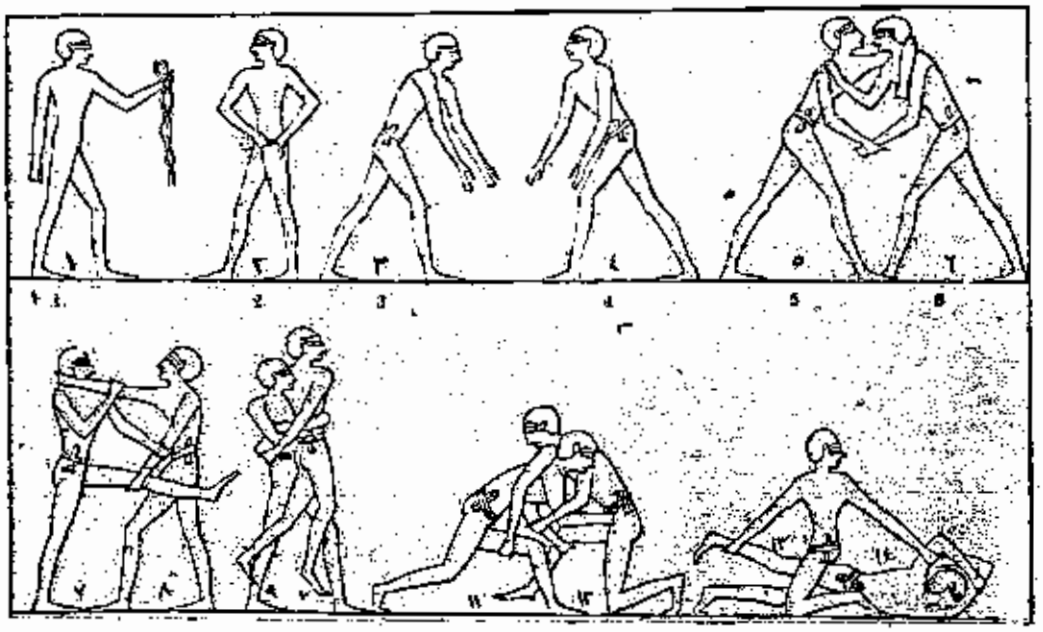

المصارعة
عن ولكنسون . راجع شرحها في مقال
الرياضة البدنية عند قدماء المصريين

مسكة من مسكات المصارعة عند
قدماء المصريين من رسوم مقبرة باكت
بخمرة بطيبة . عن الأسرة الحادية عشرة

الرقص البهلواني
ست حركات عن ولكنسون
في عهد الاسرة الثانية عشرة

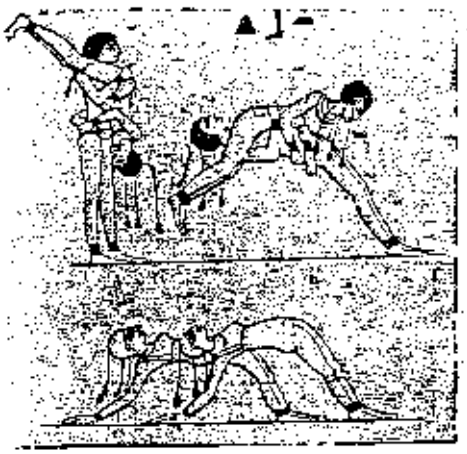

لعبة بهلوانية

رقص يشبه رقص « الباليه »
Ballet عن آرمان ورانكه

لمساة عند الافريج Lunge . ويشاهد الحبل مطوقاً للقرنين والجسد . وعلى بعد من هذا المنظر شاهد غزال جالساً مختفياً . ثم شمس يصطاد . ثم يرجع لاجئاً الى اكمة . ثم فتفذ قابضاً بفمه على صرصار

ويشاهد في النصف الخامس مناظر المعيشة على ضفاف النيل . فالمنظر الاول من اليسار . يمثل دق الاسماك وتجفيفها في الشمس . ويعمل ذلك باستخراج الاحشاء الداخلية ثم القاء السمك على الارض للتجفيف . ثم منظر لرجل وشاب يقومان بلف الحبال اللازمة لصناعة السفن . ثم مناظر صناعة السفن . ويشاهد في النصف السادس صيد الطيور بالشباك الطائرة

الالعاب البهلوانية

اول هذه الالعاب هي الواردة ببني حسن (اسرة ١٢) وتتلخص في ان يحني احد اللاعبين ظهره اكما ثم يأتي ثان ويقوم بحركة القفز والانقلاب على ظهر زميله وهذه الحركة موضحة الرسم بمقابر بني حسن وهي عبارة عن رفع الذراعين الى اعلا والهبوط للانقلاب ثم حني الظهر الى الخلف بعد وضع اليدين على الارض ثم الانقلاب ثم وضع اليدين على زميل وسط الانقلاب والوقوف على ظهر الزميل والقفز الى الارض ورفع الذراع الايسر والقبض على القدم الايمن علامة النجاح وبالقرب من هذا المنظر يشاهد شخص قابض على الجائزة وهي قلادة

وهناك لعبة بهلوانية تقوم بها سيدتان تنحني احداهما الى الخلف وتقبض على جسم زميلتها امامها بحيث تكون رأس الزميلة مقابلة لرجلي الأخرى . ثم تبدأ حركة الدوران فتطأ اكبة الارض بقدميها جاذبة جسم الاخرى معها فينجم عن ذلك ان يكون رأس السيدة المحمولة اسفل وقدماها الى اعلى . ثم تتكرر الحركة تباعاً وبسرعة . واقل ما يقال في هذه الالعوبة انها رهشة وتحتاج الى كثير من رشاقة وقوة عضلات

وكان ثمة لعبة بهلوانية ثالثة يشترك فيها اكثر من سيدة لكنها في الحقيقة قاصرة على واحدة فقط وتتلخص في انحناء الجسم الى الوراء بشكل نصف دائرة بشرط ان يكون مرتكزاً على الارض بقدميه ويديه على ما هو واضح بالصورة

حركات الرقص البهلواني الرشيق الذي كانت تقوم به السيدات احياناً وهو عبارة عن مزيج من القفز والخيلاء . والصورة المرفقة المأخوذة من بني حسن (اسرة ١٢) تمثل ست حركات من هذا النوع . «الحركة الاولى» تتلخص في القفز الى اعلى مع ثني الساقين على الفخذين والفخذين على البطن وتحريك الذراعين الى الامام بشكل جذاب ثم «الحركة الثانية» وهي عبارة عن الرجوع الى هيئة الوقوف على الارض في دلال واضح . ويلاحظ ان قامة السيدة في كل حركة حافظة على الاستقامة والرشاقة ثم «الحركة الثالثة» وهي حالة الوقوف مع الرقص بالاذرع و«الحركة الرابعة» عبارة عن ثني الساق اليمنى على الفخذ والوقوف على الرجل اليسرى مع تحريك الذراعين الى الامام بشكل تعريجي او

تقوّسني . و«الحركة الخامسة» وتختلف عن سابقتها بارسال الذراعين الى الخلف بشكل فتان بديع ثم «الحركة السادسة» وهي الختامية وفيها يتجلى الجمال و رقة واللطفة فتقف السيدة على القدم اليسرى وتنعطف بجسمها قليلاً الى الوراء ثانية ساقها اليمنى على شمالها وباسطة ذراعيها الى الامام بكيفية تظهر بها جمال كل جزء من جسمها الفتان ولعمري ما كان يتجه قلم ذلك الرسام في مثل هذا الموقف اذا كان رسمه على الورق بدلاً من نقشه على الحجر . لكنه رغم ذلك قد تمكن من اثبات رغبته حفراً في جلمود الصخر وأتى لنا بالعجاب فأورد لنا صوراً آية في الجمال والكمال . انظر ايها القارىء الى اللبس التي تلبسه السيدات في هذا المقام فقد روعي فيه اظهار كل محاسن الجسم قدر الطاقة مما يتناسب مع ظروف الحظ والسرور ساعتئذٍ . فالرداء في كل المواقف ما عدا في الحركة الثالثة لا يصل الى الركبتين بل اعلى منهما بقليل مظهراً جمال الساقين والقدمين العاريتين وهو ملتصق ما امكن بالفخذين والبطن واسفل الصدر ومعلق بشريطين رفيعين بالكتفين . والثديان عاريان والذراعان عاريان اعلى والمعاصم قاصر على قلادة بنجيت وخلخال في كل ساق مجيد . اللهم ارزقنا بمختار ثانٍ يظهر لنا بدائع اجدادنا ومفاخر آبائنا مما يطمس بلا شك فخر الغربيين في الرقص واللباس والرشاقة على السواء

ولكن ما لنا ولهذا الرسم فقد اورد لنا هؤلاء الفراعنة رقصاً آخر يقول عنهُ الاستاذان اومان وراتكة انهُ من ادهش الانواع وأقربها الى الحيوية واجلها منظراً واحلاها رونقاً بل واقتها للنفس وأجذبها للقلب . هذا الرقص هو الوارد بمقبرة بدير الجبراوي ويرجع تاريخه الى الاسرة الخامسة (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) . قال الاثريون ان هذا الرقص لا يبعد كثيراً بل قليلاً جداً عن الرقص المعروف عند الغربيين باسم Ballet . وفي هذا الرقص تشترك النسوة في صف طويل مثنى مثنى او رباعي رباعي . وفيه تحني كل فتاة جسمها الى الخلف وترفع ذراعيها واحدى رجليها الى اعلا بشكل خطوط متوازية . فاذا ما انتهت هذه الحركة بدلن الارجل المرفوعة بالاخرى وهكذا والشعر في كل حالة مصنوع بشكل صغيرة واحدة مثقلة في آخرها بكرة القصد منها جعل الخصلة عمودية ما امكن محافظة على النظام واتماماً للرونق والجمال . وبعد الفراغ من هذا الرقص كنّ يتقدمنَ الى المتفرجين ويحنينَ اجسامهن برشاقة قصد التحية . ثم يأتي غيرهنّ للقيام بدورهنّ كما هي العادة الآن عند الافرنج

﴿ الرقص التوقيعي ﴾ وهو الوارد بمقبرة (خيتي) ذات الرقم ١٧ ببني حسن (اسرة ١٢) ويشاهد فيها ثلاثة رجال يرقصون امام ثلاثة آخرين يصفقون لهم بنظام وتؤدة والرجال الراقصون يقومون بحركات اشبه كثيراً بالحركات الجمبازية التي يلقنونها بالمدارس الآن . وهي اولاً مد الذراعين الى اعلا والوقوف بنشاط ثم ثني احدى الساقين الى الوراء عند الركبة . ثانياً بقاء الذراعين ممدودتين الى الامام والمحافظة على حركة الوقوف السابقة مع مدّ الساق الايمن الى الامام ورفعه الى

مستوى الخاصرة . ثالثاً هو ضم الساقين الى جانب بعضهما وبسط الذراعين بشكل افقي للجسم . بعد ذلك يشاهد ثلاثة رجال يصفقون لرميل لهم يقوم بحركة رقص تتلخص في رفع الذراعين الى اعلا بشكل رشيق مع المشي بشكل مخصوص الى الامام او الخلف

﴿ رفع الاثقال ﴾ هذه الالعاب الرياضية البديعة اول من اسسها بشكل نظامي هم قدماء المصريين . وقد أورد الاستاذ روزلليني صورة لذلك يشاهد فيها شخص يتهيأ لرفع الثقل بيده اليمنى . وهذا الثقل عبارة عن كيس محشو رملاً او ما شاكله . وكمية الرمل بطبيعة الحال تقلل وتزاد حسب البداية او التقدم في المران . وشخص ثانٍ يمثل نفس الحركة ولكن بالذراع الايمن . وشخص رابع يمثل الحركة النهائية في رفع الثقل . ويشاهد رافعاً الثقل الى اعلا باسطاً ذراعه الايمن ما استطاع مراقباً توازن الثقل . بعد ذلك تنوعت الاثقال طبعاً الى ان وصلت في عهدنا هذا الى القضبان الحديدية التي تضاف اليها الاثقال في الاطراف تدريجاً . لكن النظرية واحدة والغرض واحد

﴿ المبارزة بالنبوت ﴾ كان هذا النوع من المبارزة ذائعاً بين المصريين الاقدمين كما هو الحال الآن . وكثيراً ما كانت المشاحنات والمنازعات بين القرى يفصل فيها في تلك العصور بالرجوع الى هذا السلاح العظيم . لكن ذلك لا ينفي انهُ كان يستعمل للرياضة البدنية ايضاً خصوصاً وقد وردت لنا صور كثيرة على الآثار تظهر ذلك بوضوح . منها الصورة المأخوذة من مقابر المملكة القديمة (اي عهد الاهرام) . وفيها تشاهد السفن الصغيرة المصنوعة من سيقان البردي وبعض الملاحين يدفعون القوارب الى بعضها ليتمكن الآخرون من المبارزة . وبعد التغلب على الخصم بالنبوت كان الغالب يقذف بالمغلوب في الماء

قال هيرودوت ان رؤوس المصريين اصلب مادة من رؤوس سواهم من الامم . ولا يبعد ان يكون قد استنتج هذا الاستنتاج بعد مناظرة مبارزة النبوت . والحق يقال ان كل من يشاهد معركة حامية يستعمل فيها هذا السلاح لا يبعد كثيراً من الصواب اذا ما وصل في النهاية لمثل هذه النتيجة . وقد اوردت ذكر الصورة لانها تمثل المبارزة في السفن وهي اشد مراساً من المبارزة على اليابسة كما هو بديهي لمن مارس هذه المهنة

﴿ المبارزة بالعصي ﴾ هذه المبارزة اقرب ما يكون من المبارزة الاوربية المعروفة بالشيش او السيف . وهي الاصل بلا مراء في ذلك النوع من الرياضة . ويشاهد ذلك في صورة ذكرها الاستاذ روزلليني . وفيها يقف الخصمان وقفة المبارزة الغربية التي تتلخص في استقامة القامة والميل بها قليلاً الى الامام مع ثني احد الطرفين السفليين والاتكاء على اطراف اصابع القدم الاخرى استعداداً للكرّ والفرّ مما يتطلبهُ هذا الصراع البديع . ويقبض كل فريق عصاه التي يقرب طولها من السبعين سنتمتراً ويلبس في الساعد الآخر درعاً مثبتة بعدة اوتقة مستعرضة . وهذا الدرع يمتد من مفصل الكوع الى اطراف الاصابع . القصد منهُ توقي الضربات به وحماية الطرف المذكور

والرداء القصير يمنع عرقلة الكفاح . ودلائل الانتباه الشديد تبدو في وجهي المصارعين وتكتمل اظهار شدة اهتمام القوم بهذا النوع من الرياضة . ويلاحظ ان اليد القابضة هي العصاة لابسة قفازاً او ما شاكله حماية لها ايضاً من اصابات الخصم كما هو الحال في مبارزة الاوربيين .

﴿ كفاح الثيران ﴾ ولقد القوم كثيراً بهذا النوع من الرياضة واحتفلوا به امام معابدهم الرئيسية كمنف وغيرها وقدموا الجوائز لصاحب انتصار الفائز . لذلك كانوا يسرفون زمناً طويلاً ومجهوداً عظيماً في تمرين هذه الحيوانات بما يتعادل مع عنايتهم بالخيل كما رواه استرابون المؤرخ الشهير وكثيراً ما اشترك الرعاة والفلاحون في هذه المهرجانات لازدياد تحمس الناس والاكثار من افراحهم. ولم يرغم قدماء المصريون اسرى الحروب على كفاح الحيوانات الوحشية والقتال معها كما كان يفعل اهل روما مثلاً . ولم يسمحوا للمبارزين بقتل احدهما الآخر لانهم لم يروا في ذلك سروراً ولا جذلاً . بل اعتبروه امراً مخالفاً للانسانية . والصورة الواردة هنا عن هذا النوع من الرياضة تمثل تمرين الثيران لهذا الكفاح ويشاهد فيها المدرب يشجع دابته على المضي في النطاح تارة بالكلام كما هو واضح بالصورة وطوراً بالضرب والعصاة كما هو واضح بمناظر اخرى

﴿ المصارعة ﴾ كانت هذه الرياضة البدنية من ألذ الالعاب عندهم . وقد وردت بمقبرة (بتاح حوتب) (مملكة قديمة حوالي ٣٠٠٠ ق . م .) مناظر لهذه الرياضة . لكن مقابر بني حسن (اسرة ١٢) تحوي رسوماً لكل وسائل الدفع والهجوم مبينة اوضح بيان . وزيادة في الايضاح رسم الشخصان المتبارزان بلونين مختلفين (احمر واسود) . ويجد القارىء في الصورة الواردة هنا مصارعة واحدة توضح دقائق الامور تساعده بعد ذلك على تطبيقها على سائر المناظر المماثلة. وعلى كل حال فهذا الصراع لا يقدره تماماً الا المصارعون . ولا يعرف الفضل الا ذووه . ففي الصورة يرى القرّاء المصارعين عراة الاجسام . اللهم فيما يتعلق بوضع منطقة صغيرة حول الوسط . ولا يبعد ان يكون المصارعان قد دهنا جسميهما بالزيت او مادة اخرى مشاكلة قصد ازلاق ايدي الخصم وقت القبض على جسم زميله ولكل مصارع الحق في القبض على اي جزء من جسم خصمه سواء كان الرأس او العنق او الرجلين وان يستمر في الكفاح على الارض مدة كما كانت الحالة عند اليونان . وفي مقبرة بني حسن لأمير يقال له (باكت) رسمٌ يمثل ثلث الحائط الايسر وهو عبارة عن اقربز اسفله القاب صاحب المقبرة ودعوات ثم ستة صفوف عليا تمثل مائتين وعشرين حركة مصارعة بين مصريين احدهما ملون باللون الاحمر الفاتح والآخر باللون الاحمر القاتم تمييزاً لاجزاء جسم كل من الخصمين

واختلف الناس في العالم الحديث في تحديد ماهية المصارعة . واختلفوا ايضاً على المباح من المسكات منها والمحرّم لذلك كثرت انواع المصارعة وتعددت قوانينها . لكن الشائع منها الآن هو الذي تمسكت به اوربا نقلاً عن الاغريق والرومان وهو المعروف حالاً باسم «Greco-Roman» ويستعمل في الدورات الاولمبية لطبقة الهواة . لانه في نظرهم الطريقة التي ينجو بها المصارع من

الخطر لانها تقيد المسك فيما فوق السرة بشرط عدم مس الاعضاء الرخوة التي لا تقاوم الضغط لطبيعتها البشرية

اما آسيا فقد تمسكت فيها اكثر اممها بطريقة عدم التقييد في المسك. وعدت اليابان والهند وتركيا على الخصوص المصارعة الحرة من ضرورة الدفاع عن النفس . فاطلقت للمصارعين الحرية في كل انواع الضغط والليّ وما اليهما بجميع اجزاء الجسم . وقد دعى تمسك اليابان بالاباحة المطلقة وانتشار المصارعة فيها على هذا النحو الى الاجماع على تسمية هذا النوع « بالمصارعة اليابانية » وقد كان يعرف باليابان باسم « Jiu-Jutso » وعند الانكليز نوع من هذه المصارعة يعرف باسم «Cornish»

والثابت من الرسوم المنقولة من بني حسن ان المصارعة الحرة بكل اوضاعها وانواعها مصرية الاصل . وان الانصاف تسمية « المصارعة اليابانية » باسم « المصارعة المصرية » والاسم الذي يطلق احياناً على المصارعة وهو « Catch-as Catch-can » لا يحوي معنى النسبة لموطن ابتكار هذه المصارعة

والاوضاع المبينة في رسم مقبرة بني حسن عبارة عن المصارعة الحرة المعروفة بـ Catch as-Catch can ويظهر ان الفوز كان يتم وقتئذ بالقاء الخصم على ظهره فوق الارض بشرط مساس كتفيه لها في آن واحد . وان المصارع وقتئذ كان يستعين برقبته قبل مصارع اليوم في الدفاع عن كتفيه : والحركات المعروضة هي مجموعة لمسكات عدة تتعدى بالتأكيد ما هو موجود الآن مما يدل على ان المصارعة وقتئذ كانت اوسع فنًا وحرية منها الآن

والآن وقد اتضح للقارىء ما قام به سلفنا المجيد الصالح من العاب رياضية شاملة وحركات جسمانية متباينة اقل ما يقال عنها انها اشبه بالحديث ومنتهى ما بلغه القديم . بدأوها واتقنوها . ثم اتى اليونان فاخذوها وفي اولمبيا عرضوها . فادّعى اهل الغرب ان هذه الالعاب يونانية الاصل ونسوا ما لاجدادنا من فضل . والسر في ذلك اضمحلال القطر وزوال مدنيته بعد زهوتها . وغزو الاجانب له واستبدادهم به بعد نشوته وعزته . فصار للاجنبي اليد العليا والكلمة الاولى . وصار المصري مستأجراً مستصغراً فنسي هذا الاخير ثروة اجداده ومخلفاتهم . واخذ هذا الاول لب اخلاقهم واعمالهم . لكن صخور مصر وما تحويه من نقوش جبارتها صمدت كما صمد ابو الهول حوالي الخمسة آلاف سنة . فلما اكتشفت وفحصت ظهر منها العجب العجاب من مدنية عالية واخلاق فاضلة . وبدا لنا نحن الاطباء عجائب الطب والجراحة بكل انواعها . وفوق هذا وذاك ظهرت لنا شدة ولع القوم بتنمية اجسامهم نموًّا صالحاً سليماً لا تشوبه علة ولا ينقصه كمال . بانت لنا انواع الالعاب الرياضية منزلية وخلوية مما جعلتنا نؤمن ونسلّم بان هؤلاء القوم ما بلغوا تلك الذروة في المدنية والحضارة والعلم الا بعد ان اصلحوا اجسامهم واينعوها وعرفوا مقدار الحياة وقيمة الصحة . واثبتوا لنا باوضح صورة صدق المثل القائل بان « العقل السليم في الجسم السليم »

كلمة عن حضارة

جزيرة كريت القديمة

هل هي اطلانتيد الاساطير ؟

لشارل عيساوي

ورد ذكر كريت غير مرة في الالياذة والاساطير اليونانية فقد تحدّث هوميروس عن « كريت ومدنها المائة » وكان اليونانيون يزعمون ان الاله زفس نشأ في تلك الجزيرة وأقام ابنهُ مينوس حاكماً عليها فكان يقابل الاله زفس كل تسعة اعوام ليأخذ عنهُ الحكمة ويعود الى رعيتهِ فيسنّ لهم الشرائع والقوانين. وقد ورد في الاساطير ايضاً ان اثينا كانت ترسل الى كريت سبع فتيات وسبعة فتيان على سبيل الجزية كل تسع سنوات فيبتلعهم مينوتور (الثور الخرافي ذو الجسم البشري) وظلت تدفع هذه الجزية حتى تغلب ثيسيوس البطل الاثيني على مينوتور وقتله

ويقول هيرودوتس ان مينوس (والراجح ان هذا الاسم كاسم قيصر وفرعون لا يشير الى ملك معين بل كان لقباً يلقب بهِ كل من جلس على العرش) جرّد على كاميكوس في صقلية أسطولاً كبيراً وجيشاً جراراً فانتهز بعض القبائل اليونانية فرصة غيابه عن كريت ففتحوها واستولوا عليها وانتهت بذلك المدنية الكريتية العظيمة

ويُستدلُّ مما ذكرناه انهُ كان لكريت تاريخ قديم مجيد غير ان الناس لم يكونوا يعرفون شيئاً عنهُ حتى العهد الحديث لما أخذ هنري شليمان الالماني الشهير يبحث عن آثار المدنية اليونانية في آسيا الصغرى والمورة واخذ غيره ينقب في جزيرة كريت ولعلَّ أشهرهم السر آرثر جون افانس. وقد رفع هؤلاء الاثريون النقاب عن ادوار الحضارة اليونانية القديمة وتحوُّلها فاتضح منها ان المدنية اليونانية التي كان يعتقد كثير من الناس انها قد نشأت فجأة، متصلة بالحضارة الكريتية كما ان النهضة الاوربية Renaissance متصلة بالحضارتين اليونانية والرومانية. وهذا مما يثبت ان الطبيعة لا تعمل قفزاً بل يكون عملها تدريجيًّا كما يقول الرومانيون

﴿سكان الجزيرة وتاريخهم﴾ كان سكان كريت قصار القامة طوال الرؤوس نحاف الخصور سود الشعر والعيون سراع الحركة وبالجملة كانوا ينتمون الى الفرع الذي تتألف منهُ الشعوب القاطنة حول بحر الروم اي انهم كانوا يشبهون كل الشبه اهالي سردينيا وكورسيكا وبعض اقاليم ايطاليا. واللقب الذي لقبهم به اليونان وهو «الرجال ذوو الجلود الحمر» يدل بكل وضوح على انهم كانوا سمر الالوان

وأما تاريخهم فليس عندنا ما يساعد على شرحه شرحاً وافياً لاننا لما نتوصل الى قراءة كتاباتهم التي كانت ارق من الكتابة المصرية . ويرجع ذلك العجز الى اننا لم نعثر حتى الآن على اية وثيقة في اللغتين الكريتية والمصرية او الكريتية والفينيقية وعسى ان نظفر فيما بعد بمثل هذا المستند فنتمكن من الاطلاع على اسرارهم . الاّ انهُ في وسعنا ان نقول ان الجزيرة لم تخضع لسلطة كنوسوس اكبر المدن الكريتية الاّ بعد ردح طويل من الزمن بعاصر طرد الهيكسوس من مصر . اما من الخارج فكانت الجزيرة في غاية المناعة . وابلغ دليل على هذا عدم تحصين المدن فيها . ففي كنوسوس مثلاً لم يجد المنقبون سوى برج صغير لا يزيد قيمته الدفاعية عما يكفي لسدّ غارات القرصان . والواقع ان كريت كبريطانيا العظمى كانت تعتمد على اسطولها العظيم وهي اول من اسس دولة بحرية في التاريخ

ولا نعرف حتى الآن كيف انتهت الدولة الكريتية غير ان آثارها تدل على حدوث ذلك عقب كارثة فجائية . والراجح ان « ميكينا » اكبر المستعمرات الكريتية تبرّمت بحكم مينوس المستبد فخرجت عليه وهزمت اسطوله او على الاقل تملّصت منه فاغارت على كنوسوس وحرقتها الاّ ان مصباح الحضارة الكريتية لم ينطفىء حتى فتح الجزيرة الاغريقيون «الدوريون» في سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد

***

﴿ الزي والنساء ﴾ كانت ثياب الرجال في كريت تشبه ثياب معاصريهم اي انها كانت عبارة عن منطقة للحقوين وحذاء من الجلد ولفة على الساق كلفّة الجنود . وكانوا يرتدون في فصل الشتاء لفاعاً واسعاً ويحمون رؤوسهم بعمامة او قبعة تشبه البيرية (beret) . اما النساء فكنّ يلبسن ثياباً تشبه كل الشبه ثياب الاوربيات كما يظهر لك في الرسوم التي تصحب هذا المقال

وكان اسلوبهم في البناء يختلف كل الاختلاف عن الاساليب المصرية والاغريقية . فبينما كان المهندسون المصريون والاغريقيون يبنون البيوت طبقاً لطراز معين كان الكريتيون يستغنون عن الانسجام ويتوخون الراحة وكثرة النور والهواء الطلق فلم يكتفوا بطبقة واحدة بل كانوا يجعلون البيت من طبقتين او ثلاث طبقات فيبلغ علوه عشرة أمتار او خمسة عشر متراً . وكانت المنافذ مغطاة بالرق الشفاف

واذا ما تأملنا قصر كنوسوس الكبير الفيناه مؤلفاً من عدة غرف مبنية حول فناء واسع يفصل بينها ممرٌّ مسقوف وعلى ذلك كان البناء شبيهاً بخلية النحل . وكانوا يضيئونه بواسطة مساقط نور (مناور) . وليس هناك ما يدل على ان الكريتيين كانوا يفصلون غرف النساء عن غرف الرجال مما يدل على حرية المرأة واختلاط الجنسين عندهم . ولكنّ هناك شيئاً اجدر بالشرح من اسلوبهم في البناء وهو انتظام مجاريهم الذي دهش له المنقبون لانهُ فريد في نوعه لا في تاريخ الشرق القديم فقط بل

في اوربا حتى القرن التاسع عشر . فاذا فحصنا ارض الطبقات العليا في قصر كنوسوس وجدناها منقوبة في غير مكان واحد وليست هذه الثقوب الا آبار صغيرة محفورة في الجدران لجمع الماء وصبه في حوض واسعة مبنية من الحجر ومبطنة بالاسمنت تؤدي الى خزانين كبيري الحجم يسيل الماء منهما الى نهر صغير كان يجري بالقرب من القصر . وكان هذا النظام عينه ينطبق على المراحيض « فكان مينوس يتمتع بميزات صحية لم يعرفها لويس الرابع عشر في فرسايل »

***

وبلغ المهندسون الكريتيون نصيباً وافراً في علم حركة السوائل (الهيدروليكا) بدليل ان الترعة الصغيرة المنحدرة بجانب سلم القصر الكبير ليست مستقيمة بل ملتوية مما يمنع الماء من الجريان بسرعة زائدة والطغيان على السلم . وكانوا ينقلون الماء الى القصر في انابيب من الطين المحروق طرفها الواحد اعرض من الآخر بحيث يمكن ادخال البعض في البعض الآخر . ولكي لا تضغط الانبوبة الضيقة على الواسعة كانوا يلفونها بحلقة خارجية وكانوا يلتقطون طرف الانبوبة العريضة كما (يتضح من الرسم) ثم يلحمونها بالاسمنت

وكانت طرقهم في غاية الاتقان ولم يشهد العالم ما يشابهها حتى ادخل المهندس الشهير مك آدم Macadam طريقته المعروفة في انكلترا ، ويكفي دليلاً على إتقانهم مد الطرقات ان توازن بين الطريق الكريتي الذي يصل قصر كنوسوس الكبير بالقصر الصغير والطريق الروماني على مقربة منهُ . فان الطريق الكريتي يظهر بوضوح امتن واكثر اتقاناً مع ما كان للرومان من شهرة في تعبيد الطرق . ولا تقل شوارع المدن اتقاناً من هذا الطريق اذ كانت محفوفة برصيفين وترعة صغيرة لجمع الماء وتصريفه

﴿ مقام النساء ﴾ كان للنساء مقام سامٍ في كريت وكنَّ يتمتعن بحرية لم تعرفها الاغريقيات والرومانيات . وحسبك دليلاً ان الكريتيين كانوا يعبدون الهةً وابنها الصغير ويرمزون بذلك الى خصب الطبيعة . وكانت حياة كل هذه الالهة مكتظة بالكاهنات

اما عن حياتهنَّ الاجتماعية فكنَّ يشتغلن في الحقول ويمارسن الصناعات كالرجال ويخرجن معهم الى العيد ويتنزهن في العربات دون رفيق او رقيب . واغرب من ذلك انهنَّ لم يكتفين بمشاهدة الالعاب الرياضية بل كنَّ يشتركن فيها فيصارعن ويتلاكمن ويكافحن الثيران مثل الرجال!

﴿ كريت ومصر ﴾ لم تعش مصر منعزلة عن جيرانها — على الضد مما يعتقده الجمهور — بل كانت متصلة كل الاتصال ببلدان الشرق الادنى ولاسيما جزيرة كريت

ولعلَّ بعضهم يظن ان المسافة بين البلادين وهي خمسمائة كيلو متر كانت فوق طاقة سفن ذلك العهد . ولكن لا يفوتنا ان فراعنة الاسرة الثالثة ارسلوا اسطولاً الى سوريا وبعثوا حملة تجارية الى الصومال . أوليس معقولاً اذاً ان شعباً بحريًّا كالشعب الكريتي لا يحجم عن قطع المسافة بين

تمثالان من القاشاني للربة ذات الثعبان وجدا
في كنوسوس
(عن دائرة المعارف البريطانية)

لوحة من القاشاني وجدت في كنوسوس
(عن دائرة المعارف البريطانية)

بعض آثار الفن الكريتي

ثوب كريتي قديم للنساء
يشبه ملابس الاوربيات

نموذجان من صناعة الخزف الكريتية

وعاء عثر عليه في
كنوسوس Cnossus
(عن دائرة المعارف البريطانية)

وعاء وجد في زكرو Zakro
في كريت
(عن دائرة المعارف البريطانية)

جزيرته ومصر وعن ممارسة القرصنة تارة والتجارة البحرية الشريفة اخرى . والظاهر ان التجارة بين البلادين ترجع الى عهد قديم جداً فقد وجدت عدة اوانٍ من النوع الكريتي في قبور بعض رجال الاسرة الاولى . ومن جهة اخرى عثر المنقبون في كريت على عدد يذكر من الطاسات المصرية المصنوعة من الحجر القاسي المسمى بالديوريت . والمعروف عن تلك الطاسات انها لم تصنع الا في عهد الاسرتين الاولين وليس من المحتمل انها نقلت الى كريت فيما بعد لان الشعوب القديمة لم تعلق شأناً كبيراً بتراث اسلافها

وظلت التجارة رائجة بين البلادين حتى انقضاء المملكة المصرية القديمة وابتداء الفوضى التي سادت مصر زمناً طويلاً . ولما زالت الفوضى وجلس ملوك الاسرة الثانية عشرة على عرش مصر استؤنفت العلاقات واخذ كلاهما يتبادل السلع . فقد وجد اناء كريتي في ضريح ابيدوس بالقرب من لوحة عليها اسما «امنححت» و «سنوسرت» وقد صنع الجميع عن الهيكل العظيم الذي بناه امنححت والمعروف بالتيه المصري labyrinth ومن دواعي الاسف انهُ لم يبق لهُ اثر فلا نستطيع ان نوازن بينهُ وبين الدور الكريتية بيد ان وصف هيرودوتس وغيره من المؤرخين والسيّاح يحملنا على الظن بأن منشئهُ اقتبس رسمه مما بلغه من وصف التيه الكريتي

ولما اراد امنححت وسنوسرت ان يشيدا هرميهما أنشآ القرية المعروفة بقاعون واستدلّ بعض المنقبين من كثرة الخزف الكريتي في بعض احياء هذه القرية على ان عدداً ليس بالقليل من الصنّاع الكريتيين الماهرين كانوا يشتغلون في بناء الهرمين ووجد في كريت تمثال مصري من النوع الذي يوضع في الرموس يدل على وجود مصريين في الجزيرة

ولما فتح الهيكسوس مصر نقص مقدار التجارة بين البلدين الا ان المنقبين وجدوا في كريت غطاء صندوق من المرمر منقوشاً عليهِ اسم «خيان» اشهر ملوك الهيكسوس ويزعم بعضهم ان الهيكسوس فتحوا كريت كما فتحوا مصر ولكن هذا الرأي غير معقول ولا ريب لان مصر لم يكن لها أسطول كافٍ لغزو كريت ولا سيما في ذلك الزمن لما كانت دولة ميتوس في اوجها

واخذ المصريون في عهد الامبراطورية يكثرون من الاشارة الى اسم «الكيفتي» . وكثيراً ما تساءل الباحثون ما عسى ان يكون الكيفتي ، ويقول العلامة بيكي ان معنى الكلمة «سكان البلاد التي وراء . . .» وان ذلك يرمز الى كريت التي تقع في آخر «الخضراء الكبيرة» كما كان المصريون يسمون بحر الروم . ومما يرجح هذا الرأي ان الكيفتي كما ترائم مرسومين على جدران قبر «سنموت» وزير الملكة حتشبسوت يشبهون الكريتيين كل الشبه ، وخدم الكيفتي طاحوتمس الثالث خدمات جليلة أهمها نقل الخشب السوري الى مصر . ويقول بعضهم ان اسلوب ميناء القادوس الشهيرة يدل على انهُ كان للكريتيين نصيب كبير في انشائه ولعلهم اوحوا بهذه الفكرة الى المصريين . بل ان جميع المهندسين والملاحظين كانوا ولا شك من كريت ، وغني عن البيان ان تلك الميناء كانت تعود بالفائدة

على التجار الكريتيين دون غيرهم . لكنهم لم يتمتعوا بها الاّ قليلاً لان كنوسوس حرقت ودمرت في ذلك الحين فانقطعت جميع العلاقات بين مصر وكريت ولم يرد ذكر هؤلاء الامرة واحدة في التاريخ المصري القديم اذ يقول رعمسيس الثالث انهُ هزم حملة كبيرة وجهت الى مصر وان « اثركارو » — وهم ولا ريب سكان زكرو احدى مدن كريت — كانوا من أنشط العناصر في جيش العدو

﴿ أثر المكتشفات الكريتية في آرائنا ﴾ لقد احدثت التنقيبات التي أظهرت مدنية كريت انقلاباً كبيراً في ما كان العلماء ينسبونهُ الى الفينيقيين من نصيب في تقدم الحضارة اذ كان الجميع يزعمون انهم هم الذين نقلوا المدنية من مصر الى اليونان ويقول غيرهم ان الفينيقيين استنبطوا الكتابة الحديثة ولم يكن احد يشك انهم اول من صنع الاقمشة مستندين في ذلك الى ان صبغة مدينة صور كانت مستعملة في جميع بلدان البحر المتوسط . واما الآن فاتضح ان الكريتيين كانوا يزاحمونهم في جميع هذه الميادين . اما فيما يختص بالكتابة فقد ظهر ان دور الفينيقيين لم يزد عن تكييف كتابة الكريتيين وجعلها اسهل واقرب منالاً . وهذا مع أنهُ يستحق التقدير إلاّ انهُ ليس بذي شأن خطير اذا ما قابلناهُ بما كان ينسب اليهم

وقد اكتشف في كريت ثلثة مخازن من الصدف الذي كان الفينيقيون يستخرجون منهُ صبغاتهم مما يدل على ان صناعة الصباغة كانت رائجة في تلك الجزيرة ويستنتج مما سبق ان نصيب الكريتيين في عدين اليونان كان أكبر من نصيب الفينيقيين فيهِ . وهكذا قلبت المكتشفات الحديثة آراءنا رأساً على عقب

﴿ هل كريت هي الاطلانتيد ؟ ﴾ وقبل ان نختم بحثنا هذا لا نرى بدًّا من الاشارة الى نظرية طريفة لا يستطيع الباحث ان يهملها من دون ان ينظر فيها وفي اسانيدها . لقد سمع الجميع عن القارة المسماة بالاطلانتيد التي يقال انها غارت في المحيط الاتلانتيكي . ويقول افلاطون ان صولون تحدث عنها مع كاهن مصري فوصفها له الكاهن وصفاً دقيقاً ينطبق كثيرٌ منهُ على كريت . فمن قرأ وصف الكاهن لغرف الحمام ومكافحة النيران الخ يتذكر الحمامات الكريتية والالعاب الرياضية فيها واليك وصف الكاهن لموقع القارة المفقودة : —

« انها كانت تقع بيننا وبين عدة جزائر اخرى واذا ما اجتزت تلك الجزائر وصلت الى القارة التي تحيط بالبحر » فهل يمكن ان يكون وصف كريت ادق من هذا ؟ ولكن يعترض البعض ان الكاهن قال ان الاطلانتيد تقع فيما يلي اعمدة هرقل (اي مضيق جبل طارق) فكيف ينطبق هذا الوصف على كريت

والردُّ على ذلك ان كنوسوس زالت من الوجود قبل ان ابتدأ الفينيقيون يرودون البحار ، وقبل ان طاف بحارة «فرعون نكو» حول افريقيا فكانت كريت اقصى ما يعرفونهُ غرباً اذ ذاك . اما في زمن الكاهن اي بعد هذه الرحلات فقد اصبحت أعمدة هرقل اقصى البلاد التي يعرفونها ولما كان اسلافهم يعتقدون ان الاطلانتيد اقصى بلدان الغرب زعموا ان تلك القارة تقع بعد أعمدة هرقل

العلم والسلاح

نظرات في اسلحة الحرب القادمة

نقلها بتصرف : عوض جندي
[عن مجلة العلم للعلم الاميركية]

صوّر كثيرون من الكتّاب اسلحة الحرب المقبلة وويلاتها صوراً مروعة فتمثّلوا مدناً ضخمة ينهال عليها من الجوّ صيّبٌ من القنابل فيدكها دكاً ، ووصفوا ضحايا الحرب من فريقي المتحاربين وغير المتحاربين على السواء ، يلقون حتفهم بغازات تفوق سمومها مئات اضعاف سموم غازي الخردل والفوسجين[1] . ومثّلوا اهوالها في جراثيم خبيثة تبذر سرّاً وسْط جند الأعداء ، وفي دبابات هائلة تسحق تحت اطواقها الدوّارة الوفاً مؤلفة من الخلق

وتخيلوا الاساطيل الجوية الضخمة ، تحسم الحرب قبل ان يتاح لجندي واحد اجتياز الحدود الى بلاد عدوه . وان المتحاربين سيعولون على جنود صناعية (وهي الاجهزة الكهربائية التي تعمل عمل البشر) لكي تقاتل في الخطوط الحربية الامامية بدلاً من الجنود البشرية . ووصفوا الاسلحة الكهربائية البديعة التي تدمر المدرعات الضخمة وتسحق الجيوش قبل اطلاق اية طلقة نارية دفاعاً عن النفس : فهل اذا نشبت الحرب كانت حقيقةً كما يتصورون؟

يندر بين خبراء وزارة الحربية في واشنطون من يؤيد تلك التخيلات ، ولكنهم يزعمون بان الحرب المقبلة ستكون ، أساليبها ومعداتها مختلفة عنها في الحرب العالمية الغابرة ، ممتازة بالسرعة والمباغتة . ويتوقعون ان تكون الجيوش في الحرب المقبلة اصغر منها في الحرب السابقة مع شدة تدريبها وتزويدها بالاجهزة العلمية من أدوات وأسلحة تيسّر لها زيادة السرعة في تنقلها والشدّة في ضرب عدوّها عند هجومها عليه . اما نصيب الطيارات الحربية في الحروب القادمة فسوف يكون عظيماً

وقد تشعبت آراء الخبراء الحربيين الاميركيين تشعباً كبيراً في موضوع الطيارات ، فضباط اركان الحرب في القيادة العليا يقولون ان الطيارات سلاح خطير مفيد جدّاً بحسبانه سلاحاً واحداً من اسلحة حربية شتّى يراد به مساعدة المشاة على الزحف والظفر ، ومع ذلك فان ضباط الطيران الحربي لا يشكّون في كون تحسن الطيارات المطّرد قد احدث انقلاباً تامّاً في مصير الحرب ، وجعل الجيوش والاساطيل بازائها قليلة الخطر وسوف يكون عليها دون سواها فصل الخطاب في الحروب القادمة

وكان تلك آراء التي اذاعها الجنرال دوهيه الايطالي الجندي العالم الذي توفي سنة ١٩٣٠ بشأن الحرب الجوية صدًى عظيم عند رجال الحرب الاميركيين الذين يعنون بالجو ، كما كانت موضع اهتمام

(١) الفوسجين مزيج من اوكسيد الكربون وغاز الكلور وقد استعمل هذان الغازان في اواخر الحرب الكبرى

غيرهم من اقطاب الحرب في الدول الأخرى . أدرك دوهيه ، لمّا كانت الطيارات لا تزال في دور الاختبار ، انها سوف تصير عاملاً جوهريًّا من عوامل الحروب القادمة . وما وضعت الحرب العالمية اوزارها حتى اخذ يبثّ فكرة استقلال القوة الجوية وتحررها من سيادة القواد البريين والبحريين قائلاً «متى نشبت نيران الحرب ، وجب على كل دولة حشد قواتها الجوية واستخدامها توًّا دفعة واحدة لكي تكفل لنفسها السيادة الجوية . وينبغي لسلاح قاذفات القنابل لتستطيع حماية نفسها حينما يهاجمها العدو . أما قوات العدو الجوية فيجب تدميرها بقذف القنابل على حظائرها ومصانعها وهذا خير من مقاتلة طياراته . ومتى احرزت اية دولة السيادة في الجو ، تمكنت من قذف القنابل على مدن عدوها وعلى مراكز تدريب جنوده وعلى طرق النقل فتوهن عزيمة الشعب حتى تحمله على التمرد على الحرب» . ومع ان الدول لم تتبع ارشادات دوهيه برمّتها . بيد ان ايطاليا وبريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا والمانيا قد تشدّدت رأيه الخاص باستقلال القوة الجوية عن السلطتين البرية والبحرية . اما الولايات المتحدة واليابان فهما الدولتان الوحيدتان الحربيتان اللتان تخضع قواتهما الجوية لسلطتي الجيش والاسطول وتدل الانباء الواردة من عدة دول على ان خبراءها الحربيين يخشون الهجوم الجوي على حواضرهم . وقيل ان في مدينة لندن مكانًا عميقًا تحت سطح ارضها في مكان سري محظور البوح به ، لا تؤثر فيه القنابل ولا الغازات الخانقة ، سيجعل مقرًّا لوسائل الدفاع التي تتخذ لحماية الحاضرة البريطانية من هجوم الاعداء . وقد شرعت السلطات الحربية والبلدية في طوكيو وغيرها من المدن اليابانية في اتخاذ الوسائل الكفيلة بصون مصانع توليد القوة الكهربائية وموارد المياه ونحوها من المرافق الوطنية الجوهرية من الغارات الجوية . وتجدُّ فرنسا في اختراع احكم الاساليب لحماية سكانها من الغارات الجوية . ولا يرتاب ضباط سلاح الطيران في كون الغارات الجوية الشعواء على الحواضر ستكون مظهراً من مظاهر الحرب القادمة في مطلعها . ويؤكدون ان باريس وبرلين ولندن وروما وطوكيو جميعًا قريبة المنال ممن يتاوئها من قواعده الجوية . ويرون ان اية غارة جوية على مدينة من المدن الكبرى قد لا تدمرها بأسرها بوابل من القنابل الشديدة الانفجار وربما لا تعدو مناطق محدودة . ولكنها تتوخى في الغالب شلّ الحركات الحربية التي تدور فيها . ويصرّ ضباط أسلحة الطيران على القول ان الغارات الجوية التي من هذا القبيل اذا شُنَّت على منطقتين او ثلاث مناطق منعزلة في مدينة كنيويورك او لندن لا بدّ أن تثبط عزائم السكان تثبيطاً تامًّا ولا يبعد ان تضرم النار في المدينة برمّتها وتحرقها حرقًا

وما من خبير حربي يرتاب في امكان حشد الطيارات للغارات الجوية في كثير من الاحوال على المدن العظمى ، ويندر منهم الذي يظن ان ذلك لن يحدث . بيد ان كثيرين من المعنيين بدراسة الحرب الحديثة يستبعدون تحقق نبوءات الخبراء الذين يؤولون التأويلات الخاصة بالحرب الجوية وما يعقبها من الخراب وينكرون شدة تأثيرها في عزائم الجمهور غير المحارب ، تأثيراً يوجب اهتمامهم بها مستندين

في ذلك أن ان الغارات الجوية في الحرب العالمية مع عنفها أثبتت ان غير المحاربين قلما يذعرون منها

ومع ذلك فقد زيدت أحجام القنابل الجوية منذ الحرب العالمية زيادات مفرطة . والمعروف ان أضخم قنبلة القيت فيها على مدينتي لندن وباريس لم تزد على ٦٦٠ رطلاً . اما الآن فان خبراء الغارات الجوية يجيزون صنع قنابل زنة الواحدة طنان . وذلك عقب ظفرهم بجعل الوزن القياسي القنبلة طنًّا واحداً . فاذا سقطت قذيفة منها على الارض فانفجرت ، حفرت فوهة قطرها ٥٧ قدماً وعمقها ١٩ قدماً . ولكنها لا تستطيع التغلغل في المباني الحديثة المشيدة بالفولاذ والبرقاء (الاسمنت المسلح) . على ان الرعب الذي يستولي على سكانها من صدمة القنابل قد يقضي عليهم جميعاً ، وان بقيت الصروح قائمة . ومما لا جدال فيه انهُ ليس لدولة من الدول في الحالة الراهنة طيارات حربية كافية لحمل القنابل الشديدة الانفجار التي تستطيع بها تدمير مدينة كبيرة بمحتوياتها . الاّ ان القنابل المحرقة ولا سيما المحتوية منهـا على « الترميت » اعظم خطراً من سواها . والترميت خليط من مسحوق الالومنيوم واوكسيد الحديد . فاذا رفعت درجة حرارة جانب صغير من حشوة القنبلة بواسطة الكبسولة التي تشعل البارود في الخرطوشة ، تولد تفاعل شديد يصهر الحديد فيسيل كأنهُ سائل متوهج . واذا خلط الترميت بمادة شديدة الانفجار ، استطاعت القطعات المصهورة المنطلقة منهُ ، اختراق الفولاذ ، فالطيارات التي تلقي قنابل ترميت من زنة ١٠٠ رطل على احدى المدن ولا سيما في يوم عاصف تحدث حرائق شتى تعجز جميع مضخات الحرائق فيها عن مكافحتها

اما استعمال الغاز السام في القتال فمحظور وفقاً للاتفاقات الدولية . فاذا خطر لاحدى الدول نقض عهدها والاقدام على استعماله كان سلاحاً خطيراً جدًّا في الحروب المقبلة

ولكن يظهر ان الفائدة المعزوَّة اليهِ مبالغ فيها لان خبراء الحرب في الولايات المتحدة الامريكية يقولون إنهُ لم يخترع غازٌ سامٌّ جديد من عهد انتهاء الحرب العالمية الى الآن ، وما زال غاز الخردل اشد انواع الغازات القتاكة التي يحتمل استعمالها كسلاح كيميائي في ميادين الوغى

ومما لاريب فيهِ أن غاز الخردل سيستعمل في الاغارات الجوية على المدن . فتتمكن طيارة واحدة من حمل مقدار منهُ يكفي مثلاً لقتل سكان مدينة نيويورك على بكرة أبيهم اذا استهدفوا لاستنشاقه وذلك متعذر بفضل الاحتياطات التي شرعت الدول في اتخاذها على ما جاء بهِ الانباء العامة

وقدَّر الباحثون غاز الخردل الذي استهلك في الحرب العالمية باثنى عشر الف طن ، قتل بها ٦٠٠٠ نفس واصيب ٣٥٠٠٠٠ نفس باصابات مختلفة . اما الآن فلا يمكن قتل جندي واحد بأقل من طنين من اجود انواع ذلك الغاز الفتَّاك في المتوسط . لأنهُ اذا دُرِّب اهل مدينة من المدن على ملازمة ثبات الجأش عند نزولهم من الجوّ ، واستعمال الوسائل الواقية — والمعروف ان سكان معظم المدن الاوربية يُدرَّبون كل يوم على اساليب توقيها — كانت نتائج الغاز الخردلي الذي تطلقه الطيارات من قنابلها طفيفة ، وضحاياه يسيرة . وذلك بأن يختبىء السكان في الطابق الثاني من

دورهم لان غاز الخردل يستقر على مقربة من سطح الارض فلا ينحقهم منه اذى ضرر ولا يخرجوا حتى يُغسَل عن سطح الارض ويزح الى المجاري العامة وذلك بصب المياه الغزيرة

وثمة غول آخر طالما وجف منهُ الكتّاب الذين يبحثون في احوال الحرب القادمة ، ونعني به جراثيم الامراض التي تنشرها الطيارات على عدوها . وفيها يقول اطباء الجيش الذين توفروا على درس هذا الموضوع « ان الدولة التي تفسح بهذا السلاح لا تجني منهُ سوى نتائج زهيدة لان الحرارة تقتل البكتريا بسهولة فلا يتيسر ادخالها في القنابل او القذائف . ثم ان الوسائل الصحية الحديثة قد تقضي على تلك الجراثيم . واذا اصبحت الامراض وبائية عادت بالوبال على قاذفها لا محالة اذ يستحيل حينئذٍ وقف انتشارها بين قوات الدولة التي سبق أن اطلقتها من عقالها — والجراثيم لا تعرف العدو من الصديق »

وزعموا ان الطيارات في وسعها قذف السموم الزعافة على مدن الاعداء وهذا معقول . وسمّ التفانق (بوتيليفس توكسين) هو من اشدّ انواع السموم المعروفة فيتسنى لطيارة كثافة واحدة حمل مقدار كاف منهُ لقتل كل مخلوق على سطح البسيطة بشرط ان يوجَّه وسقها الفتاك الى ضحاياهُ وهذا مستحيل في خلال الحرب لشدة احتياط الاعداء فان اطلق خبط عشواء على احدى المدن كان تأثيره ضعيفاً

ولما كانت دولة الولايات المتحدة الاميركية تبعد ٣٠٠٠ ميل عن اقرب الدول المرهوبة الجانب التي قد تناوئها من ناحية المحيط الاطلنطي و٦٠٠٠ ميل من ناحية المحيط الهادىء ، فشكلة دفاعها الجوي عن كيانها بازاء اعدائها الاقوياء تسهل بمراحل عنها عند سائر الدول التي يستطيع عدوها الاغارة على حواضرها ومراكزها بعد طيرانه ثلاث ساعات من بلاده . ويرى بعض ضباط سلاح الطيران انهُ ستصنع طيارات تقطع ٧٠٠٠ ميل حاملة طنًّا من القنابل . هذا مع العلم بأن اقصى ما تقطعهُ الطيارة الحربية الآن ٩٠٠ ميل . فاذا صوّلت لاية دولة اسيوية او اوربية نفسها مهاجمة دولة الولايات المتحدة الاميركية من الجو ، وجب عليها في تلك الآونة نقل طياراتها ببواخر ثقالة على مقربة من شواطئها ، بيد انها لا تتمكن من ذلك الا اذا تيسّر لها تدمير الاسطول الاميركي او حصره على الاقل

ويرى خبراء الخدع الحربية الجوية امكان تعطيل قناة بنما بغارة جوية بحرية قبيل اعلان الحرب رسميًّا على دولة الولايات المتحدة . وبذلك يسهل تركُ اسطولها عاجزاً لتعذر الاتصال بين قسميه الغربي والشرقي . وهذا مما جعل ضباط سلاح الطيران في دولة الولايات المتحدة يصرون على انشاء وزارة ثالثة للدفاع الوطني خاصة بالطيران . ويقولون انه يكفي لحماية ساحلي دولتهم من الغارات الجوية ومن اي جيش بري يهاجمهم ، قوة جوية مستقلة ذات قاعدة برية تؤلف من ٦٤٠ طيارة قاذفة للقنابل و ٦٤٠ طيارة طوافة (عسس) و ٢٠٠ طرادة جوية مدججة بمدافع ضخمة يديرها عشرة رجال

ومع ان خبراء الجو يكادون يحتقرون الدفاع البريَّ ضد الهجوم الجوي ، نرى جنود القوة البرية واثقين بكون المدافع المحسنة التي اخترعت في بضع السنوات الغابرة لمقاومة الطيارات لتسقطنَّ كثيراً من الطيارات عند ما تصوب اليها قذائفها . ومنها احدث انواع المدافع المقاومة للطيارات

وهي من عيار ٣ بوصات وتطلق مقذوفاتها رأسيًّا الى ارتفاع ٩٠٠٠ ياردة ، وأفقيًّا الى مدى ١٠٠٠٠ ياردة . فاذا وضعت بطارية مؤلفة من اربعة مدافع من ذلك النوع ، وقام بتسديد نارها مدفعي كهربائي robot كان ميسوراً لها اطلاق وابل من النار مؤلف مائة قنبلة في الدقيقة زنة الواحدة ٢٦ رطلاً وتشعل بفتيل ميكانيكي . ومن المرجح ان كل طيارة تحوم في دائرة خمسين ياردة من موضع انفجار احدى هاتيك القنابل ، لا منجى لها من التعطيل — ذلك لأن المدافع آلية الذكر تسدد مقذوفاتها بالقوة الكهربائية بجهاز بعيد هو كناية عن آلة ستيريوسكوبية stereoscopic (مجسمة للصور المزدوجة) مضبوطة جدًّا يتمكن بها المراقبون من اتباع مجرى الطيارات السريعة في كبد السماء . وما على المدفعية (من البشر) الا تركيب القنابل وحشو مدافعهم بقنابلها . فاذا عسعس الليل استعان المراقبون بالمصابيح الكهربائية (الكشافة القوية جدًّا) على رؤية الطيارات المحلقة في الجو على ارتفاع ١٥٠٠٠ قدم . ثم ان (اجهزة الاصغاء) تمكن الجنود المناهضين للطيارات من سماع اصداء الطيارات المغيرة عليهم وهي على بعد عشرة اميال منهم[1] . فتهيء الفرصة لحاملي المصابيح الكشافة وللمدفعية لاعداد القوة لمناوأتها . وقد اخترعت مدافع رشاشة (مدافع آلية سريعة الطلقات) كبيرة العيار (قطر الفوهة) للدفاع ضد هجوم الطيارات المنخفضة الارتفاع

ولا جرم ان المدافع العصرية القاتلة للطيارات تؤثر تأثيراً أشد منهُ في الحرب العالمية التي كانت تصيب الهدف اصابة واحدة من كل ٦٠٠٠ طلقة . وأيًّا كان تأثيرها ، فما من دولة يتسنى لها اعداد المدافع الكافية لدحر الطيارات عن كل مدينة تستهدف لغاراتها . لأن معظم تلك المدافع سيخصص للدفاع عن القواعد الجوية الخطيرة وغيرها من مواقع الحركات الحربية المهمة

ويكاد يكون محققاً ان السيادة الجوية هي أولى الغايات التي تتوخاها الدول القوية المتحاربة عند نشوب الحرب ، فان فازت بها ، سهل عليها اطلاق القنابل على مطارات عدوها اطلاقاً عنيفاً وقذفها على مصانع ذخيرته ووسائل نقل جنوده وعتاده ثم على مدنه . فاذا أمكن للعدو اعداد قوة جوية تضارع قوة الدولة المسيطرة على الجو من قبل ، فقامت بينهما ملحمة ، فلا بدّ ان تكون نتيجتها حدوث هدنة وقتية بين المتحاربين ، يعقبها ادوار القوات البرية حتى تضع الحرب أوزارها

أما ضباط الجيش البري الذين لا يشاركون البتة رجال الاسطول الجوي في زعامتهم القاضية باستقلال الاسطول الجوي فينوهون بفوائد الطيارات كمساعد للجيش البري اذ تقوم بالاستطلاع والدلالة على مواقع نيران مدافع العدو وبمهاجمة الطيارات المنخفضة وذلك بالمدافع الرشاشة والقنابل الصغيرة التي تطلقها على الفرق البرية وبقيامها أيضاً بالقاء القنابل على المراكز الخطيرة للمواصلات في منطقة مساحتها ٢٥٠ ميلاً

وما من قائد عام لجيش من الجيوش البرية يقتحم القتال الا اذا كان تحت امرته طيارات كافية للهجوم ، واخرى لاقتفاء آثار عدوه ، وغيرها للمراقبة ، وسواها لقذف القنابل

(١) راجع مقالنا « احدث معجزات الصوت » في المقتطف أكتوبر ١٩٣٤

وقد احدثت المحركات الميكانيكية التي يتولد بخارها من احتراق البنزين ، انقلاباً في حرب البر كما احدثتهُ في غيرها ، فاصبح الخبيرون موقنين بان الحرب القادمة سوف تكون حرباً قوامها السرعة وعمادها المحركات الميكانيكية . فلن تكون فيالقها وئيدة الحركات بل جيوشاً شديدة السرعة بديعة الحركات ، تقلها سيارات سريعة الى ميدان القتال حيث تقوم باطلاق المدافع اطلاقاً عاجلاً مركبات ذات محركات ميكانيكية وحينئذٍ يبطل استعمال مركبات النقل التي تجرها الخيل والبغال . اما الفرسان اذا استخدموا وقتئذٍ — وهذا امر مشكوك فيهِ — فينقلون وخيولهم في سيارة الى المواقع التي يجب ان يمتطوا فيها جيادهم

واذ ذاك يتيسر للجنود مهاجمة بعضها بعضاً مهاجمة أشد منها في الحروب الغابرة لان الاسلحة التي اخترعت أو تم تحسينها منذ سنة ١٩١٨ تمكن الوحدات الحربية الصئيلة من اطلاق نيران حاصدة . وقد اشتهرت في دولة الولايات المتحدة منذ سنوات بندقية (سبرنجفيلد) بكونها اصلح بندقية حربية في العالم . اما الآن فقدت نسياً منسيًّا لانها تطلق على الهدف ١٥ طلقة في الدقيقة . وهذا لا يحسب اطلاقاً سريعاً في الحروب العصرية . ولذلك اخترع الاميركان سلاحاً جديداً لمشاة جيشهم وهو بندقية جرند وعيارها ٣٠ ٪ من البوصة وهي نصف اوتوماتيكية وتطلق ٦٠ طلقة في الدقيقة . وقد سلحت سائر الدول جنودها المشاة بمثل هذه البندقية نصف الاوتوماتيكية . وتبذل الدول الآن جهدها في اتمام صنع المدافع الرشاشة الخفيفة التي تبرّد بالهواء لتحل محل المدافع الثقيلة المستعملة للآن التي تبرد بالماء

وقد تبين ان الخبراء الذين تنبأوا بأن الدبابات سوف تصير بمثابة مدرعات برية رهيبة كانوا مخطئين في مزاعمهم خطأً فاحشاً . وكان ثقل الدبابة في الحرب العالمية ٣٥ طنًّا . وكانت سرعتها لا تزيد على ثلاثة اميال في الساعة . وكانت اطواقها الدوارة تتكسر بسهولة وكان ما يضيع منها في الخنادق وتتعطل محركاته اكثر مما كانت تعطله نيران الاعداء . اما الدبابات العصرية فأخف بكثير من العتيقة واقوى منها على اطلاقها للنيران وسلاحها افضل من سابقاتها ثم ان استخدام الراديو مما يجعل قوتها الحربية ذات شأن عظيم . فاذا استعملت الدبابات عجلاتها في سيرها على الارض ، قطعت اربعين ميلاً في الساعة . واذا سارت على اطواقها الدوارة التي يمكن تثبيتها فيها في دقائق قليلة ، كان في مكنتها قطع ٢٥ ميلاً في الساعة في الريف . ولا بدَّ من تسيير الدبابات مسرعة لكي يتاح الانتفاع بها والمعروف انهُ اذا اطلقت الجنود المشاة القنابل التي تزن رطلاً مباشرة من مدفع نصف اوتوماتيكي ، تسنى لها تعطيل اية دبابة من الدبابات المألوفة . وان الرصاص الذي يطلق من المدافع الرشاشة عيار ٥٠ ٪ من البوصة (وهي ايضاً من سلاح المشاة) يخرق دروعها . وما زال الخبراء يتنبئون بأن الاجهزة الكهربائية التي تعمل أعمال البشر ، سوف يكون لها قسط عظيم في الحروب القادمة

[البقية في باب الاخبار العلمية]

السيكلوجية الحديثة

التحليل النفساني — تقدير عام

ليعقوب قوام

لقد امعنا في نقد نظريات فرويد حتى انهُ قد يتبادر الى ذهن البعض اننا لا نرى عليها مسحة من الحق والصواب ، والواقع بخلاف هذا على خط مستقيم ، لاننا نزعم ان فرويد من اركان السيكلوجية الحديثة ، وان هذا العلم لا يستقيم لانسان مطلقاً قبل ان يدرس الفرويدية دراسة عميقة منظمة ويضعها في المكان اللائق بها بين المذاهب الاخرى

فكما ان النظرية الملكية فتحت امامنا الابواب لتربية اطفالنا ، وبينت لنا الطرق التي نتحكم بها في تصرفات الافراد ، كذلك اماننا سيكلوجية فرويد على فهم مشكلات الفرد النفسية ، ونشوء التعقيدات في الحياة العقلية ، وكيف نتجنب كل هذا قبل ان يحدث ، ثم كيف نعالجهُ بعد ان يصاب بهِ الانسان

***

قلنا في مقالاتنا السابقة ان التحليل النفساني نبت في الاصل في ميدان الطب ، اي انهُ ظهر على انهُ علاجٌ لبعض الامراض المعينة التي لم تنجع فيها الادوية والعقاقير لانها لم تكن تتصل باعضاء الجسم او بوظائف تلك الاعضاء ، وانما هي عقد ومشكلات نفسية انتابت نفس الانسان فافقدته توازنهُ وجعلت سلوكه مغايراً لسلوك الآخرين ، مغايرة جعلت الناس ينظرون الى ذلك الفرد على انهُ غريب عنهم في تفكيره ، لاينظر الى الاشياء كما ينظرون ولا يستجيب لها كما يستجيبون ، بحيث ان الفرق بينهُ وبينهم لم يكن يعتبر لمزية له بل لنقص فيهِ ، وبحيث ان الناس لا يستريحون الى الجلوس اليهِ ولا هو يستريح الى الحديث معهم ، هو يظن بهم السوء ، ويحمل تصرفاتهم معهُ على غير محلها ، فكل حركة منهم تكون موجهة اليهِ بشكل من الاشكال ، وكل تصرف منهُ لا ينظرون اليهِ على انهُ تصرف انسان مالك لزمام نفسه يقصد ما يقول ويعني ما يفعل

شخصٌ هذه حالهُ كان من الصعب فهم اصل الداء فيهِ ، هل نشأ من اختلال في احد اعضاء جسمهِ ، او من عجز بعض تلك الاعضاء عن القيام بوظيفتهِ خير قيام ام هل مسَّهُ جن ، ام ارتجَّ

عليه نحن ، والمحرف عقله فصار بعيداً عن ان يفهمه الناس وبعيداً عن ان يفهم الناس ؟ ومم نشأ هذا المرض ؟ هل هو شيء وراثي مسطور في خلايا الجسم يظهر عند سن معينة ، او قد نشأ من الطعام ، او العمل او الاجهاد ؟ ثم كيف علاجه وما السبيل الى التغلب عليه ؟

***

ففضل التحليل النفساني على السيكلوجية الحديثة هو انهُ انار لها الطريق في هذا الموضوع بالذات. فوجهها الى السبب الاصلي في نشوء هذه الحالات النفسية المعقدة ، وكيف ان تعدد الدوافع والمنازع في النفسية الانسانية ، وتسابقها الى السيطرة والتفوق ، وكبتها بعضها لبعض ، واستعانة بعضها على البعض بالاوضاع الاجتماعية ، وعجز الانسان عن حفظ التوازن بينها مع مراعاته للعرف ولما تتطلبه منهُ الحياة الاجتماعية ، كيف ان جميع هذه العوامل مجتمعة تفقد الانسان توازنه العقلي ، فيصبح عاجزاً عن وضع كل شيء في موضعه من النظام النفسي ، ويفلت من يده زمام نفسه فتتوزع عواطفه ونوازعه ويعرض وتنتابه تلك الحالات التي قدمنا ذكرها

وبعبارة اخرى استطاع هذا المذهب السيكلوجي ان يفتح امامنا باباً واسعاً للاحتمالات . نعم قد يخطىء هذا المذهب في تشخيص حالة بذاتها ، قد يأخذ بأسباب وفروض بعيدة الاحتمال متعذرة الوقوع لسبب من الاسباب ، قد يزعم ان الاصل في مرض هذا الفرد شيء معين ، وقد يكون هذا ابعد الاشياء عن ان يكون السبب الحقيقي لمرض ذلك الفرد ، ومع ذلك فان الاتجاه العام لهذه النظرية في تشخيص الامراض النفسية اتجاه سليم قريب من الصواب القرب كله ان لم يكن هو عين الصواب ، وبعبارة اخرى ان التحليل النفساني كشف لنا عن حقيقة ثابتة وهي ان منشأ العقد النفسية انما يكون من الالتواء في النوازع والاختلاط في المشاعر ، وان حوادث معينة في حياة ذلك الفرد هي السبب الاصلي في هذه المشكلات النفسية

***

لقد كشفت هذه النظرية عن اصل الداء بوجه عام ثم تقدمت بالعلاج الصحيح بوجه عام ايضاً. صحيح انها تزعم ان الاصل في هذه الامراض انما هو المسائل الجنسية وصحيح ايضاً اننا نختلف معها في هذا ، ولكنه صحيح ايضاً انها سعت الى الداء في منبت الداء ، اي انها دخلت الى قرارة النفس لتكشف عن علل النفس ، فهي قد اتجهت الاتجاه الصواب وان كانت اخطأت في بعض التفصيلات بعض الخطأ لا الخطأ كله

ذلك لاننا مهما حاولنا لا نستطيع ان نقلل من خطر المسائل الجنسية في حياة الفرد ، لا بل قد نغلو نحن في ثورتنا على هذه النظرية فنقع في شر مما وقعت فيه ، اي اننا نذهب من النقيض الى النقيض فنتعامى عن خطر هذه المسائل في حياتنا جميعاً ، فالاصل في العقد السيكلوجية مشكلات نفسية قد

تكون جنسية قبل ان تكون شيئاً آخر فلا نستطيع ان نعطي حكماً عاماً شاملاً ينطبق على جميع تلك المشكلات ، وانما نستطيع ان نبحث كل حالة بحالتها ، وقد نرى اثر المشكلات الجنسية في كثير من الحالات وقد لا نجد لها هذا الاثر في غيرها

وملخص القول في هذا ان هذه النظرية قد خدمت السيكلوجية الحديثة خدمة جليلة . خدمتها في الاتجاه العام الذي اتجهته للكشف عن الاسباب والعلل . ثم خدمتها في توكيدها للمسائل الجنسية ، التي كدنا ان نتعامى عن أثرها تشيأ مع الاوضاع الاجتماعية ، الى حد غير معقول

***

لم تقف خدمة هذه النظرية عند حد الكشف عن الاسباب المباشرة في المشكلات النفسية وانما تقدمت اينما رأي في علاج هذه الحالات . علاج أقل ما يقال فيه انهُ صواب في اتجاهه العام ، وان كان خاطئاً في بعض الحالات بذاتها . وشأن فرويد في هذه المسألة شأن الطبيب الذي يفحص المريض ، ويشخص المرض ويعطي الدواء . قد يخطيء هذا الطبيب في تشخيص المرض وقد يخطيء في وصف الدواء ، ومع هذا كله وبرغم هذا كله فالنظرية الطبية سليمة في اتجاهها العام ، سليمة في فلسفتها ؟ وان كانت تخطيء في التفصيلات

اذا اختلطت الغرائز النفسية في الانسان ، فقد توازنه الى حدٍ معين ، وأصبح عاجزاً عن ان يأخذ بزمام هذه الغرائز والدوافع ويوجهها الى مصلحة الكائن كله ، وبمعنى آخر يخرج الأمر في نفسه عن ارادته فيتصرف بنفسه تصرف انسان غير مسئول من جهته وعاجز عن توجيه مشاعره توجيهاً منظماً مقصوداً يرمي الى غاية معينة ، ولا يهم سواء أكان هذا العجز عاماً ام مقصوراً على ناحية بذاتها من نواحي النفس

هذا الانسان بالطبع مصاب بمرض نفسي ، ووظيفة السيكلوجية ان تكشف عن أصل الداء ، ثم تحصره في دائرته ، وتبين موطنه على التحقيق ، وبعد ذلك تتقدم بالعلاج . فالنظرية التحليلية (الفرويدية) تزعم ان منشأ الداء او موطنه هو المسائل الجنسية في معظم الحالات ونحن بالطبع نعترض على هذا ونزعم ان منشأه قد يكون شيئاً آخر

ثم تصف الفرويدية الدواء على هذا الوضع . من حيث ان الاصل في الداء هو اصطدام الدوافع الجنسية بالاوضاع الاجتماعية ، ولما كان الفرد يسقط أمام هذه التجربة ويستكين ويغلب على أمره ، فالمشكلة لا تنشأ من السقوط وانما تنشأ من الشعور الحاد بالذنب وبالخطيئة وثبات الانسان على هذا الشعور واستمراره في التشبث بهذا الاحساس — الاحساس بالخطيئة — وأخذه نفسه باللوم والتعنيف ، واحساسه بأنه هالك لا محالة وان السماء والارض تألبتا عليه — هذا الاحساس في مجموعه هو منشأ الداء وليس الاستجابة للغريزة الجنسية نفسها

ولعبارة اخرى تزعم هذه المدرسة ان الاوضاع الاجتماعية والخلقية والدينية تضغط على نفس الانسان وتقف في وجه هذه النفس فتزحزحها عن موضعها وتحدث خللاً في توازنها وتفقدها الثقة والاطمئنان بأنها مثل باقي النفوس الآدمية ، والعلاج في هذه الحالة بالطبع يكون في إرجاع الثقة الى النفس وفي تمكينها من استرجاع توازنها والاطمئنان الى انها بخير وانها تستطيع ان تتصرف في شؤونها مثل النفوس الأخرى

***

بغض النظر عن الخلافات في المسائل الجنسية فان التحليل النفساني فتح لنا باب العلاج على مصراعيه ، فأصبح من السهل على كل مدرسة ان تتبع وسائلها في العلاج ، والوسائل جميعها متشابهة وهي الوصول بالمريض الى حالة معها يرى الداء كما يراه الطبيب ، يراه على حقيقته من غير التواء او تشويش في التقدير والحكم . يراه على حقيقته لا كما كان يراه بعين المريض المضطرب المشوش التفكير الموزع القوى

هذه النظرة في ذاتها نظرة سليمة بغض النظر عن منشأ الداء وهل هو من الغرائز الجنسية او من غيرها . المهم في الأمر ان ينظر المريض الى دوافعه النفسية نظرة سليمة ، عاقلة لا تشوبها الاضطرابات النفسية ، فاذا كان سبب الداء حادثة معينة تغيب عن عقله ، يحسن به ان يعرف تلك الحادثة والاحوال المحيطة بها جميعاً ، واثر هذه الحادثة في اضطرابه النفساني

وهنالك خدمة اخرى قدمتها نظرية التحليل النفساني للسيكلوجية في مجموعها وهي انها كشفت لنا عن السبيل الى تجنب الارتباكات النفسية اذا ما اهتم المربون بالتطور النفسي في اطفالهم ، فجموا هؤلاء الاطفال من الاختبارات القاسية الشديدة التي تترك اثراً عميقاً في زوايا النفس ، كأن يعرضوا لما لا قبل لهم باحتماله من الاضطرابات النفسية ، كالخوف الشديد ، او الحزن العميق المكتوم ، او التعرض للحوادث الجسام التي قلما تمضي دون ان تترك وراءها آثاراً لا تمحى

***

وملخص القول ان النظرية التحليلية قدمت للسيكلوجية ثلاث حقائق مهمة لهذا العلم

(١) كشفت عن العلة في كثير من الامراض النفسية ، ووجهت السيكلوجية الوجهة الصحيحة في هذا الميدان

(٢) تقدمت بعلاج نافع لبعض تلك الحالات فتقدم العلم خطوات واسعة في هذه الناحية

(٣) اعانتنا الى حد كبير في الكشف عن طرق الوقاية من بعض الامراض النفسية

سير الزمان

اليابان وسياستها الاسيوية
موقف الدول الكبرى وخططها

ايطاليا الجديدة
بين الانهيار والبعث الفاشي

الكابتن انتوني ايدن
ممثل بريطانيا في جامعة الامم

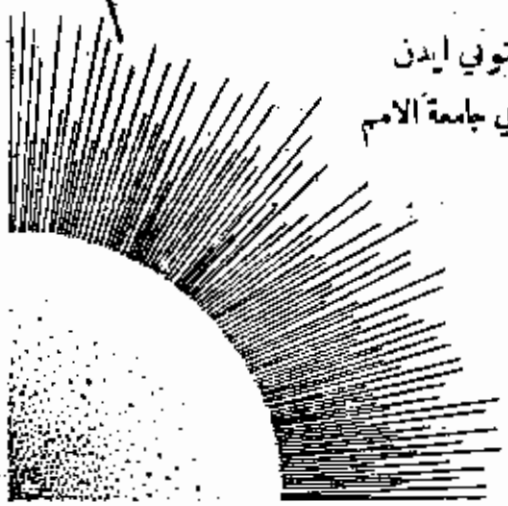

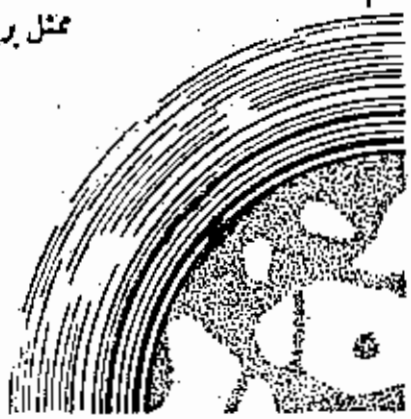

صاحب السعادة امين باشا يحيى
احد كبار رجال المال والاعمال في
مصر راجع « صورة قلبية » من
صدر باب الرياسة

الكابتن كرسويل
صاحب مقالة تأسيس القاهرة في
منتصف نوفمبر وديسمبر الماضيين

اليابان وسياستها الاسيوية

موقف الدول الكبرى وخططها

اعلنت اليابان خطتها الاسيوية الجديدة بلسان احد ممثلي وزارة الخارجية فيها في ١٧ ابريل سنة ١٩٣٤ وتلا ذلك تصريحات في هذا الصدد لممثلي اليابان الرسميين في وشنطن وبرلين وجنيف . هذه التصريحات تنطوي على القواعد الآتية :

اولاً : تعتبر اليابان نفسها الدولة ذات الشأن الاول في المحافظة على السلام في شرق آسيا وبوجه اص في الصين

ثانياً : لقد انقضى العهد الذي كانت فيه الدول او جمعية الامم تستطيع ان تمارس خططها ضد استغلال الصين

ثالثاً : ان اليابان تنوي ان تقاوم في المستقبل اي عمل في الصين تحسبهُ ينطوي على خطر وتقرر نك يعود اليها وحدها

وطوكيو تعلق شأناً خطيراً بالقاعدة الثالثة ولذلك عني سايتو سفير اليابان في وشنطن بتفسيرها ال : «ان اليابان يجب ان تفصل فيما هو خيرٌ للصين» ثم اقترح على اصحاب المصالح الاجنبية الكبيرة الصين ، «ان يأخذوا رأي اليابان قبل اقدامهم على مشروعات جديدة هناك»

وما كادت هذه التصريحات تذاع حتى اجمع رجال السياسة وكتابها في مختلف اقطار العالم على انها تصريح خاص بالصين صدر من عهد طويل. فدهشوا لما انطوى عليهِ من القواعد الشاملة لقالب الذي افرغ فيهِ

***

وفي ٢٩ ابريل سلّم السفير الاميركي في وشنطن مذكرةً من حكومتهِ في صدد هذه التصريحات ، هيروتا وزير خارجية اليابان . وقد بينت الحكومة الاميركية في مذكرتها ان علاقة الولايات تحدة الاميركية باليابان ، بل ان علاقة الصين باليابان وبسائر الدول ، خاضعة لمبادئ معترف بها القانون الدولي ولاتفاقات خاصة تتضمنها معاهدات مبرمة ، وان هذه المعاهدات تنصُّ على طرق تديلها او الغائها بوسائل اتفقت عليها الدول المتعاقدة . ثم بيّنت المذكرة الاميركية ان الحكومة اميركية تتوخى في علاقاتها الدولية ان تحترم حقوق البلدان الاخرى ومصالحها المشروعة وتنتظر تفوز من حكومات البلدان الاخرى مثل هذا الاحترام لحقوقها ومصالحها المشروعة

وكانت بريطانيا العظمى الدولة الكبيرة الاولى التي طلبت من اليابان تفسيراً لهذه الخطة الجديدة ي اعلنتها . فاستفسر سفير بريطانيا في طوكيو « استفساراً وديّاً » عن مآل هذه الخطة وقت ر اليابان الى ياان مبدأ « تساوي الحقوق » في الصين مضمونٌ صراحة في معاهدة الدول التسع ،

وان اليابان وقّعت هذه المعاهدة وأبرمتها ، وان حكومة بريطانيا تنتظر ان تبقى متمتعة بجميع الحقوق التي تتمتع بها سائر الدول التي وقعت هذه المعاهدة . وصرّح سفير بريطانيا لوزير خارجية اليابان ان الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تسلّم بحق اليابان في ان تحكم بأن عملاً معيّناً — كالمساعدة المالية او المشورة الفنيّة — ينطوي على خطر للصين ووجّه نظر اليابان الى ان المادتين ١١ و ١٧ من معاهدة الدول التسع تفرضان عليها ان تنبه موقعي المعاهدة الى اي عمل فيه خطر على سلامة الصين

وقد اقتضى « الاستفسار الودّي » الذي افرغ فيه السفير البريطاني ملاحظاته على خطة اليابان الجديدة ، جهداً من الوزير الياباني في الرد عليه ، مع ما هو مشهور عنهُ من البراعة السياسية ، ولما كانت اليابان قد قرّرت ان لا تنشر هذا الرد فيجب ان نعتمد على الخلاصة التي اوردها السر جون سيمون وزير خارجية بريطانيا في خطبة القاها في مجلس النواب البريطاني يوم ٣٠ ابريل ١٩٣٤ . وخلاصة هذا الردّ ان اليابان ايّدت رأي الحكومة البريطانية في حسبانها ان حكومة اليابان لن تعتدي على حقوق الدول الاخرى في الصين ولا تنوي ان تضرب بالعهود التي قطعتها في المعاهدات القائمة عرض الحائط ، ثم اكّدت بأنها تنوي ان تحترم معاهدة الدول التسع وانها سوف تمضي في تطبيق اكبر الشأن بسياسة الباب المفتوح . وكذلك استعملت اليابان تأكيد احترامها لمعاهدة الدول التسع ولسياسة الباب المفتوح ستاراً لتغطية مطالبها الواسعة النطاق . ولكن الحكومة البريطانية اكتفت بتصريحات حكومة اليابان لان حكومة بريطانيا ، على ما قال السر جون سيمون في البرلمان — لا يسعها ان تقول لدولة صديقة : « اننا لا نصدق ما تقولين »

اما دول البر الاوربي فقد اختلف موقفها في تصريحات اليابان . فايطاليا استبشرت من حكومة اليابان على نحو ما استبشرت حكومة بريطانيا وفازت بالتأكيدات التي فازت بها بريطانيا . اما المانيا فلم تَرَ ان مشكلات الشرق الاقصى تهمها بوجه خاص وان حلّها خاص بالدول ذات الشأن في تلك المنطقة . وأما فرنسا فلم تعن عناية خاصة بموقف اليابان الجديد ، مع اتساع ممتلكاتها في الشرق الاقصى . وأما روسيا فلم تعترض على خطة اليابان ولا طلبت منها تفسيراً لتصريحات رجالها المسؤولين لانهُ سبق لها ان احتجت في مواقف مختلفة احتجاجاً شديد اللهجة فلم يجدِ احتجاجها شيئاً

ولما كانت الصين هي المقصودة بالذات في تصريحات رجال اليابان ، كان موقفها مشوباً بالامتعاض الشديد . وقد اصدرت مفوضية الصين في لندن بياناً قالت فيه ان الشعب الصيني الذي يعرف ما له وما عليه كدولة مستقلة ذات سيادة لا يسلّم ببسط سيادة اليابان على الصين وانهُ واثق من ان الدول الاخرى لا يمكن ان تساق سوقاً الى التسليم به

***

وبعد اتأكيدات التي نالتها بريطانيا وايطاليا ، تفضل الدول المختلفة ان لا تثير هذه المسألة الآن

ولكن الحادثة نفسها كان من شأنها ان ذكرت امم العالم بالاتجاه المخوف في سياسة اليابان الاسيوية

وأول أثر من آثارها تحفز الامم لتعزيز سلاحها ، وخاصة سلاح الطيران . فتقدمت اليابان سائر الدول في تعزيز سلاح الطيران وتبعتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا . اما حكومة الولايات المتحدة الاميركية فلم تفه بكلمة بعد احتجاجها الاول . ولكن الرئيس روزفلت لم يلبث حتى طلب من الكنغرس ان ينفق جانباً من الاموال المرصدة للاعمال العامة على تعزيز الاسطول الاميركي وحجة الرئيس في ذلك انهُ اذا لم تجد وسيلة لمقاومة اليابان الاّ بالحرب، وهي حرب لا يرغب فيها احد، فما علينا الاّ ان ننتظر تطوّر الحوادث وان نعزّز الاسطول في خلال ذلك

وكذلك نرى ان هذه الحادثة افضت الى تنافس في التسلّح لا يعلم احد الى اين ينتهي

ويهمُّ العالم بوجه خاص ان يعلم الى اي مدى تستطيع اليابان ان تحقق خطتها الاسيوية وما تكون النتائج التي يسفر عنها هذا التحقيق

ولا بد لنا في الردّ على هذين السؤالين من ان ندرك ان اليابان ، بعد هزلة جنيف ووقوف الامم موقفاً ضعيفاً ازاء غزوة اليابان للصين في حرب لم تشهر ، اصبحت لا تعنى اية عناية بالتقريع واللوم او بالامتناع عن اعتراف الدول بدولة منشوكو صنيعتها . فالذي تحتاج اليهِ الدول لقمع اليابان هو حجة العمل لا حجة الكلام . فلننظر الآن في الموضوع نظرة مجردة عن الهوى مقابلين بين العوامل التي تؤاتي اليابان في خطتها والعوامل التي تناوئها

***

يرى الثقات ان روسيا السوفيتية هي الدولة التي تستطيع ان تقاوم توسع اليابان على برّ آسيا الشرقية لانها تعرف خطط اليابان في سيبيريا الشرقية وانها قد اعدت عدتها لذلك . فارسال جيش ياباني عدده ٧٠ الفاً الى سيبيريا سنة ١٩١٩ ، وتأييد اليابان لسيمينوف في اعتراضه تقدم السوفيت سنة ١٩٢٠ ، واحتلالها نيكولايفسك سنة ١٩٢٠ ، حوادث اقنعت ولا ريب زعماء الروسيين بأن اليابان لن تقف عند حدود منشوريا وجيهول . فروسيا تعلم ان اليابان بعد ان توطّد قدمها في منشوريا ، وبعد ان تقبض على سكة حديد منشوريا بابتياعها من روسيا او بامتلاكها عنوة ، وبعد ان تنتهي من انشاء السكك الحديدية العسكرية التي تبنيها هناك ، تصبح في مقام عسكري ممتاز يمكنها من محاولة تحقيق احلامها بالامتداد غرباً . وان نظرة واحدة الى الخريطة لتبيّن ان ممتلكات روسيا الى الشرق من شيتا تصبح حينئذٍ تحت رحمة اليابان

ومن الطبيعي ان تمانع روسيا في التخلّي عن ممتلكاتها الواسعة في الشرق الاقصى لانها غنية بالمعادن والحراج وغير ذلك من مصادر الثروة الطبيعية . ولكنها في الوقت نفسهِ تدرك المخاطر التي تتعرّض لها اذا غامرت في حرب مع دولة عسكرية كبيرة كاليابان . وقد لا تكون حكومة السوفيت الآن واثقة من تمام الوحدة الداخلية في بلادها اذا طال امد الحرب علاوة على موقف الدول الاخرى

نحوها ونحو نظامها الجديد. لذلك يبدو للباحث ان زعماء السوفيت يدركون ان التخلي عن ممتلكاتهم في سيبيريا الشرقية لا بدَّ ان تكون ذا اثر سيىء في مكانتهم بوجهٍ عام. ولكنهم يدركون كذلك ان هزيمتهم في حرب مع اليابان قد يكون باعثاً على انهيار نظام السوفيت. فهم واقفون بين شرين وقد بدا منهم حتى الآن انهم يفضلون اختيار اهونهما. ولذلك نراهم يحاولون اجتناب الحرب مع اليابان بالثمن مابلغ. والاَّ فلسنا نستطيع ان نفسر تفسيراً معقولاً، صبرهم العجيب على حوادث منشوكو وحدودها وسكة حديد الصين الشرقية، التي قصدت منها اليابان، في الغالب، ان تثير روسيا وتحملها على مناجزتها. بل لما استطعنا ان نفسر رضا روسيا ببيع سكة حديد الصين الشرقية اللازمة لمصالحها في منشوريا لروم الرساص للقلم

والنتيجة التي نخرج بها من هذه الناحية، ان روسيا لن تقدم على مناجزة اليابان الاَّ اذا ظاهرت بتأييد دولة اخرى من الدول الكبرى. اما ان تفعل ذلك وحدها فليس محتملاً

اما البواعث التي تبعث الولايات المتحدة على مقاومة اليابان قوية، لاتفوقها في ذلك الاَّ روسيا وقد تتساويان. فاليابان قد اخلَّت بمعاهدة الدول التسع وبمعهدة كنوج، وكلتاهما من المواثيق الدولية التي ابدعها ساسة اميركا. فالاخلال بها بعد ابرامها من جانب اليابان طعنة ادبية قوية. ثم ان للولايات المتحدة الاميركية مصالح عظيمة الشأن في المحيط الهادىء. فشواطئها على المحيط الهادي اطول من شواطئها على المحيط الاطلنطي ولها في المحيط الهادي جزائر هواي وهي من ممتلكاتها وجزائر فيليبين وهي تحت حمايتها. والاسكا وهي اقرب الى اليابان من ممتلكات اكثر الدول الغربية. نعم ان الولايات المتحدة قد قرَّرت ان تنسحب من جزائر الفيليبين، ولكن هذا الانسحاب قد لايتم قبل بضع سنوات على الاقل؛ وفي بضع سنوات قد تقع حوادث كثيرة خطيرة لايمكن التكهُّن بها الآن. ثم ان اميركا بعد انتزاع جزائر الفيليبين من اسبانيا، حكمتها حكماً طيباً افاد البلاد فائدة كبيرة فهي لذلك لا يسعها ان تسمح لليابان بالسيطرة عليها بعد خروجها منها. يضاف الى ما تقدم ان تراجعاً كهذا يضعف من هيبتها في الشرق الاقصى، ويعزز من هيبة اليابان، حتى لقد تصبح هواي وبعض بلدان اميركا الجنوبية معرضة للخطر. اما شؤون التجارة في بلدان المحيط الهادىء فهمٌّ اميركا بوجهٍ خاص، وقد قال الرئيس السابق ثيودور روزفلت من سنوات ان مقام المحيط الهادىء لابدَّ ان يفوق مقام المحيط الاطلنطي من هذا القبيل

ولما كانت الولايات المتحدة احدى الدول الكبيرة في المحيط الهادىء فانهُ لايسعها بوجهٍ من الوجوه ان تسمح بتوسع اليابان المطلق في هذا المحيط. وما اقترح ساستها سياسة الباب المفتوح وحثّوا المحافظة على سلامة الصين ووحدتها، الاَّ بقصد حماية مصالح اميركا السياسية والتجارية. ولما كانت خطة اليابان تهدد هذه المصالح، فاميركا بحكم الطبع والمصلحة تجد كلّ مسوّغ في صميمها لمقاومتها وإحباطها. ولكن الخطر الذي يهدّد مصالح اميركا في المحيط الهادىء، لا يبدو

عظيماً في نظر الجمهور الاميركي ، حتى يسوّغ المخاطر التي تتعرّض لها حكومته في سبيل هذه المقاومة . ولذلك فالراجح ان الولايات المتحدة ، وهي معنية الآن بتنظيم حياتها الاقتصادية على اسس جديدة ، تؤثر ان تترك لغيرها من الدول البدء في مقاومة اليابان او مناجزتها

اما مصالح بريطانيا العظمى في الشرق الاقصى فعظيمة وواسعة النطاق . فاموالها وسفنها مسيطرة على الحياة الاقتصادية في وادي نهر اليانغتسي وعلى شواطىء الصين ولبضائعها القطنية والصوفية ومصنوعاتها الحديدية مكانة ممتازة في السوق الصينية الآخذة في الاتساع . وهذا بصرف النظر عن هنغ كنغ والهند وسائر ممتلكاتها في جزائر البحار الجنوبية . فهذه المصالح البريطانية العظيمة في الشرق الاقصى بوجه عام ، او في الصين بوجه خاص ، تهدّدها خطة اليابان الجديدة . ومن المشهور ان اليابان تستعدّ لتحلّ محلّ بريطانيا في اسواق الشرق الاقصى ، بل ان اتساع تجارة اليابان الخارجية يجعل هذا امراً لا ندحة لليابان عنهُ . وقد فازت حتى الآن بمنافسة بريطانيا في نواحٍ مختلفة في الصين بالرغم عن مقت الصينيين لليابانيين الناشىء عن احتلال اليابان العسكري لمنشوريا . ولا يخفف من وقع هذه المنافسة الآن الاّ هيبة بريطانيا في الشرق الاقصى التي بنتها في خلال القرن الماضي ، وعزّزتها حديثاً بافعال ساستها امثال اوستن تشمبرلين وفرود ولنغدن وفورد لترن . فاذا ضعفت هذه الهيبة — والدلائل تدلّ على انها آخذة في هذا السبيل — استطاعت اليابان ان تملي على الصين ممن يحق لها ان تبتاع ما تحتاج اليهِ . وعندئذٍ يصبح اسم لانكشير في الصين نسياً منسيّاً

ومما يجب ان يحمل بريطانيا على مقاومة خطة اليابان ، ان احترام المعاهدات الدولية بصرف النظر عن ناحيتها الادبية ، لا ندحة لها عنهُ . وهي الدولة التي لها ممتلكات ومصالح في جميع انحاء الارض

ولكن يظهر ان طائفة من البريطانيين لم يدركوا حتى الآن خطر خطة اليابان الجديدة ، او انهم على الاقل يرون ان الاخطار التي يتعرضون لها في اوربا اعظم من الخطر الياباني . ولذلك فالمرجح ان تنهج بريطانيا نهج الانتظار لترى ما تفعله روسيا والولايات المتحدة الاميركية في هذا الصدد اولاً

وكذلك نرى ان الدول الغربية التي لها مصالح سياسية واقتصادية كبيرة في الشرق الاقصى قد هالتها خطة اليابان الجديدة وترغب رغبة شديدة في صدّها ، ولكنها لم تحرك ساكناً حتى الآن في هذا السبيل . بل على الضدّ من ذلك نرى بينها تخاذلاً بادياً في موقفها من هذه الخطة ، اذ تميل كلّ امة منها الى القاء العبء على الامة الاخرى . وعلاوة على ذلك كان للحرب الكبرى اثر في نفسية الجماعات الاوربية ، فهي اجنح الى السلم مما كانت ، وخشيتها من الحرب حملتها على الجري على خطة سلمية في التنديد بعمل اليابان في الصين لئلاّ تشهر اليابان الحرب عليهم جميعاً ! ومن الغريب ان لا تستطيع الدول الغربية ان تتفق في موقفها حيال ازمة الشرق الاقصى ، وبوجه خاص ان اليابان بعد حكم جمعية الامم وتفور الرأي العام الدولي من عملها ، كان يتعذّر عليها ان تنال تأييداً في ناحية من النواحي . ومما يخشاهُ الكتّاب السياسيون ان تعجز الدول الكبرى عن ذلك في المستقبل فتستطيع اليابان

ان تفوز بما تريد . وقد ظهرت اليابان في السنتين الاخيرتين بمظهر أمة مقتنعة بان الاقدار تسوقها الى البسطة والتوسع الامبراطوري . وكان غلاة الوطنيين والعسكريين فقط يحسّون بقوة هذا الدافع من وراء الغيب ، وكان يعارضهم رجال المال والاقتصاد من اليابانيين الذين يرغبون في انتظام اليابان عضواً محترماً في مجامع الدول الاوربية . ولكن هؤلاء اصبحوا يرون الآن ، ان مصير مصالحهم مرتبط بمصير الامبراطورية اليابانية وتبسطها ، ولم يبق امام اليابان حائل يحول بينها وبين تحقيق هذا الحلم الزاهي ، الاّ مصالح الدول الغربية في الشرق الاقصى

وقد كانت الخطوة الاولى التي خطتها اليابان في هذه السبيل ، احتلالها منشوريا وجيهول . وكان من شأن هذا الاحتلال ان تغلب رأي العسكريين في اليابان حتى اصبح من المتعذر على أية حكومة يابانية الآن ان تفكر في النكوص ذراعاً واحدة ، وحتى ارتدّ الجمهور الياباني عن تقليد الغرب أي الاقتناع بأنهم أسيويون وانهُ أسهل عليهم ان يفوزوا باحترام الغرب من ان يفوزوا بودّه

ومما تحتاج اليهِ اليابان الآن ، هو فترة راحة وسلام تستطيع في خلالها ان ترسخ قدمها في منشوريا وتنظم شؤونها المالية والاقتصادية والعسكرية هناك وتذيع في انحاء العالم رغبتها في السلام وفي ترقية البلاد التي احتلتها وما زالت من المآرب فيها . فاذا اتيحت لليابان هذه الفترة — وظنها لا يزيد على خمس سنوات ولا يقل عن ثلاث — فنجاحها في نهايتها لا ريب فيهِ

والعقبة الوحيدة التي تعترض سبيل نجاحها الآن هي ضعفها المالي . فالدين القومي قد زاد زيادة فاحشة . وتفقاتها على السلاح كبيرة جدًّا ، ورجال الصناعة والزراعة متبرمون بفداحة العبء الواقع على عواتقهم . ولكن هذه المصاعب ، على فداحتها لا ينتظر ان تثني حكام اليابان عن عزمهم ، بل قد تكون على الضدّ من ذلك باعثاً جديداً لهم على الاندفاع في مغامرة جديدة محاولين السيطرة على الصين وما وراءها من البلدان ، سيطرة فعلية ان لم تكن سيطرة شرعية ، آملين ان يجدوا فيها منفذاً للتبرّم في داخل البلاد ، ومصدر قوة لمواجهة الامم الغربية . ولعلّ عسكريي اليابان يقولون في ذوات نفوسهم ، اذا استطعنا ان نستولي على منشوريا رغماً عن تنديد الدول الكبرى بعملنا وضعف حالتنا المالية ، فاذا يمنعنا بعد فترة الراحة والاستجمام من السيطرة على سوق الصين الواسعة ؟

لابدّ للصين ان تقاوم ولكن الصين من دون مساعدة الدول الاخرى لا تستطيع ان تقاوم اليابان مقاومة فعالة . والتاريخ يعلّمنا ان للهيبة اكبر مقام في الشرق الاقصى فتحدّي اليابان للعالم في جنيف سنة ١٩٣٢ وتحديها له في ابريل سنة ١٩٣٤ لابدّ ان يرفعا هيبة اليابان في الصين فلستطيع ان تقنعها بأن الدول المسيحية دول مرائية لا تعرف غير الكلام ، وان الصين لا اصدقاء لها بينهم ، وانهُ من الخطأ ان تقاوم الصين اليابان التي تستطيع ان تأمر الدول الكبرى بكفّ ايديهم عن الصين فلا يقاومون

وفي هذا تتحقق نبوءة قائد ياباني قالها سنة ١٩١٥ : متى ادركت الصين انها لا تستطيع ان تفوز بمساعدة ما ضدّنا هرعت الينا وارتمت في احضاننا

ايطاليا الجديدة

بين الانهيار والبعث الفاشي

كنا الى عهد قريب نحسب ايطاليا بلاد مجد قديم واطلال كريمة ومشاهد طبيعية رائعة ، لا دولة من دول العالم الكبار . ولكننا نرى فيها اليوم امة متحدة الكلمة فتيّة العزم مسموعة الرأي في مجامع الدول حتى لقد وصف احد الكتّاب احوال اوربا السياسية ومكانة موسوليني في حسمها او توجيهها بتكرير القول المأثور : « جميع الطرق تفضي الى روما » . ففي الاثني عشرة سنة الماضية شهد العالم في ايطاليا بعثاً قوميًّا قد لا يفوقهُ بعث قومي آخر في التاريخ وان ساواهُ في عصرنا بعث الامة التركية على يدي مصطفى كمال. ولابدَّ لنا في تلخيص قصة هذا البعث من الارتداد الى سنة ١٩١٤

كانت ايطاليا حينئذٍ امة ملكية دستورية ، على رأسها ملك (هو ملكها الحالي فيكتور عمانوئيل الثالث) ولها برلمان دمقراطي على مثال البرلمان البريطاني . ولكن وحدة ايطاليا السياسية كانت قريبة العهد فلم يكن لها في سنة ١٩١٤ تقاليد يرعاها رجال السياسة او رجال الجيش ، وهذا بطبعهِ افضى الى تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ولذلك كانت حياة ايطاليا العامة قبيل الحرب حياة يشوبها الفساد والارتكاب

فلما نشبت الحرب الكبرى وقعت ايطاليا في مأزق . فقد كانت مرتبطة بالنمسا بمعاهدة ولكن ساستها كانوا لا ينوون الانضمام الى النمسا الاّ اذا تبيّن لهم ان كفة النصر راجحة في جانبها . حتى اذا كانت كفة النصر راجحة في جانب النمسا فماذا تجني ايطاليا من ثمار النصر ؟ ان جلّ ما يمكن ان تتنازل عنهُ النمسا هو مقاطعة الترنتينو . حالة ان دول الحلفاء كانت تمنيها باكثر من ذلك اذا خاضت الحرب في صفوفهم ضد النمسا . وكذلك مضى ساسة ايطاليا يساومون هذا الفريق وذاك مدى شهور . ولكن الرأي العام في ايطاليا كان قد اخذ ينقلب ضد النمسا عدوة ايطاليا التاريخية . وفي اوائل سنة ١٩١٥ طالب احد المحررين في جريدة اشتراكية بان تخوض ايطاليا الحرب ضد النمسا ، فطرد هذا المحرر من الحزب الاشتراكي ومن ادارة الجريدة فانشأ جريدة سماها الـ « بوبولو ديطاليا » فاحرزت في الحال نجاحاً صحفيًّا عظيماً . وقد كان ذلك المحرر يدعى بنيتو موسوليني

وفي خلال هذا كان رجال الدولة قد اتخذوا قراراً حاسماً . ذلك ان وزير الخارجية البريطانية ، ادورد غراي ، كان قد وعدهم بضم التيرول النمسوية وشواطىء دلماتيا على البحر الادرياتيكي (ما عدا ميناء فيومي) الى ايطاليا اذا هي خاضت الحرب في صفوف الحلفاء . فقبلت ايطاليا ما عرض عليها فوقّعت معاهدة سرية في لندن في شهر ابريل (وتعرف باسم لندن ١٩١٥) وفي مايو شهرت

الحرب على النمسا . وقد ابلى بعض الايطاليين بلاءً حسناً في الحرب الكبرى واحرز بعضهم شهرة عالمية بشجاعتهم واقدامهم . وفي مقدمة هؤلاء الشاعر دانزيو الذي تعلّم الطيران و تنظم في سلاح الطيران وحلّق بطائرته فوق فيينا والقى عليها بدلاً من القنابل ، نشرات حث فيها النمسويون على طلب الصلح . ولكن الجيش الايطالي خذل في كابورتو في اكتوبر سنة ١٩١٧ فتقدم الجيش النمسوي على أثره زاحفاً نحو البندقية ولكن لم تنقض سنة على ذلك حتى كانت المانيا قد عجزت عن المضي في الحرب فتراجع النمسويون وافتفى الايطاليون اثرهم ثم اشتبكوا معهم في معركة احرزوا فيها نصراً باهراً

فلما اجتمع مؤتمر الصلح في باريس كان ممثل ايطاليا فيه السنيور اورلندو فقال ان هذا النصر الباهر الذي احرزه الايطاليون جدير بالمكافأة وطلب ان يضاف مرفأ فيومي الى المقاطعات التي قطعت لايطاليا في معاهدة لندن سنة ١٩١٥ . ولكن الرئيس ولسن تصدى لهُ . قال : لتمنح ايطاليا التيرول والترنتينو وشاطىء دلماتيا حتى مدينة تريستا . اما فيومي فيناء سلافي ويجب ان يمنح ليوغوسلافيا (وكانت تعرف حينئذٍ باسم دولة الصرب والكروات والسلوفين) ولما تعذّر الاتفاق استدعي اورلندو من باريس فخرج من مؤتمر الصلح غاضباً

وكان في ايطاليا رجال قد وطّنوا العزم على ان ينالوا بالقوة ما عجزت حكومتهم الضعيفة عن نيله بالمفاوضة . وكان في مقدمة هؤلاء جبرايل دانزيو الشاعر الجندي . كان شعره الملتهب واقدامه في خلال الحرب ، قد جعلاه الزعيم الطبيعي لجماعة الشبان الايطاليين . ففي سبتمبر سنة ١٩١٩ جمع كلّ طائرة استطاع ان يلقي يديه عليها وطار الى فيومي فطرد منها جيش الحلفاء المحتلّ واعلن فيومي مرفأً ايطالياً وحجتهُ في ذلك حجة الشاعر اذ قال : ان فيومي ايطالية بحق المشابهة بين مشاهد الطبيعة فيها ومشاهد الطبيعة في ايطاليا ! وجعل يلقي خطباً نارية على طريقة خطباء الرومان والاغريق القدماء . واعلن ان فيومي دويلة دمقراطية على مثال أثينا ، وجعل يجمع الجماهير كل يوم امام دارهِ فيطلّ عليهم من الشرفة ويسألهم : ما هي رغباتكم أيها المواطنون . وكان جنوده شباناً ثملين بمجد روما القديم ويحلمون بانشاء مستعمل جديد على غرار المجد الذاهب . وكان بين انصاره رجال قد خاضوا غمار الحرب وخرجوا منها أبطالاً تلهبهم النزعة الوطنية فاقدم احدهم — كلر Keller على القاء قنابل من البحر على وزارة جيولتي في روما . وكان هناك سفنٌ انفصلت عن الاسطول وانضمت الى دانزيو في فيومي وفي مقدمتها السفينة المعروفة باسم « دانتي » . فظلّت فيومي ثلاثة أشهر في قبضة دانزيو وصحبهِ بلاداً خليقة بالابطال . وفي ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٩ ارسل جيوليتي الاسطول الايطالي الى فيومي — وهو يعلم ان الصحف تعطل اربعة أيام — فأخذها عنوةً وفرّ دانزيو واتباعهُ وانتهت على ذلك مغامرتهُ ولكن لما ذاعت الانباء اقفلت ايطاليا مسارحها وارتدت ملابس الحداد

ولكن حكومة جيولتي التي كانت على جانب كافٍ من القوة لطرد دانزيو من فيومي عجزت عن حفظ النظام في طول البلاد وعرضها . ذلك ان ايطاليا كانت متبرمة بنصر حربي لم يحقق لها جميع

رغائبها فلا هي فازت بمجانب من مستعمرات المانيا ولا بشواطىء دلماتيا بل رأت على الضد من ذلك دولة جديدة كبيرة تنهض على شواطىء الادرياتيكي الشرقية تعرف باسم يوغوسلافيا. وكانت الامة تنتظر عودة الرخاء بعودة السلام فخاب فألها. فاشتدت الحركة الاشتراكية امتداد الثار في الهشيم. وفي يناير سنة ١٩٢٠ اضرب عمال البريد والتلغراف وسكك الحديد. وفي الصيف بدأت مجالس العمال (السوفيت) تحتل المصانع. على ان الجماعة الاشتراكية لم تكن الجماعة الوحدة التي تقاوم الحكومة بل نشأت جماعة قليلة بدت في افق جيولتي السياسي اولاً كغيمة صغيرة لا تزيد عن مساحة الكف. ذلك ان بنيتو موسوليني كان قد انشأ في ميلان حزباً متناوئاً مؤلفاً من ١٥٠ عضواً ودعاه «فاشو» والاسم مشتق من لفظ لاتيني «فاشيس» ومعناه حزمة العصي حول فأس كان يحملها اتباع الحكام (القناصل في روما) عند سيرهم في شوارع المدينة. فكان هذا الاسم رمزاً بديعاً للنهج الذي ينوي موسوليني ان ينهجه. كان موسوليني قد خاض غمار الحرب الكبرى وجرح في احدى معاركها. وكان يدرك الروح الذي حفز الجنود الايطاليين للاستبسال في ميادينها. فقد كان يهمهم انشاء دولة ايطالية جديدة تحتل في الحضارة الاوربية مكاناً في فريق الطليعة اكثر مما يهمهم قهر النمسا. وكان يفهم ان شجاعة الافراد واقدامهم، كشجاعة دانزيو واقدامه، يعجزان عن مقاومة حكومة منظمة. ولذلك كان الامل الوحيد في انشاء ايطاليا الجديدة معلقاً باتحاد الوطنيين حول زعيم قوي وهو ما يمثله الاسم الذي اختاره — عصي فردة محزومة حول فأس.

سقطت وزارة جيولتي في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٠ وتلتها وزارة بونومي. فاحتفلت بذكرى الجندي الايطالي المجهول في ٤ نوفمبر سنة ١٩٢١ وبعد يومين اي في ٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ عقد الفاشيون مؤتمراً في روما واصبح الحزب الفاشي حزباً سياسياً منظماً. وفي العاشر من الشهر نفسه اعلن الشيوعيون والاشتراكيون اضراباً عاماً احتجاجاً على وجود الفاشيين في روما فتلا ذلك اضطرابات خطيرة قتل فيها خمسة وجرح بضع مئات. وفي اواخر الشهر افلس بنك المخصم فوجه اللوم الى الحكومة لعجزها عن منع هذه الكارثة المالية واضطر بونومي ان يستقيل في ٢ فبراير سنة ١٩٢٢ لما هجره بعض مؤيديه وانضموا الى المعارضة.

فلما استقالت وزارة بونومي تعذر تعيين خلف له حتى يعرف اي حزب او اي فريق يفوز بتأييد الفاشيين. وكذلك انقضت نحو ثلاثة اسابيع قبل ان تألفت وزارة برآسة السنيور لوجي فاكتا. وهو رجل عرف بالنزاهة والوطنية ولكنه لم يشتهر بالحزم في الملمات. وادرك موسوليني ان مفتاح الحكم اصبح بيده او كاد، فلبث ينتظر تطور الاحوال وهو يُعد معداته لليوم العصيب. فلما استفحل امر الاضرابات التي اعلنها الشيوعيون والاشتراكيون في مختلف النواحي احتدم النزاع بينهم من جهة وبين الفاشيين من جهة اخرى. فلما اعلن حزب العمال في جميع مرافىء ايطاليا في ١٨ مارس سنة ١٩٢٢ — وكانت الحكومة ميالة الى تأييد مطالب العمال الحر — وقف لهم الفاشيون

بالمرصاد وفازوا عليهم فعادوا العمل في المرافىء الى حالته السوية . وفي ٢٥ مايو اعلن اضراب عام في روما وفي يوليو نشر وزير المالية حساب السنة المالية السابقة فاذا فيه عجز في الخزينة يقدر ٤٥٠٠ مليون ليرا وقال الخبراء ان العجز يبلغ ٦٥٠٠ مليون ليرا . فأصيب الرأي العام بذعر عظيم وتجددت الاضطرابات وقبض الفاشيُّون على ناصية الحال في مناطق مختلفة ففرقوا جماعات الاشتراكيين والشيوعيين بالقوة . ولكنَّ النواب كانوا في شغل عن كل هذا بالمناورات الحزبية . وفي اوائل اكتوبر ١٩٢٢ أعلن اتحاد العمال اضراباً عامًّا في ايطاليا فوقف العمل في معظم المصانع وأضرب عمال السكك الحديد . ولكن الفاشيين أعلنوا تعبئة عامة وتولوا النهوض بالخدمات الضرورية مثل المواصلات ونقل الطعام وأذاعوا بياناً وجهوهُ الى العمال حثوهم فيهِ ان يخلعوا عن اكتافهم نير المشتغلين بالسياسة وانذروا الحكومة بانهم يمنحونها ٤٨ ساعة لتثبت كفايتها في القبض على ناصية الحال فاذا عجزت تولوا هم الامر . قالوا : « وعند انتهاء هذه المدة تكون الفاشية حرة في ان تحلَّ محل الدولة ». ولم تنقضِ خمسة أيام حتى كان الاضراب قد خاب في تحقيق غرضهِ وهو نشر الفوضى في البلاد . واصطدم الفاشيون في خلال ذلك بالشيوعيين في مدن مختلفة اهمها مدينة ميلان حيث اسقطوا مجلسها البلدي الاشتراكي الشيوعي . وكانت وزارة فاكتا قد عجزت عن معالجة الحال فطلب رئيس الوزراء الى الملك فكتور عمانوئيل اعلان الاحكام العرفية ولكن الملك ادرك ان اعلانها يفضي الى حرب اهلية لان الفاشيين كانوا قد عبأوا صفوفهم وبدأوا يزحف على روما فرفض . وطلب الى موسوليني ان يشترك في الوزارة فأبى فاستقالت وزارة فاكتا ودخل موسوليني روما على رأس الفاشيين لتقلد أزمة الحكم . وما لبث ان اطلَّ من شرفة دار الرآسة على الجمهور وخاطبهم قائلاً : سوف يكون لكم بعد اليوم حكومة لا وزارة . وخاطب الملك مرتدياً قميصهُ الاسود : عفواً يا مولاي اذا سعيت اليكم بهذه الملابس ولكني احمل اليكم « ايطاليا المنتصرة » . وكان ذلك في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٢.

ولما تولى موسوليني الحكم قبض على ازمتهِ بيد من حديد ، فسار حذراً في البدء لئلاَّ يؤلب عليهِ الاحزاب المعارضة قبل ان ترسخ قدمهُ ولكن حذرهُ لم يحل من الجرأة لانهُ في اليوم الاول الذي تقدَّم فيهِ الى مجلس النوَّاب خطب فيهِ قائلاً « انيَّ مرجع الحكم في هل تحتفظون بمقاعدكم شهرين او سنتين» . فكان لكلامهِ وقع عظيم في نفوس النواب فأولاهُ المجلس ثقتهُ ، واغتبطت الامة بهذا الانقلاب اذ بدا لها انَّ هنا رجلاً يستطيع ان ينقذها من الشيوعية . فلما اغتيل اثنان وعشرون من الشيوعيون في دسمبر سنة ١٩٢٢ هنأ وكيل وزارة الداخلية المغتالين وعفا عنهم القضاة على ان موسوليني جسَّم الخطر الشيوعي ليعظم في نظر الامة جهد الفاشيين في انقاذها منهُ . ولكنهُ لم يكن رجلاً يكتفي بالتنكيل بخصومهِ ، بل كان يرمي الى ان يبعث في جسم الامة الهرم شرارة الحياة والنشاط ونظر بعين بصيرتهِ وخياله الى يوم ينشىء فيهِ ايطاليا الجديدة على

مثال جديد بين الامم ، ويعني عليها من اسباب القوة المادية والمعنوية ما يحلُّها في مجامع الدول المحل اللائق بمجدها القديم وجهدها الحديث . بيد انهُ لم يبغ ان يسلك الى غرضهِ هذا سبيل الثورة بل سبيل التحوُّل الدستوري ، وقد كان لموقف الملك فكتور اثناث لما رفض اعلان الاحكام العرفية أثر في خطة موسوليني هذه ، فبقيت ايطاليا مملكة دستورية واحتفظ بمجلس النواب والشيوخ وادرجت سبل التحوُّل الى النظام الفاشيُّ في اربعة قوانين اصدرها البرلمان

اما الاول فشمل قانون الانتخاب وقد صدر في سنة ١٩٢٣ ثم عدل في سنة ١٩٢٨ وبمقتضاه تعتبر ايطاليا بأسرها دائرة انتخابية واحدة . فيضع المجلس الفاشي الاعلى قائمة تحتوي على اربعمائة اسم من اسماء تعرض عليهِ . ثم تذاع هذه القائمة والناخبين ان يقبلوها أو يرفضوها جملة واحدة . فاذا رفضها الناخبون وهو غير محتمل ، توضع قائمة جديدة وتعرض على الناخبين . وقد ثبت من الانتخابات التي جرت في سنتي ١٩٢٩ و ١٩٣٤ ان ٩٠ في المائة من الناخبين في الانتخاب الاول و ٩٦ منهم في الانتخاب الثاني وافقوا على القائمة الاولى التي عرضها المجلس الفاشي الاعلى عليهم . وعلى ذلك يمكننا ان نقول انهُ دام النظام الفاشي قائماً في ايطاليا فالمجلس الفاشيُّ الاعلى يعين بالفعل اعضاء مجلس النواب . ومجلس الشيوخ مؤلف من امراء البيت المالك واعضاء آخرين يعينهم الملك لمدى الحياة من رجال تخطوا سن الاربعين وامتازوا في ناحية من نواحي الخدمة العامة . وليس ثمة حدٌّ لعدد الشيوخ فتستطيع الحكومة ان تزيد عددهم اذا شاءت ومتى شاءت ولكن الضرورة لم تقتضِ هذه الزيادة حتى الآن

اما المجلس الفاشي الاعلى فتؤلف (اولاً) من اربعة اعضاء يقومون فيهِ مدى الحياة وهم القواد الفاشيون الاربعة الذين تقدموا الصفوف في الزحف على روما في اكتوبر سنة ١٩٢٢ (ثانياً) من رجال يشغلون مناصب كبيرة في الدولة مثل بعض الوزراء وسكرتير الحزب الفاشي ورئيس الميليشا الفاشية ورؤساء الاتحادات القومية و(ثالثاً) رجال يعينهم رئيس الدولة جزاء لهم على خدمات عظيمة أدُّوها للدولة ومدتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد . وليس ثمة حدٌّ لعدد هذه الطائفة من الاعضاء

وفي القانون الثاني حدد عمل رئيس الوزارة . فهو مسؤول للملك ولا يمكن ان يحمَل على الاستقالة اذا افترع مجلس النواب عدم الثقة بهِ او بوزارتهِ كما يقع في بريطانيا . بل لا يجوز ان يقترحَ اقتراحٌ ما في المجلس من دون رضائهِ . فاذا رفض المجلس أحد مشروعاتهِ حقَّ لهُ ان يعيد هذا المشروع الى المجلس بعد ثلاثة أشهر وعندئذٍ يقترع عليهِ مرَّة

والقانون الثالث منح الوزارة الحقَّ ان تحكم بمراسيم . وهذه المراسيم لها قوة القانون مدة ثلاث سنوات بعد صدورها سواء اوافق عليها البرلمان او لم يوافق . اما القانون الرابع فهو القانون الذي وضع اساساً جديداً لحياة ايطاليا الاقتصادية وانشاء ما يعرف «بالدولة النقابية» او « الدولة المندمجة» هو موضوع بحث تالٍ

الكابتن انتوني ايدن

ممثل بريطانيا في جمعية الأمم

[عقد مجلس جمعية الامم في النصف الاول من شهر ديسمبر اجتماعاً خطيراً للنظر في استفتاء وادي السار واتهام حكومة يوغوسلافيا لحكومة المجر في صدد جريمة مرسيليا التي صرع فيها الملك اسكندر اليوغوسلافي والمسيو بارتو وزير خارجية فرنسا . وكان جو الاجتماع مليئاً بغيوم الحرب لان اي اضطراب في السار كان يحتمل ان يفضي الى ارسال جيش فرنسي اليه وهذا ينطوي على خطر . ولان تحزب ايطاليا للمجر وفرنسا ليوغوسلافيا كان يهدد بجفاء العلاقات بين الامتين اللاتينيتين الكبيرتين بعد ما مضت في العهد الاخير في سبيل الصفاء والتوثق . فأتيح للكابتن انتوني ايدن ممثل بريطانيا ان يبدد تلك الغيوم اذ اعلن ان بريطانيا مستعدة ان تبعث بفرقة من الجيش البريطاني لحفظ الامن في السار فقبلت المانيا وفرنسا هذا الاقتراح ورضيت ايطاليا ان تشارك بريطانيا في تنفيذ اقتراحها . لما أحرز الكابتن ايدن هذا النصر في مسألة السار استطاع ان يتدخل في المسألة الثانية تدخلاً أفضى الى الاتفاق على صيغة قرار رضيت به الحكومتان اليوغوسلافية والمجرية]

قلما يتاح لشاب في هذا العصر ان يمثل أمة كبيرة ، بل امبراطورية مترامية الاطراف ، في محادثات خطيرة مثل محادثات نزع السلاح أو مفاوضات جمعية الامم . لان رجال السياسة لا يكسبون الحنكة إلا بالمرانة الطويلة . والمرانة وليدة الذكاء والاستعداد الفطري من ناحية ، واغتنام الفرص واتساع مجال العمل من ناحية أخرى . فالذين ينتظمون في السلك الدبلوماسي ، قلما يبلغون رتبة وزير مفوض أو سفير ، إلا بعد مرانة طويلة في مختلف عواصم الدنيا ، ومع ذلك لا يبلغون المقام الاول بين الوزراء والسفراء إلا اذا بدا منهم ما يدل على استعداد فطري ، وحنكة طبيعية ، في معالجة الشؤون الخطيرة ، التي لابدّ في معالجتها ، من الاتصال بالرجال المحنكين ، وخوض معترك الارادات القوية والعزائم التي لا تتقهقر

ولكن الكابتن ايدن ، وكيل وزارة الخارجية البريطانية سابقاً ، وحامل أختام الملك الآن ، الذي تعتمد عليه الحكومة البريطانية في ان يمثلها في محادثات نزع السلاح وجمعية الامم ما يزال شابًّا في السادسة والثلاثين ، بيد انه أبدى من الاستعداد الفطري والحنكة في المفاوضات الدبلوماسية ، ما حمل بعض النقاد على القول بأنه ، قد يكون زعيم المحافظين المقبل

***

لاسرة ايدن مقام في حياة بريطانيا العامة يرتد الى بضعة قرون . فأحد رجالها في عصر السياسي بت Pitt منح لقب لورد وعين حاكماً للهند . وكان السر وليم ايدن والد الكابتن ايدن من سراة

العهد الفكتوري . اما ابنه الاكبر فقتل في السنة الاولى من الحرب الكبرى . فورث لقبه ابنه الثاني تيموثي . اما ابنه الثالث انتوني — موضوع بحثنا اليوم — فانتظم في الجيش البريطاني وهو في الثامنة عشرة من عمره وشهد الحرب في الجبهة الغربية ونال وسام صليب فكتوريا ولكنهُ كان من صغره ميالاً الى الدرس والبحث من جهة . والى الحياة العامة من جهة اخرى . فمنى وهو في مدرسة ايتون باللغات فاتقن الفرنسية . بيد انهُ ادرك في خلال الحرب انهُ لم يخلق للجندية فلما عاد من ساحتها ، انتظم في جامعة اكسفرد وتوفر على درس اللغات الشرقية ، فبرع فيها ، وعين عضواً في الجمعية الآسيوية الملكية وعرض عليهِ منصب كاتب في وزارة الخارجية فرفضهُ مفضلاً ان يصل الى وزارة الخارجية عن طريق البرلمان . وخاض معركة الانتخابات العامة سنة ١٩٢٣ تخذل فيها ، فرحل رحلة الى الشرق الاوسط وكتب كتاباً يصف فيهِ رحلته . بيد أن وستمنستر (مقر البرلمان) كان يناديه فعاد إلى بلاده وخاض معركة الانتخابات ثانية ، في دائرة ، وشحت لها نسيبته كونتسة وركشير وهي من اشهر سيدات المجتمع الانكليزي ، فانتزعها منها ، وما يزال حتى الساعة ممثلاً لتلك الدائرة في مجلس النواب

***

قضى في المجلس ثلاث سنوات ، قبلما تعلم اساليبه ، فلما عرض عليهِ السر اوستن تشمبرلين ان يكون سكرتيره البرلماني سنة ١٩٢٦ ، رحب بهذه الفرصة ، التي ما زال يترقبها ، لتكون سبيله الى وزارة الخارجية البريطانية . فهو لم ينتظم في السلك الدبلوماسي قط ، وما اصابهُ من النجاح ، في جنيف وباريس وسائر العواصم ، في مفاوضات دبلوماسية دقيقة ، انما يدل على انهُ دبلوماسي بالفطرة

وظل الكابتن ايدن سكرتيراً برلمانيًّا للسر اوستن تشمبرلين ، حتى سنة ١٩٢٩ ، فلما سقطت حكومة المحافظين رجع الى مقعده ، كنائب عادي . ولما أنشئت الحكومة القومية سنة ١٩٣١ رفع درجة اخرى في سلم الارتقاء السياسي اذ عين وكيلاً برلمانيًّا لوزارة الخارجية ، واصبح بذلك ثاني السر جون سيمون وزير الخارجية نفسه في تسيير دفة السياسة الخارجية البريطانية . ولا يخفى ان وكيل وزارة الخارجية البرلماني ، له من العمل في البرلمان ما يرهقهُ . بيد ان الارباب كانت تعطف على الكابتن انتوني . فان رئيسه السر جون سيمون ، أصيب بضعف في صيف سنة ١٩٣٣ ، اقتضى غيابه عن الوزارة لاخذ قسط من الراحة ، فوقع عبء المفاوضات الدقيقة الخاصة بنزع السلاح وجمعية الامم وما اليها من المشكلات العالمية ، على كتفي هذا الشاب . وكان من الطبيعي ان يتسلم مكدونلد قيادة الدفة ، وهو الرجل الذي يحب حضور المؤتمرات الدولية والقاء الخطب فيها . وانما يقال ان وجود صديقه القديم وخصمه الحديث المستر هندرسن في رآسة مؤتمر نزع السلاح ، حال دون ذهاب مكدونلد الى جنيف في السنتين الاخيرتين ، فلما عهد الى ايدن في ذلك ، ادهش رجال السياسة الاوربية المحنكين بذكائه وكياسته وحنكته على صغر سنه . لذلك عين في اوائل السنة الماضية (١٩٣٤) في

منصب رسمي ، هو منصب حامل اختام الملك ، على ان يتفرغ لشؤون نزع السلاح ، وجمعية الامم ، ممثلاً وزارة الخارجية البريطانية فيها جميعاً

***

على الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية البريطانية ، ان يجيب عن الاسئلة التي يوجهها الاعضاء الى الوزير ، وهو عمل مملٌّ لمن كان من طبع الكابتن ايدن وخلقه ، اذ يتحتم عليه ان يجيب في كثير من الاحيان اجوبة بُلهاً ، كقوله مثلاً : «الجواب عن الشق الاول من سؤال العضو المحترم بالنفي ، واذن فلا محل للشق الثاني من السؤال» . بيد انَّ كثرة عمل وزارة الخارجية في جمعية الامم وما يتبعها من الشؤون ، وعرض السير جون سيمون ، او اعياءه ، مهَّدا له سبيل تمثيل بريطانيا في محادثات نزع السلاح ، واجتماعات جمعية الامم

واذن نرى ان مكانته في مجلس النواب البريطاني ، قائمة على نجاحه في معالجة ناحية خاصة من الشؤون الخارجية . فاذا سرت الكلمة في دهاليز مجلس النواب — « ايدن يتكلم » — هرع النواب الى مقاعدهم فيرون شابًّا طويل القامة نحيف البنية حسن البزة ، عليه في وقفته ونظرته ولفظه وملبسه ، دلائل الارستقراطية . في خطابته حرارة ، ولكن ليس فيها قوة وعنف ، كلامه رشيق معقول ، وصوته هادىء متزن ، لا تتبين فيه اثرٌ للعجلة التي اصبحت داء هذا العصر . فاذا كان عنده ما يقوله في موضوع ما ، قاله ببساطة وصراحة ، يخالطهما شيء يسير من الميل الى الفصاحة الخطابية

وهو يؤمن بجمعية الامم حتى لقد قال فيه احد كبار الكتاب الانكليز ، المشهورين باصابة النكتة البارعة والحكمة العالية او السخرية اللاذعة في عبارة واحدة ، « ان ايدن من اولئك الرجال النوادر الذين يدهشونك لانهم يؤمنون حقيقةً بجمعية الامم» . ولا بني عن الدراية لها في بريطانيا في الفترات التي تتخلل زياراته الى جنيف فاذا نفخ زعماء حزبه في الابواق طالبين زيادة الاسلحة البريطانية في الماء وتحت الماء وفوق اليابسة ، بيَّن ايدن لقومه أن مؤتمر نزع السلاح في جنيف هو البديل الوحيد من تنافس عام في التسلح لا بد ان يفضي الى نشوب الحرب العالمية من جديد — ألا تذكر انهُ كان في الثامنة عشرة او في التاسعة عشرة لما انتظم في سلك الجيش وشهد فظائع الحرب وأهوالها في الجبهة الغربية مدى اربع سنوات ؟ — بل انك تكاد تحسبه قريباً بعض القرب من آراء الاشتراكيين والعمال . ولكنهُ يذهبهم ، اذ يعتقدون مجالسهم ، ويقترحون مقترحات مثالية كمالية لحفظ السلام ، بان جنيف وجمعية الامم ومؤتمر نزع السلاح ، هي السبل العملية الوحيدة التي قد تستطيع تحقيق امانيهم . فهذا الشاب الذي تتخلل الفتوة والحماسة نظراته السياسية الرزينة اذا قوبل بهرم السر جون سيمون وتحليله المنطقي الخالي من الشعور في غالب الاحيان ، يجعل الكابتن ايدن ذا مكانة خاصة في مجلس النواب البريطاني بل في ميدان المفاوضات الدبلوماسية الاوربية

مملكة المرأة

انواع الحب

لحنا خباز

قصص الحياة — خاتمة سعيدة

الملاحظة والربط والتعبير

في تعليم الاطفال

لمحمد حسين الخزنجي

الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات . . . ومن أصغر احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي خير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر (انجيل متى)

انواع الحب

لحنا عبادة

الفتاة : لقد غذّيتَ نفسي يا والدي ، بما املَيته عليَّ في « ضامنات الحب » . فهل لك ان تنوّر ذهني في انواع الحب ؟

الوالد : يا فتاتي العزيزة — الحياة ، وهي اكثر شيوعاً من الحب ، لست ارى لها معنى من دون الحب . فالحب هو معنى الحياة . ولكن البلاء هو ان الناس يلوكون كلمة « حب » بألسنتهم ، او يحركون بها اقلامهم ولكن ضياء الحب لم يندرّ على روابي نفوسهم ، فهم يخبطون في ظلام دامس . وفيما هم يزعمون انهم ينشرون الحب اذا هم يطوونه

ف : ان قلبي ليرتاح الى ما تنشر . فتفضل ارني جلياً ذلك النسيج الالهي

و : اني اراكِ تلاطفين كلبكِ فتطعمينه ، وتغسلينه ، وتمشطينه ، وتقبلينه . افيجوز ان ندعو ذلك حبًّا ؟

ف : بلى . ولكن أهذا ما تريد ان تنشر ؟

و : فاذكري اوّل كل اول حبّنا البهائم ، كالكلاب ، والقطط ، والطيور ، والجياد . واحسبْ ذلك نوعاً اولاً من الحب . ثمّ اراكِ تعطفين على خادمتكِ « هدية » . وقد قلت انك تحبينها . أليس كذلك ؟

ف : بلى اني أحبها . على اني اجد فارقاً بين خادمتي وكلبي . فكلبي ملكي ، وليست خادمتي كذلك

و : مع ذلك تحبينها . فهل تساوين بينهما ؟ واذا جاعا ، وعندك رغيف واحد من الخبز فقط ، فايهما تطعمين ؟ واذا ماتا فمن يحزنكِ اكثر ؟

ف : لا اشك في اني احرص على الاثنين . واذا ماتا فلا ادري ايهما يحزنني اكثر . على اني اشعر بميل خاص لكلبي ، لانهُ لي

و : فهل ترين ان حبك الخادمة نوع آخر من الحب !

ف : نعم . واراه حبّ استحسان

و : ولكِ ايضاً صديقة عزيزة هي « سهير » وهي شخص ثالث يتناول رعايتك . فتسهرين عليها ، وتسعينَ في مصلحتها ، فحبُّك لها غير حبك للكلب وللخادمة

ف : اني احب صديقتي سهير يا ابا

و : فهل تساوين بينها وبين الكلب والخادمة ؟ ولماذا لا ؟ وما الفرق بين الاثنين في عقلك وقلبك ؟

ف : صديقتي سهير اقرب الى قلبي ،لانها اقرب الى مستواي . وبيني وبينها تفاهم ليس هو بيني وبين الكلب او الخادمة . وطبيعي ان الحب يلد الحب .فهي تحبني حبًّا جمًّا ، هو غير حب الكلب وحب الخادمة . فأرى اني احبها غير حبيبها

و : وكلبك ايضاً يحبك

ف : ان حب الكلب لي غير حب صديقتي، اذ لا اختصاص فيهِ . فهو يحبّ ايَّا يكون مالكه . اما سهير فتختصني بالحب دون سواي . ولها عندي منزلة عالية لا يبلغها كلب ولا غزال . فهي حبيبتي بصلة التفاهم الروحي ، والمؤانسة ، ورفعة المقام ، ولانها اثمن واوثق من الخادمة والكلب

و : فحب الصديقة الودود نوع آخر من الحب . ثم ان لك والدة حنون . عرفتها وعاشرتها قبل كل مخلوق. وهي التي بكِ ، واعطف عليكِ ، من كل مخلوق . فما قولك في حبها ؟ آترين انهُ غير ما ذكرنا من انواع الحب ؟

ف : والدتي فوق كل شخص آخر . لانها احبتني اولاً . ولان بيني وبينها تضامناً ليس هو بيني وبين سواها . وهي مخلصة لي، مضحية في سبيلي باكثر مما يضحي بهِ كل انسان آخر . فانا ووالدتي روح واحدة في جسدين

و : فهذا نوع آخر من الحب

وهل يمكنكِ ان تتصوري شخصاً آخر تحبينه وتلاصقينه اكثر من والدتك ؟

ف : اذا حصل ذلك، وهو الى الآن لم يحصل،فهو نوع آخر من الحب .واظن انكِ تعنين بهِ القرين

و : اياهُ اعني . فترين ان امامنا على بساط البحث خمسة انواع من الحب ١ً حبك الكلب ٢ً الخادمة ٣ً الصديقة ٤ً الوالدة ٥ً الزوج . وهذه الانواع الخمسة متفرعة عن اصل واحد هو حب الذات . فتحبين ما ذكرنا لانك تحبين ذاتك . والمجنون ، وهو لا يحب نفسه ، او انهُ ، بعبارة اضبط ، لا يعرف ان يحب نفسه حبًّا صحيحاً ، فهو كذلك لا يحب احداً من الناس

ف : واراك لم تذكر « حب الجمال » الذي لا يبنى على حب الذات غالباً، فانا نحب الجمال لذاته

و : واي جمالٍ تعنين ؟ الجمال الجزئي ام الجمال الكلي !

ف : افهمني الفرق بينهما اولاً

و : اعلمي يا عزيزتي ان الجمال نوعان : مجرّد واضافي :

فالاضافي هو الجمال في الجميل . او هو الشخص الجميل . وهذا لا يكون الاّ جزئيًّا. كالورد الجميل، والحديقة الجميلة . اما المجرد فهو الجمال بالذات ، كالبياض غير مقيّد بالابيض ، او كالمودّة غير مقيدة بالودود . وقد اختلف الفلاسفة في أيّ الاثنين هو الموجود ، او هو الاصل في الوجود . فذهب افلاطون الى ان المجرّد هو الموجود.وان الاضافي هو ظله وظاهرته . وذهب ارسطوطاليس الى ان الاضافي هو الموجود . والمجرّد تصوُّر منتزع من متعدّد . وعنده انَّا لا نعرف

البياض ، بل نعرف الابيض كالورد الابيض ، والثلج الابيض ، والورق الابيض ، والوجه الابيض ، فانتزعنا صفة البياض المشتركة بين هذه الاشياء فقلنا — البياض — ولكنَّ البياض في ما نرى لا وجود لهُ لولا الاشياء البيضاء . كذلك رأينا الورد الجميل ، والطاووس الجميل ، والقدّ الجميل ، والوجه الجميل ، والشعر الجميل ، والصنع الجميل ، فانتزعنا الصفة المشتركة من بين هذه الاشياء ، فقلنا — الجمال — على ان الجمال لا وجود لهُ ، في عقولنا ، لولا الجميل . فالجمال والبياض وامثالهما من الكليات ، لا وجود لها عند ارسطوطاليس الاَّ في الموصوفات بهما

وسواء صحَّ رأي افلاطون ، او رأي تلميذه ارسطوطاليس ، أعني سواء كان المجرَّد هو الموجود ، او الاضافي ، فالمجرد أعم من الاضافي ، والكلي اكبر من الجزئي . هذا الجمال هو غرض النفس ، فوظيفة الذوق العقلي فينا ادراكه اولاً ، واختياره ثانياً . والرغبة فيهِ والميل اليهِ هو الحب هذا هو الفن . وهذا هو التدين . فالجمال خالق الحب ، في شرع افلاطون ، وفي من نحا نحو افلاطون . واني من اولئك الناحين

فاذا تناول الحب جمالاً جزئيًّا — فلاناً او فلانة — فهو ما يدعونهُ العشق والهوى . وهو فرع من الحب . وتختاره النفوس الصغيرة المحدودة . واكثر الناس هم من هذا الصنف . وفحوى هذا الحب : اني اريد الجميل : ان أراه : ان أتمتع بهِ : ان اتملكهُ ، وذلك اثرة ، فاحفظي هذه الكلمة « أثرة » ففيها اعظم اسرار الاجتماع البشري . ان الاثرة هي العامل في اكثر من تسعة اعشار حركاتنا ، ومصدر اكثر من تسعة اعشار بلايانا

اما اذا تناول الحب ما هو مجرد لا ما هو اضافي ، فذلك هو الفن والتدين . فالفن يتناول الكلي والمجرد لان الجزئي يؤلف عملاً فرديًّا فلا يحسب العمل الفردي فنًّا . اما المجرد فانساني ويؤلف الفن والفلسفة والدين . وفحوى حبه : اني اريد ان يتملكني ، ان يلتهمني ، ان اتلاشى فيهِ : وهذا هو الايثار . فاحفظي هذه الكلمة « الايثار » فانها ثاني آثار الآلهة فينا . والاثر الاول هو « الجمال » « فالجمال والايثار » تراث الآلهة في الناس

ف : شكراً يا والدي . اني اود ان اكون كليَّة ، فأحب الجمال اكثر مما احب الجميل . وان اكون من ربات « الايثار » لا من عبيد « الاثرة » . ولكن ما ذا ترى في الناس باعتبار الموقفين ؟

و : لكل انسان وطنان اثنان . اعتبار نظري ، واعتبار عملي . ففي النظري هو سام ، كلي مجرد . أفليس الانسان هو الذي أدرك المجرد العام الكلي ، وآثرهُ على الجزئي الاضافي الخاص ؟ ولكنهُ بالاعتبار العملي هو غيرهُ . خذي لك مثلاً على ذلك داود النبي . فهو قائد ، وملك ، وشاعر ، وتقي . ومن تصفح مزموراته لا يرتاب في عظمة شخصيته ، وجمال نفسه ، وطهارة وجدانه . على ان التوراة التي بين ايدينا تريناداود عمليًّا غير هذا الذي نراهُ في مزموراته . فقد صعد الى السطح فرأى فتاة جميلة تستحم ، فعلقها ، وافترسها ، ثم سعى لقتل زوجها اوريا واختص بها ذاته . فداود

هذا غير داود الشاب الجميل النفس . هناك تراهُ عالي الكلمة ، بعيد النظر ، نزيه العاطفة ، عظيماً محترماً . وهنا تراهُ قصير النظر ، ضعيف الارادة ، يخون الصديق ، ويأتي فعلة السفهاء

ولا أخالك تطمعين في أن ترَي كثيرين من بني حواء افضل من سيدنا داود — بحسب رواية التوراة — قال باسكال : ليس الانسان ملاكاً ، ولا حيواناً ، ولكن الحيوان متملك فيهِ

ويؤول ذلك الى استعار حرب روحية في نفس الانسان ، لانهُ يود التحرر من رق الحيوانية ، وفي وصف هذا الجهاد ما ليس في الياذة هوميروس ، ولا في الاوديسا . وقد ألمع الى ذلك الشاعر ملتن في كتابهِ الفردوس الضائع والفردوس المستردّ . وفي ملتن ترى مواقف النفس امام الجمال . كما انك ترى ذلك في كتاب « الاخلاق » لسبينوزا

ف : حسناً جداً ! واني احب ملتن واشعار ملتن ، لانها تسوق نفسي الى عاطفة عالية ، وتريني عواقب الاستسلام للهوى . وما قولك يا بابا في العشق او الهوى الشائع في الناس ؟

و : اقول لك الصدق يا عزيزتي اني لا اؤمن بالعشق والهوى ؛ بل اراهُ مرضاً في النفس على انهُ في اول اطواره لا يخرج عن النوعين المذكورين . واعلمي يا عزيزتي ان العشق ينشأ عن اصلين اثنين . الاول الوهم . والثاني الامل . فالوهم هو اعتقاد العاشق ان في المحبوب سعادته وهنائهُ . فيلوذ بهِ دون سائر الناس . وانك لتريْنَ ان ذلك لم يخرج عن « الانرة » . فاذا كان هنالك امل في الحصول عليهِ عشقهُ . والاّ فلا . فلا يعشق العاقل امراً ثورة ولا يجنُّ في ما لا امل لهُ في ادراكهِ . فالوهم والامل والدا العشق . وهو مولود سخيف غالباً . والجنون هو انصراف العقل نحو موضوع واحد لا يكترث لسواهُ . فهو عبارة عن الايغال في الوهم والامل ، او التطرف والتمادي . على ان العاشق لو حصل على من جنَّ بهِ لفتر حبه ، وتنامى غرامه . وأرى ان مجنون ليلى ، وامثاله في كل أمة ، وفي كل جيل ، ليسوا الاّ من امثلة هذه السخافة الاجتماعية . واذا ارتقى الاجتماع الانساني تلاشى هذا النوع من الحب ونسجت على تاريخه العناكب فيحذف من سفر الوجود تسعة اعشار الناظمين. ولا يشتري احد شيئاً من الاشعار الغرامية الاّ من باب درس الخرافات والاساطير التي استبدّت بالبشرية في العصور الاشد ظلاماً . وأرى ان كل رواية غرامية لا تخرج عن احد امرين . الاول استغلال اموال المشاهدين — في ردهات السينما مثلاً — الثاني ردع الناس عن الغواية والسقوط وهما الامران المؤديان الى الدملو

ف : وما قولك في الحب والزواج ؟

و : سأتكلم في هذا الموضوع في الفصل السادس من فصول هذا الكتاب

ف : وما قولك في حبي من يحبني !

و : اشرت الى ذلك في حبك «سبير» وفي حبك الوالدة. وسنتكلم عنه في باب « حوافز الحب » وهو في ما ارى من باب الاخلاق اكثر مما هو من باب الحب

ومن وظائف الذوق فلسفة الفن ، بل فلسفة الفنون وهو حب نزيه سام ، وان مازجهُ الغرض احياناً . واس هذا النوع من الحب هو حب الجمال للجمال لا لعلاقة مادية . فهو الحب بمعنى الكلمة . ودرجاته « المعرفة ، فالتفاهم ، فالميل ، فالائتلاف ، فالمودة ، فالارتياح » . وقد يشتد هذا الحب في مُثُل الفضيلة والاخلاص كحب يوناثان داود . وهو حب ديني . والديانة كالفن من اعمال الذوق العقلي الذي يدرك الجميل ويختاره . وخلاصة التدين انه استسلام القلب للجمال ، او « التجميل » فالتدين هو حب الجميل ، وهو الذي يدعوه افلاطون « الخير » والمثل الاعلى و« الجميل » وهو تعالى ، في متصور العقلاء اجمعين ، « جامعة المثل العليا » فهو الجميل ، النافع ، المؤنس ، الرفيق ، المحسن . وترتقي التدين في بعض المتصوفين الى درجة الغرام . ترينَ ذلك في اشعار عمر بن الفارض القائل : —

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشًى بلظى هواك تسعّرا

وقصائد ابن الفارض في علم السلوك — حب الله — مثل في الارض كلها

ومن هذا القبيل مزمورات داود . حبيب الجمال . ومناجاة اوغطينوس . وكتابات توما الكمبيزي . وشواعر الغزالي . ومناجاة نفث . واحلام سويدنبرغ . وعواطف محيي الدين بن العربي ، وكشف رابعة العدوية . ونظريات يوناثان اودوردس . وانانشيد فم الذهب . وتوسلات انطونيوس ابي الرهبان . يجمع هذا الصف ارق طبقات عشاق الجمال الكلي في كل العصور ، وتم الدين وقفوا حياتهم على أسمى المطالب

***

والخلاصة ان الحب فرعان نفساني وعذري فالاول خمسة انواع حب الاشياء والخدم والصديق والقريب والسند . وكله مبني على حبنا انفسنا

وفي الثاني فرعان نفسي « سيكلوجي » وأدبي « اخلاقي »

الاول حب الجميل لانه جميل . او الحب الافلاطوني . والثاني حب المتفضل وهو حب اقتصادي اخلاقي ولا انسى يا عزيزتي ان الفت نظرك الى ان الحب ليس موضوع مقالات صحافية ، بل هو موضوع شعور وحياة . ولا ارى شيئاً في التاريخ اكثر انطلاقاً من الحب . لان الناس يريدون ان يستغلوه ، فخدمتهم الحب او نداؤهم بالحب ، يشبه تصرف النادبات في المآتم ، فانهنَّ يكينَ او يتباكينَ استطاراً للدموع ويأتينَ بعد ذلك لاستيفاء الاجرة . فايغالهنَّ في اوصاف الفقيد وآلامهنَّ وتنهداتهنَّ لا تخرج عن انها تمثل لنا غيرة الصحافيين على الحب ولكن في صورة أبسط ، فالحب فوق مستوى الناس . واعظم الناس حبًّا اقلهم فيه كلاماً . وهو مجهول الحقيقة عند الاكثرين . وليس الحب علماً بل هو فيض الهي ينشأ في النفس ويغيّر أوضاع الكائنات . وأكتفي الآن بما ذكر تاركاً ما بقي من شروح الحب لوقت آخر

قصة حياة — ٣

خاتمة سعيدة

في حياة كل امرأة حادثة تفوق سائر الحوادث في حياتها خطراً واثراً في نفسها . وقد شرعت احدى المجلات النسائية الانكليزية تنشر قصص الحياة هذه من دون تنسيق او تعديل مثلا تغيير الاسم الصحيح ، فرأينا ان نختار لقراء المقتطف ما تحلو قراءته او تجل فائدته ، ففي بعضها فوائد تستطيع نساؤنا ان تقتبسها وفي بعضها مهو تستطيع نساؤنا ان تجتنبها وفيها على الحالين نواح من حياة المرأة الغربية يحسن بنساننا الاطلاع عليها !

اجمع كل اصدقائي على ان زواجي مقضيٌ عليهِ بالخيبة . وجميع الدلائل كانت تدل على ان رأيهم كان في جانب الصواب . اذ كيف تستطيع فتاة مدلّلة ان تسعد في كوخ حقير ، حيث يحتّم عليها ان تقوم بجميع اعمال البيت وحدها ، وان تبذل جهدها كل اسبوع من كل ستة لتوفق بين الدخل اليسير والنفقات التي لا ندحة عنها ؟

ولكنهم كانوا على خطإ . بل ان خطأهم كان فاضحاً . واني لأرثي لهم الآن اذ اتبيّن مدى جهلهم بالطبيعة البشرية ، لانهم ظنّوا ان الكنس والغسل والطبخ في بيت الرجل الذي احبُّ ، لا بدَّ ان تكون من البراعث على شقائي ونكدي

كان زواجنا غريباً في بابهِ . فقد كنت ابنة ثريٍّ يملك طائفة من المصانع . وكان دونلد عاملاً في احد مصانع والدي . بل ان اسرة دونلد كانت قد قضت في خدمة اسرتنا اجيالاً متوالية

التقيت بدونلد في حفلة رقص اقيمت للعمال والموظفين . وكان ابي رجلاً صلب الرأي شديد المراس ، وكان يحتّم علينا دائماً ، انا وشقيقاتي ، ان نحضر هذه الحفلات . واذكر انني كنت مستاءة كل الاستياء لتحتيمه عليَّ الحضور في تلك الحفلة . ولكن استيائي زال بعد الرقصة الاولى ، لانني تعرفت في خلالها الى دونلد . كان شاباً مديداً قوياً يختلف عن كثير من الشبان المدلّلين الذين كنت اجتمع بهم في دائرتنا الاجتماعية الخاصة . فاحسستُ في تلك الدقيقة ، ان دونلد هو الرجل الوحيد الذي استطيع ان اقبلهُ زوجاً لي

كان علينا ان نتخطّى حوائل كثيرة اعترضت طريقنا اهمها معارضة اسرتهِ واسرتنا معاً . نعم ! لقد لقينا معارضة من اسرتهِ بقدر ما لقينا من اسرتي . ذلك ان اسرة دونلد كانت معتزّة باصلها وكان يصعب على افرادها ان يتزوج احد ابنائها من اسرة تنظر اليهِ واليهم نظرة احتقار . وعلاوة على ذلك كانوا يعتقدون انني لست الزوجة التي تصلح لهُ . اذ ما هي مؤهلاتي لذلك ؟ هل اعرف او

ان اطبخ واصبح واكنس واكوي ؟ هل استطيع ان احفظ تفتت العائلة ضمن حدود دخله اليسير ؟ (وهنا لا بدّ ان اذكر ان والدي رفض ان يزيد اجور دونلد بعد زواجنا). وما كنت املك ردًّا على اسئلتهم هذه الاّ انني احبُّ دونلد وانني مستعدّة ان ابذل جهدي لاكون زوجاً صالحة له ، الزوج التي يرتقبها

ولست اباهي بانني وُفّقت فيما سعيت اليهِ . فقضينا السنة الاولى من زواجنا على خير ما يرتجيهِ الانسان من الهناءة والرغد . فكنت احسُّ بغبطة عظيمة ان عليَّ واجباً اؤدّيهِ ، بعد ما كنت احسُّ في كل ما مضى من حياتي بفراغ لا اعرف كيف املؤهُ . فلما وُلد ابني شعرت بان كأس غبطتي قد امتلأت حتى كادت تفيض

ولكن ذلك لم يدم . فكان دونلد اول من بدت عليهِ امارات القلق . ذلك انهُ كان في بدء زواجنا يبذل بعض الجهد في ان يجري على بعض التقاليد المرعية في الدائرة الاجتماعية التي ترعرعتُ فيها . فكان لا يجلس الى مائدة الطعام الاّ وهو مرتدٍ جاكتتهُ . وكان يعنى بان يعمل بعض ما يبعث السرور في نفسي او ما حسبهُ هو من بواعث هذا السرور . فأعجبت بمحاولتهِ هذه كلَّ الاعجاب . ولكن بعد قليل ، توقف عن كل هذا . ولعلّ اشقّاءهُ ضحكوا منهُ لانهُ حاول ان يقلّد قوماً لم يكن هو منهم ارضاءً لزوجهِ ، ولعلّهم لمّحوا له انهُ بدأ يتعالى عليهم لانهُ تزوج ابنة « الرئيس »

وانني لادرك ان ذلك النزاع النفسي الذي عانهُ دونلد في تلك الفترة من حياتنا كان نزاعاً عنيفاً . فقد كان ممزقاً بين محبتهِ لي واحتقارهِ الطبيعي لمن يحترم تقاليد قومهِ وطبقتهِ . فكان يقول : « ان ما كان يصلح لابي يصلح لي » ويجلس الى مائدة الطعام من دون جاكتتهِ او من دون ان يغسل يديهِ القذرتين . ومع ان حبي لهُ كان اعظم من ان يدع هذه الصغائر تؤثر في حبنا ، الاّ انهُ كان يرى نظرة الكآبة والامتعاض وعدم الرضا في عيني عند ما يفعل ذلك فيحسُّ بانهُ قد اخطأ

وبعدها اخذ النزاع بيننا يتجدد كل اسبوع او كل يوم ، مع انهُ كان في الغالب يدور على صغائر لا قيمة لها في الحقيقة

فلما كان ولدنا في الرابعة من العمر بلغت الحال بيننا من الشدة منتهاها

كان ذلك اليوم حافلاً بالحوادث الصغيرة التي لا تبعث على الطمأنينة والرضا . فلما جلست الى مائدة الطعام أنّبتُ ابننا « بيتر » على سلوكه . فانحاز دونلد الى جانب ابنهِ وقال لي بلهجة شديدة « دعي الولد وشأنه . على ماذا تريدين ان تنشّئيهِ ؟ على الدلال ؟ دعيهِ يأكل طعامهُ كما يشاء . انني لا اقبل ان ينشأ ابني مجموعة قذرة من قواعد السلوك المصطنع كأخوتك »

فاستأت لما قالهُ دونلد أمام ابننا . ولم تكن تلك المرة الاولى التي خاطبني بها بهذه اللهجة امامهُ . فقلت في نفسي أي نشأة ينشأ عليها هذا الطفل . بين والدين في نزاع دائم . فكظمت حنقي ولكنني لم استطع ان أتجاهل خوفي على مصير ولدي

وكنت دائماً أقف موقف المدافعة عن نفسي اذ يزورنا أقرباؤه زوجي ، شاعرة انهم يوجهون اليَّ النقد واللوم فيما بينهم . وكان دونلد يمتنع عن مقابلة اهلي عند مجيئهم لزيارتنا . فكان من شأن هذا التنابذ الدائم ان أثَّر في اعصابي . فأصبحت استثار لاقل حادث ، ولا استطيع ان املك نفسي عن ان استشيط غضباً في وجه ابني

عند ذلك شعرت بأنني لا استطيع ان امضي في الاحتمال ، وانه لا بدَّ لي من ان افترق عن دونلد ، لان في هذه الفرقة فائدة لي ولهُ على السواء ، فعزمت ان اعود الى اهلي ، ولو كانت عودتي وقتيةً فقط ، لعلَّ ريحاً تهبُّ فتتغير الحال

***

كان اليوم الذي اتخذتُ فيهِ هذا القرار من ايام دسمبر القاتمة الباردة . فجمعت بعض امتعتي الخاصة ، وكتبت كلمة الى دونلد بينت لهُ فيها قراري والباعث عليهِ ، طالبة منهُ المغفرة . ووضعت الظرف الذي يحتوي على هذا الكتاب في مكان يستطيع ان يراه فيهِ عند دخوله البيت ، وسعدت الى غرفتي لاعدَّ ابني للذهاب معي . واذ كنت في سبيل هذا ، سمعت باب البيت قد فتح واقفل وكنت اعلم ان احداً لا يملك مفتاحاً للدار غير دونلد . ولكنهُ لم يتعوَّد الرجوع الى البيت في مثل هذه الساعة . وسمعت خطواتهِ داخلاً الغرفة التي فيها الكتاب . ولبثت انتظر ما يكون منهُ عند قراءتهِ . فلم اسمع تأمةً . فدفعني فضولي الى النزول اليهِ . فوجدتهُ جالساً على ذراع كرسي ، ينظر الى الفضاء نظرة ساهية كئيبة ووجههُ شاحب متعب . فلما سمع وقع اقدامي التفت اليَّ وقال بصوت لم اكد أعرفهُ

« إذن هذه طريقتك الى الخلاص . اما انا فكنت قد فكرت في طريقة اخرى ... ولكن ذلك لا يهمُّ الآن »

انني احبُّ هذا الرجل . وكل طريقة يفكر فيها للخلاص مما كنا فيهِ تهمني . بل ان كل طريقة تحول دون افتراقي عنهُ تفضل طريقتي

فجثوت على ركبتي امامهُ وتوسلت اليهِ ان يقول لي ... ان يحول دون افتراقي عنهُ

وبعد قليل اتضح لي انهُ كان قد قضى الاسابيع الاخيرة يفكر في حالنا ، فتحقق انهُ يتعذَّر علينا ان نمضي فيما نحن عليهِ ، وانهُ يستحيل علينا ان نحفظ حبنا من ان تشوبهُ الشوائب اذا بقينا في بلدتنا بين اهلنا ومعارفنا . فاستقال من عمله واتفق مع احدى جمعيات المهاجرة على ان نسافر الى كندا واعدَّ جميع المعدات لذلك

الى كندا ! هناك ابدأ حياة جديدة مع دونلد وبيتر . حياة لا بدَّ ان تكون حافلة بالمصاعب والمغامرات . ولكن ذلك لا يهمني ما زلت معهما . ونحن مسافرون في صباح الغد

الملاحظة والربط والتصوير

في تعليم الاطفال بطريقة دكرولي

لمحمد حسين الخزنجي
الاستاذ بمعهد التربية بمصر (١)

﴿دروس الملاحظة﴾ الغرض من دروس الملاحظة هو تعويد الاطفال تدوين مذكراتهم الخاصة عن كل ما يحيط بهم من الظواهر وتشجيعهم على البحث عن اسباب هذه الظواهر والحقائق التي يشاهدونها بأنفسهم والتحقق من نتائجها وآثارها . كما ان دروس الملاحظة تعرض امام الطفل مشاكل الحياة المعقدة ونواحيها المتعددة بشكل عملي ملموس ، كما تفتح على التطور فيدرس تطور حياة الانسان والحيوان والنبات

وتكون دروس الملاحظة « عرضية » عن طريق الحوادث وما يقع تحت حس الطفل اثناء العام الدراسي فيلاحظ نمو النباتات في حديقة المدرسة ويترقب ولادة الحيوانات او موتها . كما يلاحظ التغيرات الجوية اثناء النهار وتعاقب فصول السنة وحركة الشمس والقمر

وليس المقصود من الملاحظة ان يشاهد الاطفال هذه الكائنات وهذه الظواهر ويتركونها ادراكا حسيًّا فقط ، بل ترمي مدرسة دكرولي الى ما هو اجدى من هذا وأنفع وهو تشجيع التلاميذ على التفكير في كل ما يشاهدونهُ ، والبحث بأنفسهم عن اسبابها ونتائجها والتغلب على كل ما يصادفهم من المشاكل

لذلك تعمل المدرسة الدكرولية على ان تهيىء للتلاميذ بيئة طبيعية يجدون فيها الظواهر والكائنات الحية والنباتات وكل ما يجب ان يتعرفه الطفل

وأساس دروس الملاحظة هو التشويق . فعليه كما يقول دكرولي يتوقف انتباه الاطفال ، وهو العامل الاكبر في النشاط والانتاج الفكري . فمهمة المدرّس هي التأكد من معلومات وتجارب الاطفال السابقة حتى يتمكن من ان يوجد لهم مواد وموضوعات شائقة طريفة لم يروها من قبل ويعمل على تشويقهم وجذب انتباههم ، وبعد ان ينجح المدرس في ذلك يشجع التلاميذ على موازنة هذه الاشياء بعضها ببعض وملاحظة اوجه الشبه والخلاف بينها والوصول الى النتائج بأنفسهم بقدر ما تسمح به درجة نموهم العقلي ، فيعرض المدرّس امام التلاميذ كميات مختلفة في الحجم وكرات مختلف الوانها ويطالبهم بموازنة أطوال الاشياء وحجومها وانواعها بعضها ببعض . والاطفال بمدرسة

(١) من كتاب « طرق التربية الحديثة » . راجع وصفه في باب مكتبة المقتطف

دكرولي يزنون الطيور بانفسهم كل يوم ويلاحظون الفرق في وزنها يوماً بعد يوم كما يقوم الاطفال ايضاً بقياس الاطوال المختلفة ويستعملون لذلك ما يرون من المقاييس كطول اذرعتهم أو أقدامهم أو أصابعهم

والغرض الذي ترمي اليه المدرسة من مطالبة الاطفال بقياس الاطوال ووزن الاشياء هو تدريبهم وتعويدهم صحة الحكم . أما ما تتضمنهُ هذه من العمليات الحسابية المعقدة كالكسور مثلاً فلا يلتفت اليها التلاميذ ولا يعطيها لهم المدرّس الا اذا كانوا في مرحلة من النمو تمكنهم من فهمها وادراكها

ويستعين الاطفال في كل عملياتهم الحسابية بالمحسوسات التي يبدأ بها الطفل تعلّم العد والحساب فتضع المدرسة بين ايدي الاطفال عدداً من حبّات الفول والفواكه والخرز والاقلام وغيرها : ويضع الاطفال الحبات الواحدة بجانب الاخرى الى عشر حبات ثم عشراً فعشرين فثلاثين الى المائة بعد ان يعدوها بالآحاد . ويستعمل الاطفال في قياس الحجوم وحدات يعرفونها ككوب الماء او زجاجة او ملعقة وهكذا

واثناء قيام الطفل بهذه العمليات والالعاب يوجه نظره الى ملاحظة خواص الاشياء التي يستعملها من حيث الصلابة والحرارة واللون والكثافة وما شاكل ذلك . وينشىء الاطفال مخازن يبيعون فيها ما لديهم من الاشياء ويشترون من زملائهم ما يحتاجون اليهِ واثناء قيامهم بعملية البيع والشراء يقيسون ويزنون ويتعلمون الحساب

ومن دروس الملاحظة ايضاً ملاحظة الوقت اثناء النهار واستخدام ساعة تعلق في الفصل لهذا الغرض ويدرَّب الاطفال على استخدامها ويتعلمون قراءتها ويوزعون بانفسهم اعمالهم على اليوم المدرسي

***

﴿ دروس الربط ﴾ في دروس الربط يشجع الاطفال على تعرف العلاقة بين الحقائق والاشياء التي يشاهدونها وتقع تحت ادراكهم وبين المعلومات والحقائق المودعة في ذاكرتهم وخزانة تجاربهم السابقة . لذلك يعمل المدرسون جهدهم لتوسيع دائرة تجارب الاطفال مستعينين في ذلك بالصور والقصص والوصف وغير ذلك من الوسائل التي تثير خيالهم وغريزة الاستطلاع فيهم وتشجعهم على البحث والتنقيب عن المعلومات المتعلقة بالارض ومن عليها وما فوقها وما في باطنها وما فيها من انهار وبحار وغابات وحيوانات فيميل بهِ بحثه الى معرفة العالم وما فيهِ من اناس واقوام يختلفون عنهُ في العادات والتقاليد فيدرس احوالهم وطرق معيشتهم ويتعرّف كيف يقضون اوقات فراغهم ويوازن بينهم وبين نفسه وبني جنسه وليس الغرض هو مجرد الحصول على مثل هذه المعلومات لذاتها ، بل المهم ان يربطها التلاميذ بعضها ببعض وان يوازنوا بين هذا وذاك ويسترجعوا معلوماتهم وتجاربهم الماضية ويربطوها ويوازنوا بينها وبين ما يجمعونه من المعلومات المستحدثة والتجارب الجديدة .

فالغرض الاساسي اذاً من دروس الربط هو مساعدة التلاميذ على استنتاج القواعد والأسس التي يحكمهم السير بمقتضاها والتي ترشدهم وتنيرلهم الطريق في حياتهم كما انها تشعر الاطفال بواجبهم نحو والديهم ونحو أبنائهم في المستقبل

فهم يتعرّفون كيف لاقى آباؤهم الصعوبات وتحملوا المشاق وكيف أعدّوا انفسهم لحياة الأبوة وما ينتظرهم فيها من مسئوليات ومتاعب

كذلك يدرس التلاميذ حياة الانسان الأول وهو في حالة الهمجية . وكيف كان يعمل العدد والآلات والاسلحة بنفسه فيقدرون بذلك قيمة الاشغال اليدوية ويوازنون بين حالة الانسان الاولى وحالته التي هو عليها الآن وما ادخل عليها من اصلاح وما إعتراها من تقدم

ولنضرب لك مثلاً لذلك:—

درس على «الخبز» . أخذ التلاميذ حبات القمح وطحنوها بأنفسهم بين حجرين كبيرين . فقد تعلموا أن هذه هي الطريقة التي كان يستخدمها الانسان الاول

شعر الاطفال بتعب شديد وبعد الجهد حصلوا على الدقيق فأضافوا اليه الماء ثم وضعوه قطعاً صغيرة بين حجرين ساخنين جداً ، وبعد ان انتهوا من خبزه بهذه الطريقة الشاقة اكلوا منه ما شاءوا وكان ولا شك لذيذاً لانه من صنعهم

***

هذا هو خبز الانسان الاول . وهذه هي معلوماتهم وتجاربهم عنه ، ولكن لا بدّ من الموازنة بين طريقة صنع الخبز قديماً وبين ما استحدثه الانسان الحاضر من الطرق

فيقوم التلاميذ بزيارة لاحدى مخابز المدينة الحديثة حيث العدد والآلات الكهربائية فيدهشون من تقدم هذه الصناعة وسرعة العملية ويوازنون بينها وبين الطريقة القديمة

مثال آخر : في دروس على «المنازل» . بنى الأطفال منزلاً صغيراً بعد ان صنعوا الآجر بأنفسهم واحضروا مواد البناء وعملوها بأنفسهم كذلك . بعد يومين من بناء هذا المنزل الذي استغرقوا فيه مدة لا يستهان بها قامت زوبعة شديدة فلما حضر التلاميذ الى المدرسة في الصباح وجدوا منزلهم قد تهدم واصبح هشيماً تذروه الرياح في حين ان مدرستهم لم تتأثر كما لم تتأثر المباني الاخرى المجاورة فأخذوا يوازنون بين طريقة بنائهم وبناء المباني الاخرى بالمدينة

وهناك أمثلة كثيرة جداً لدروس الربط والموازنة هذه فكثيراً ما يحاول التلاميذ صنع الملاعق بأنفسهم ويوازنون بين نتيجة مجهودهم وبين ما تنتجه المصانع الكبرى في المدينة كما يصنعون القبعات والملابس وغير ذلك

ولدروس الربط هـذه قيمة تهذيبية كبيرة فهي تنمي روح التعاون بين التلاميذ وتقنعهم

بحاجة الانسان الى اخيه الإنسان وهي كدروس الملاحظة عرضية تأتي عن طريق المصادفات وليست منظمة

***

﴿ دروس التعبير ﴾ يقسم دكرولي أعمال النشاط بالمدرسة التي تساعد التلاميذ على التعبير بأنواعه المختلفة الى قسمين :

التعبير الحسي بعمل النماذج والنقش والرسم والتصوير والاشغال اليدوية والتعبير المعنوي بالقراءة والكتابة والانشاء والمناقشة . وفي نظر دكرولي ان الاشغال اليدوية أهم هذه الاعمال كلها وهي تقسم في المدرسة الى عمل مشروعات متصلة بمواد الدراسة المختلفة وعمل أشياء لحديقة المدرسة يحتاج اليها التلاميذ اثناء قيامهم بتربية الحيوانات والطيور وعنايتهم بها . وتلاميذ مدرسة دكرولي يأتون في كل صباح ومعهم الكثير من الاشياء التي يهتمون بها . فهم يحضرون معهم الازهار والاحجار والصور والمجلات وغير ذلك ويترك اليهم أمر تنظيم هذه الاشياء وترتيبها ، ويرشدهم المدرّس اذا احتاجوا الى الارشاد وينصحهم اذا احتاجوا الى النصح ، حتى يقسموا ما جمعوه الى ثلاثة اقسام قسم لمملكة الحيوانية ، وقسم للمملكة النباتية ، وثالث للمملكة المعدنية . وهم يضيفون الى كل قسم من هذه الاقسام كل ما يقع تحت ايديهم يوماً بعد يوم

ولا يقتصر عمل التلاميذ على جمع هذه الأشياء وترتيبها بل هم بعد ذلك يرسمون ، ويعملون النماذج ، ويصورون بعض ما يجمعون . ويخصصون مكاناً بحجرة الدراسة يضعون فيه ما صنعوه بأنفسهم بنظام وترتيب خاص . وتجمع الصور بنظام معين فيعلق التلاميذ ظروفاً كبيرة على جدران الحجرة ويكتبون على كل منها ما يحتويه . فظرف للملابس . وآخر للطعام ، وثالث للمسكن ، ورابع لوسائل النقل ، وخامس للالعاب ، وسادس للنباتات وهكذا . وبعد ان يوزع المدرّس على التلاميذ صوراً مختلفة يطلب اليهم التمييز بينها ووضع كل منها في الظرف الخاص بها . .. وهم اثناء قيامهم بهذا العمل يذهبون ويجيئون بنظام وهدوء وحرية تامة واهتمام كبير

وهذه العملية تشجع التلاميذ على التفكير كما تدربهم على ضبط النفس وتكوّن فيهم الاعتماد على النفس وتعودهم احترام حقوق الغير . ويكلف التلاميذ البحث عن المعلومات بأنفسهم في الكتب والمجلات والجرائد والاعلانات والمحال التجارية ومكاتب السياحة وغيرها . وليست دروس التعبير منفصلة عن دروس الربط بل تتصل بها اتصالاً وثيقاً

ويشجع التلاميذ على جمع الصور والنماذج والأشياء في منازلهم وتنظيمها وتقسيمها كما يعملون في المدرسة تماماً . ولا بدّ من ان يدوّن التلاميذ بأنفسهم ملاحظاتهم وما يحصلون عليه من المعلومات اثناء دروس المشاهدة والربط والتعبير في كراسة خاصة يوضحونها بالصور والرسوم والألوان ، ويعنون بها عناية خاصة فهي عبارة عن ملخص للموضوعات التي يدرسونها جميعاً

حديقة المقتطف

الشاعر وكتابه

لشاعرة اده سات فلسفت ميلاي

لمسة

لالفونس دي لامرتين

الحرية

لتنسون الشاعر الانكليزي

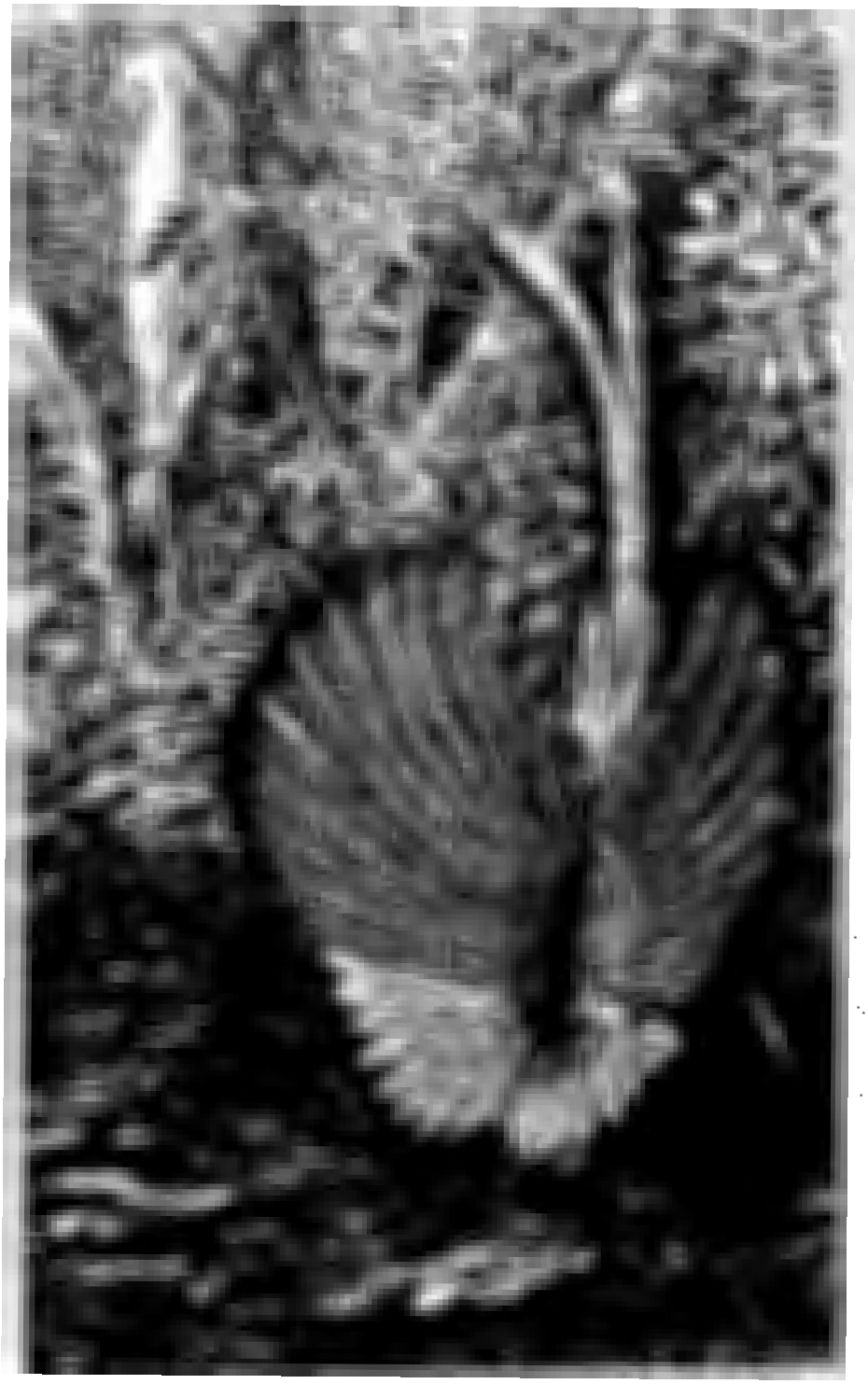

التدرج (Pheasant) وهو طائر ارضي
وهذا الصنف منه يقطن شبه جزيرة ملايا وجزيرتي جاوى وبورنيو

الشاعر وكتابه

للشاعرة إدنا سانت فنسنت ميلاى

نقلها الشاعر علي محمود طه

إلى الوراء ايها الموت

الى وجرك ايها المتلوّن المحتّال

اني استرنُّ انتامي من جذور هذا النبات

أنتبْ براثنك ما شئت ، واستثر كل ما فيك من قوة، فستجهد كثيراً ، وستغيق يضجرك ليالٍ طويلة ؛ وستطمر كثيراً من العظام قبل ان تسحق عظمةً واحدةً من هيكلي الرقيق

ومتى يدركني الموت ؟

ومتى يحل بي انقضاء ؟

اعند ما يشيع الذبول في هذا الجسد ، ويلفُّ نبات الارض هذا الرأس بستائره الشُّعر ؟ اعند ما يقف العشاق يعجبون مني ويتساءلون عني مَنْ أكون ؟ ... انا ذلك الراقد تحت اطباق الثرى محتجباً عن ضوء القمر ؟

اهذا فنائي الذاتي ايها الموت ؟ عند ما يقف هذا القلب من خفقاته فلا يردد شهيقاً ولا يصعد زفيراً ؟

أبهذه النهاية المهينة تلاشي روحي ايها الموت ؟

آه . . عند ما يذوب ثلج الشتاء ، ايها الاصدقاء ، ويساقط ذوبُهُ الرغام والهشيم فلا تبكوا عليَّ ، ولا تندبوني يا اصدقائي . .

ليس في شيء من هـذا معنىً من معاني فنائي . . . بل تحققوا موتي الخالد ، في تلك الساعة التي لا يجد كتابي قارئاً له . . . ساعة تتلقفهُ الارض ، ويطويهِ الخمول ويحجبهُ النسيان ! فلا يفتشهُ مبتدر ، ولا ترتفع لهُ صيحة معجب بالشيء الذي لم يرَ بعد ، هذا الذي تنطوي عليه صحائفه . . .

وعند ما تُرثُ كثرة العرض نسخةً من اكداسه ، فلا تجدُ من عَرَضِ الناس شارياً بعد طول انتظار ، ينقدها الثمن البخس ، او يأخذها صفقة غبن . وعند ما تلقى اكواماً مهملةً مركومة في طريق قذر ، تلطخهُ العجلات العابرة بالوحل والدَّنس

ايها المعجب ... قف قليلاً وانظر خلال غبار القرون ، وتناول هذا الكتاب ، ثم قلّبْ صفحاته المهملة ببدٍ رفيقة ، اقرأني ولا تكلّمني للموت !

تقمصُ هذه الرسائل الذّابلة ، والمس المتاعة في هذا الغلاف الحزين ، تجدني ملء قلبك وحسك ، فقد كنتُ يوماً ذاتَ هذا الكتاب !

عند ما تحول هذه الشرايين الباقة في جسم الارض ، فانظر الى هاتين المحجرين الغائرتين ، تحت هذا الحَبِّ الناهي المتوفز لعودة الربيع ، وهو يخترقهما بجذوره المنطلقة انطلاق النبازك المنقضة ، واشهد هذه العروق الورديه ، وهي تهوى الى قرارة هـذا الأصيص[1] الاسود ثم تنفتل لتصوّب صعداً كالما تتنسم المطر !

ايها الصبيّة ... ايتها الصبايا ، اذا ، استلقيتم تحت هذا السياج ، واخذتم بأسباب النجوى ، اذكروني ولا تكلموني للفناء ...

ايها الشبان ... ايتها الشابات ، انتم ايها المتخطرون في الغابات محدّقين إلى مطلع الغار الوردي ، مستغرقين في البكاء والعتاب ، امزجوني بعهودكم ووعودكم

(١) المقصود جمجمة الشاعر

لا تتركوني للموت ، ايها المزارعون الراشحون تحت الغيم الرقيق ، وتحت الشمس المتلألئة ، واذكروني عند ما تهيئون حصادكم، وتجمعون الحبّ من ذوائب الشجرات اليابسة ، وعند ما يلوّح لقحُ الظهيرة القائظة ثمر الترصاد[٢] ، فيستحيل جنيّ شهيًّا .

وانتم ايها الرعاة المتطلعون من اعالي التلال ، حيث المروج الخضر وسنانة تحلم بجلجلة الاجراس ، مُسرنةً في اعناق القطيع الأمعط

وانتم ايها الملاحون ، ايها الصارخون في صخب العاصفة ، ايها الصيادون التأهبون في صقيع الشتاء وفي بُهر الجليد الأشهب
اذكروني ولا تكلوني للموت

ايها الرجال ، يا من تشتهون الرقاد ، ويا من يشترون باليقظة لحظات من المرح ، اذا ما مرّت اغنية قديمة ، ذات روعة وصفاء ، فاذكروني ، إنها صادرة مني

ايتها النساء المكدودات ، ايتها المتلمسات بعضاً من الراحة ، الى ان يغلي التدر ، انتزعن مني بعضَ السلوى وخذنَ مني مسراتكنّ . وانتنّ ايتها الباكيات في اعماقهنّ حتى لا يكدرن بالبكاء نوم الرجال ، امزجنني ببكائكنّ . .

ايها الاطفال ، ايها السارقون من ضحكات العجائز ، لتركعوا عند جذع منقّط بالندى ، او تحت طنف تزويه الاشجار العارية ، لتتلندوا بأحاديث القداسة والحب ، واقاصيص الابطال واللصوص ، واساطير المرَدَة . اذكروني ولا تكلوني للموت .

ان الشمس التي تضيء في الليل ، والجبال الراسية على هذه الاودية ، تحملني الى النور حيث اشارفكم من هذه النافذة ، واغاديكم منها كهذه الطيور المرفرفة عليها

وانت ايها الحصّاد الا امض في عملك ، واغمرني بوابل من حصيدك ، ثم ثنّ بهذا المعول ، فستنفرط عقود كثير من الازهار ، وسيسقط كثير من الاكاليل وضفائر الذهب ، وسأمضي انا في غنائي حيث تطمر هذه الاكوام صامتاً ساقياً في الأرض

(٢) التوت

المساء

للفونسي دي لامرتين

نقلها جورج يقولاوس

المساء مجلبة للهدوء والسكينة ، فكنت آنس بوحشته وافزع اليه في همومي واشجاني : ملتمساً مقعدي فوق الصخور الجرد ، وانا اتلبع في أرجاء السماء ، مركبة الليل تتقدم بهائها وجمالها

لقد بزغت آلهة الجمال في الأفق ، وتحت قدميّ الكوكب العاشق يتطلع اليها بشغف وهيام ، وقد لمع ضياؤها البهي في الفضاء ، فبيّض على الغبراء ، بساط العشب الاخضر

وكنت اراعي شجر الوان ذا الورق الاكمد الداكن ، وأسمع حفيفه ، والرعدة التي تتمشى بين اغصانه ، فيخيّل اليّ ، اني محاط بأجداث عدة ، قد رفرفت حولها ارواح الموتى ، وأشباح الدُفَناء

فانفصل من السماء فجأة ، شعاع من كوكب الدجى . منسلاً على جبيني المغضّن ، حتى مسّ عينيّ بليته ولُدُونته

ايها الشعاع الزاهي ، لأنت العكاس فتّان لنور الكرة الملتهبة ، فماذا تبغي من مجيئك اليّ ؟ أأتيت لترفّه عني بعض ما بي ؟ ام لتدخل الى قلبي المهدوم نور نفسي المتلألىء ؟

انزلتَ من عل ، لتكشف لي سرَّ الحياة المخفي ، وتبدي ما استتر من امور ذلك الكوكب ، الذي يعيدك اليه اول خيط من خيوط الفجر ؟ او ان ارادة مضمرة ارسلتك الى صرعى الشقاء ، لتثير دياجير قلوبهم ، كما ينيرها شعاع الامل ؟

او هل اتيت لترفع حجب الخفاء عن المستقبل المكنون ، فتنفس عن القلوب الكليمة النعبة ، التي تبتهل اليه وتضرع ؟ . . انشدك الله ان تخبرني ، ايها الشعاع السماوي ، هل انت فجر اليوم الذي ليس له إنتهاء ؟

ان فؤادي يتأجج تحت اضوائك ، ومشاعري تفيض من جوانب نفسي ، فافكر والاسى يقطع نياط مهجتي ، بالذين رحلوا دون عودة ، فهل انت ايها النور الهادىء رسولهم اليّ ؟ او روحهم السارية اقبلت تعطف عليّ ؟

ما يدريني ، قد تكون ارواح الاموات السعيدة عادت الى الارض ، بعد ما هزّها الشوق الى من خلفتهم فيها ، فتزلق على اديمها متغلغلة بين الادغال ، ومتجلببة بصورها الاصلية ، فيخامرني بقربها مني ، هناء يأسر لبي ويستولي على مشاعري

لئن كنتِ انتِ ايتها الاشباح المحبوبة ، فعودي كل ليلة ، لتنفسّي اليّ في تأملاتي وأحلامي ، بعيداً عن كل بشر ، ومعتزل عن كل جلبة وضوضاء

ارجعي الطمأنينة والحب الى احضان نفسي المتعبة ، وكوني لها رداً وسلاماً ، كما تكون للارض ، نقطة الندى الليلية ، التي تسقط بعد حمارّة النهار ، ولواذع نيرانه

هلمي اليّ . . ولكن ما هذا ؟ . . غبرة داجنة ، وبخار اسود داكن ، يتصاعد من حوافي الافق واطراف الفضاء ، بشكل مرعب مريع ، فيحجب ذلك الشعاع الدرّي اللطيف ، ويعاود الظلام الارض والسماء ، ويتلاشى كل مرئيّ في غياهب الحلك ، كما تتلاشى الحياة في مهاوي الزمن

الحرية

لتنسون الشاعر الانكليزي (١٨٠٩ — ١٨٩١)

جلست الحرية في القدم على الاعالي، وكان الرعد يلمع عند اقدامها
وكانت السموات المكوكبة ترنح فوق رأسها وفي اذنيها صخب اصطدام الثيارات

جلست هناك مغتبطة، تنوعاً بمقلها الكشاف، ولكن مقاطع من صوتها
الداوي جاءت محمولة على اجنحة الريح

ثم هبطت الى الحقول والمدائن واختلطت بالبشر وازاحت النقاب رويداً رويداً
واشرقت بوجهها الكامل على الناس

يا أم الاعمال الجليلة الفخمة، الراتية الينا من مذبحها،
يا من تحمل كالارباب الشوكة المثلثة، وتلبس التاج كالملوك

ان عينيك الصريحتين تطلبان الحقيقة. ان فيهما الف سنة من الحكمة
يا ليت الشباب الدائم يحتفظ بنورهما متلألئاً فلا تغشيه الدموع

يا ليت قوامك الحسن يظل منتصباً لامعاً يضيء ايامنا ويخفف قتام احلامنا
ويحتقر بشفتيه القديستين اكاذيب المتطرفين!

باب المراسلة والمناظرة

صورة فلحية

أمين يحيى باشا

بقلم فتولا شكري

اصبحت التجارة اليوم من الاعمال التي لا غناء لها من تعرف اسرار النفوس ونزعاتها . ونواحي التأثير فيها . وأساليب اقناعها وارضائها ونحن شعب اولي في كل ما يتعلق بالعمل . ولا يزال يعوزنا النشاط العملي الذي نستطيع به ان نكافح القوة التجارية التي يطالعنا بها الاجنبي في الاسواق المالية ، لاننا لا نستطيع ان نجاريه في بسيكولوجية التجارة ونحن نفتقد كذلك قوة الاعلان والمزاحمة في متاجرنا ، اذ كنا نقنع منها بالسكون والصمت ، والتجارة من الاعمال التي لا بد لها من الضجة والمناداة والصراخ في آذان الجمهور ، واكتساب البقاء في ذاكرته ، ونحن نفتقد الاثرة التجارية التي تجعل الانجليزي لايشتري الا من اليد الانجليزية والمصنوعات الانجليزية وكل ما هو انجليزي ومن هنا اصبح التاجر الوطني الذي ينجح في وسطنا هذا ويزكو متجره رجلاً يحمل ارادة قوية مدعشة . وهو من اكبر العارفين بعلم النفس ، لانه لم ينهزم في السوق التجارية الممتلئة بتجار الغرب ودهاته ، وعرف كيف يقاوم العوامل الاهلية العديدة التي تعمل على محاربته وهزيمته . ولهذا كانت البيوتات التجارية العملية قليلة لدينا ، وذلك لانها فقدت التشجيع الاهلي الذي يعينها على ان تجاري البيوتات الافرنجية المتكاثرة العديد بيننا ، ولان كل عمل صالح في هذا البلد كبير الاثر في الحياة المصرية لا يجد شيئاً من عناية الشعب واحتفاله والموآزرة له اذ كنا نعيش عيشة مفككة الرابطة ، ليس عليها اثر ما من الظواهر الاجتماعية التي نراها في الشعب الحي المتماسك النشيط . ومن هنا كان خليقاً بأهل الصحف ان يتوفروا على تشجيع البيوتات التجارية ومعاونتها على عملها ، وبث روح التنافس بين اصحابها ، حتى تكون لنا شخصية تجارية صحيحة ، وحتى تحبس الثروة الاهلية في ايدينا ، ونصبح بعد زمن كما ينفخر الانجليز اليوم شعباً من اصحاب الحوانيت

ونحن ازاء هذا قد عولنا على ان نقدم الى القراء كلمة موجزة عن بيت من البيوتات العملية الكبيرة وهو بيت يحيى باشا والفرد العصامي الاول الذي ترجع اليه شهرة هذا البيت هو المرحوم الحاج احمد يحيى باشا عميد الاسرة وكبيرها وكانت وفاته سنة ١٩٢٣ وقد قضى شيخاً تجاوز الثمانين قطع الحياة عملاً وصلاحاً وبراً ، والرجل ذو القوة الرهيبة في الاسرة ، هو عامل من عوامل صلاحها واستقامتها ونجاحها ، لانه يرسل في جو البيت انفاس الجلال والنظام والهدوء والصلاح ، ويجعل

جميع افرادها يتبعونهُ في مبادئه واخلاقه وجميع شؤونه والاسرات التي يسود شبابها وفتياتها ورجالها لا يكون فسادها الاَّ عدوى من فساد الرأس الذي يسيطر عليها ، واذا كان ذلك كذلك فلا غرو ان يذهب ذلك الشيخ الجليل المأسوف عليه تاركاً لسحتين كاملتين مثلهُ . وهما نجلاه امين باشا وعبد الفتاح باشا وقد قام الاول على اعمال ابيهِ التجارية يزيد فيها ويهذب من امرها ، ويسير فيها على طرائق من حسن المعاملة والاستقامة والشرف . فلم يلبث ان صار في الصفوة البارزة من رجال المال والاقتصاد في مصر ، ونهض مثالاً فريداً نادراً على النبوغ القومي الاخاذ ، خليقاً بموضع الفخار بسعة اطلاعهِ ، وغزير مادته

وأمين باشا مثال الشخصية الوقور المحترمة ، والجنتلمانية البادية على اكملها في المظهر والكياسة ، والتزام المنطق في البحث ، وأدب الجدل والحوار ، ولطف المدخل على النفوس ، بجانب ثقافة ممتازة ، واطلاع واسع وخبرة تلازمه في كل الظروف ، وهو الى هذا كله صريح . طيب القلب ، صافي النية ، رقيق الحاشية ، حرّ السجايا ، ذو افكار جريئة ، وتعبيرات رقيقة يفيض بها كالسيل الدافق في غير مشقة ولا عناء ، سامي المكانة عند رجال المال ، بارز في الندوات الرفيعة ، والمحافل العالية

وقد ولد امين باشا في الاسكندرية ، وقضى طفولته في بيت الجاه والحسب ، ورأى المرحوم والده ان يأخذ ابنه حظه من علوم الدنيا فألحقه بمدرسة الفرير ، فكانت المعارف الاولى التي اضاءت ذهن امين الفتى هي تلك المعارف التي يعنى بثها جماعة الفرير باعتبارها عنصر مدنية وحضارة ، فزكّى بذكائه وعقله كل افرانهِ فيها وقد كان حقاً ان تهادى طفولته في الهناء من التربية الصحيحة ، فحرص في اثناء دراسته على ان يشبع رغبة نفسه في دراسة آداب اللغة الفرنسية على شيوخها البارزين ، ثم لم يمضِ بعد ذلك غير قليل من الزمن حتى تفتحت حياته للناس جميعاً ، اذ انتظم في سلك موظفي البنك المصري فأحرز في الزمن القصير سمعة طيبة ارتفع بها اسمه وطارت شهرته

ثم اضفى عليه النبوغ حلة من نباهة الصيت في مطلع شبابه . فآثر الاعمال الحرة مع المرحوم والده ، وكان ذلك بداية مجده المادي . واتفق انه زار الماريشال اللورد اللنبي ابان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وأخذ يدلل له على وضاحة حقوق المصريين وعدالة مطالبهم ويهيب به الاَّ ما عمل لحقن الدماء البريئة . ثم دار الحديث حول النهضة الاقتصادية في مصر فقال له الماريشال انكم معشر المصريين لا تحذقون أساليب التجارة ولا غناء لكم عن الاجنبي وقد كانت هذه الكلمة صيحة قوية داوية اثارت وطنية امين باشا وهزت شعوره القومي فخرج من مجلس اللورد محموماً واخذ يعد العدة لانشاء الشركات وتحقيق المشروعات المالية والاقتصادية فأسس في تلك السنة شركة التجارة في المحاصيل المصرية . وفي سنة ١٩٢٤ اسس شركة المكابس وفي سنة ١٩٢٥ اسس شركة السيكورتاه وفي سنة ١٩٢٩ اسس شركة الملاحة وهي اول شركة وطنية للملاحة انشئت في مصر والى امين باشا ينسب فضل التقدم والابتكار في انشاء هذه الشركات المالية الكبرى على حد قول الشاعر : —

. . . ولكن بكت قبلي فهيج بي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وقد يصعب على من يتأمل شخصية امين يحيى باشا ان ينجو من تأثيرات العمق والرزانة التي يكاد يعد رمزاً لها. وهو بطبيعة العمل الذي ينهض به يتمثل فيه التدبير وصدق النظر. ورغم انه قد جاوز الستين فلم يفارقهُ نشاط الشباب بل ان الانسان لا يستطيع ان يستخلص من اعماله غير دلائل القوة والحزم والميل الى الانشاء فان المهمة التي أداها حتى الآن في مضمار الحياة الاقتصادية تدل على المواهب العظيمة التي اوتيها في سبيل تحقيق المشروعات الحيوية

واذا اردنا ان نتكلم عن هذه المهمة فلا بدَّ لنا ان ندرك بادىء ذي بدء المصاعب التي تعترض في الاحايين اولئك الرجال الذين يعملون للنهضة التجارية وهو كما نعلم سبيل شاق يحتاج دائماً الى ذكاء وتدبير وقوة على المغالبة . وقد تمثلت هذه المزايا كلها في شخصيته وفي هذه الدائرة سيظل اسم امين باشا قدوة للنشء الذي يتحتم عليه ان يسير في الحركة الاقتصادية الى الامام فانا بمقدار ما نخبر الصعاب التي تكون عادة في الطريق المحفوفة بالمنافسة والعراك وتعني بها طريق التجارة والاقتصاد نستطيع ان ندرك القوى العظيمة التي اختصَّ بها رجل عصامي استطاع في وقت وجيز ان يحقق عدة من المشروعات لخير هذه البلاد ونهضتها ويضع في الوقت نفسه قواعد الاشتراك في العمل للمستقبل ويبني بيده تلك القنطرة العظيمة التي ستمر عليها الذريات المصرية الى الشاطىء الجديد لمصر الناهضة

ونرى ان مجرد التفكير في ان مصر بلد زراعي قبل كل شيء وان استعداداته التجارية لا تزال محدودة وان الاجانب ما زالوا يحيطون حياة التجارة والمال بسياج من المنافسة العميقة التي تحميها الامتيازات يوحي الينا بقدرة امين باشا وذكائه وخبرته وما أوتي من قوة على مغالبة العوائق وان يلعب الدور الذي تقتضيه الظروف لاحياء الاقتصاد الاهلي وان ينحو على المثل الاوربية في انشاء المشروعات التي تستحث النشاط العملي في المدينة وتبعث في الوقت نفسه اجهاداً مثمراً وبالاختصار استطاع ان يرسم طريقاً للعمل في تشييد مستقبل جليل للاسكندرية . فهو صاحب الفضل في تأليف الاتحاد السكندري سنة ١٩٢٧ وهو الاتحاد الذي يجمع النخبة المستنيرة من رجال المال والاعمال لتجديد حياة هذا الوطن التاريخي وانهاضه وان يبلغ من الترقي درجة يتفوق بها على سائر حواضر البحر الابيض المتوسط . وقد كانت كفاية امين يحيى باشا لهذه المهمة العظيمة . ومقدرته على تحقيق الغاية مثلاً يخلد اسمه وكان موفقاً الى احراز ثقة الذين استطاعوا ان يدركوا هذه الحركة النشطة وذلك الذكاء الفذ وكانوا وما زالوا أغلبية كبيرة تثق بعواقب هذه الحركة في مستقبل مصر القريب

ويزداد اهتمام امين باشا بكل فرصة لمنافسة الغربيين ومباراتهم في اقتباس المثل والوسائل التي يتسع بها مدى الترقي وتكمل اسباب النهضة واننا نستخلص الدليل على ذلك من تصريحات أدلى بها الى مراسل المقطم في باريس عن الغرض من رحلته الاخيرة الى اوربا ويستدل منها على مقدار الازدراء الذي يصدر من رجل الف الاعمال نحو النظريات والاساليب الناقصة وكيف ان

الاشتغال في الدائرة المادية لا يعرقل العمل المبني على العلم والاطلاع وان الذكاء لا يزال القاعدة الرئيسية في بناء الاعمال العظيمة . ونحن اذا واجهنا مشروعات امين يحيى باشا وطريقة اتباعه للاساليب المستحدثة في التجارة والانشاء نطلع على علم واسع ودراية وخبرة مدهشتين . وجلي ان طبيعة العمل للترقي والعمران لا تخلو من جفاف وانها تحتاج الى مرانة طويلة ومناضلة ومقدرة حقيقية على التحقيق وان توفر ذلك من الحظوظ التي لابد ان تتفق للرجل الطموح الذي يعمل للغايات الانسانية النبيلة . وفي الحقيقة ان نجاح امين باشا في هذه المهمة الحيوية ونتائج علاقاته الواسعة بالاوربيين قد عادت على البلاد بخير كثير وبالاخص من الناحية الانسانية . وحسبنا ان نذكر مشروع مستشفى الموآساة الذي لا يزال يحتاج الى كثير من تضامن المصريين وجهود رجال ذوي ثقة كبيرة ومناقب عظيمة . ولاشك ان هذه الجهود التي لا يزال المصريون يجنون ثمارها جديرة بالتأمل وان تظل قدوة للجيل الحاضر وسفراً يحوي كثيراً من مبادىء الاصلاح والعمران . هذا الى العمل الخالد الذي نعده اجل عنصر في حياة امين يحيى باشا وهو رآسته لغرفة التجارية المصرية ومساعيه في سبيل توسيع اعمالها وازدهارها وقديماً كانت الاسكندرية مركزاً يجمع شتى العلاقات الخاصة بالتجارة والملاحة ويوضح لنا ان ثمة سعياً قوياً مستمداً من تاريخها يدل عليه عمل الغرفة وتوفيقها اخيراً لمضاعفة نشاطها في سبيل النهضة . ولاشك ان اشتراك امين باشا كرجل خبر المسائل التجارية طويلاً يكفل ترقي الغرض الذي انشئت من اجله الغرفة ويرقي الناحية الاقتصادية ويوسع في الوقت نفسه العلاقات ووجوه التعامل بين التجار

هذه الصفحة الخالدة من التاريخ الحديث لمصر تنسب كلها الى مجهودات زعماء الحركة الاقتصادية التي يعد من أئمتها امين يحيى باشا . ولا شك في ان مظاهر التقدم الاقتصادي التي تحيى بها هذه البلاد اليوم مدينة في الكثير الى ذلك الاسم ويعظم تقديرنا لمهمة امين باشا عند ذكر الشركات التي أسسها وعلاقتها بحياة مصر المستقبلة من الناحية المادية فان انشاء هذه المؤسسات وحده يمثل نظاماً من احدث نظم الحياة المادية في الغرب المتمدين وكأن سعادته قد اخذ على عاتقه ان يخلي مصر من عبء عظيم فاستطاع ان ينهض بتحقيقه لكي لا يعاب على الجيل الحاضر نقص النظام الاجتماعي . وفي الحق انهُ برهن على ذكاء وجرأة واطلاع واسع في سدّ الحاجات التي لا بدّ منها لترقي المجتمع وسيبقى اسمه مقترناً بنتائج المهمة التي تؤديها هذه الشركات لمصر . وسيذكر تاريخ مصر الحديث ان احد ابنائها العاملين بعد ان وصل الى القمة في الدائرة التجارية وكان في الوقت نفسه مشاركاً في كثير من المقتبسات المستحدثة لبعث تاريخها اسس لتوسيع نظامها الاجتماعي وتكميل اسباب حياتها المادية عدة شركات تجارية كبرى . ولا شك في ان الاساليب المستحدثة التي اتبعها امين باشا في تكميل نظام العمل في مصر تكفل وحدها تخليد ذكره

على ان من يلاحظ ما خلفه العصر القديم من آثار الخمول وعدم الاطمئنان للمستقبل في طبقات الشعب المصري يدرك مقدار الجرأة التي ابداها سعادته في سلوك هذا السبيل وكيف قام وظهر على

جميع منافسيه ولم يبال بأقوال الذين كانوا يحسدون فيه الرجل التجاري العظيم الخبرة الواسع الاطلاع وبالاختصار نقول ان حياة امين باشا يجب ستظل عنصراً هاماً من عناصر تاريخ مصر الحديث

وهناك ناحية اخرى ليست مجهولة في حياة امين باشا وهي تلك الناحية المتعلقة بالحقبة التي ظل يدافع فيها عن مصالح الاهلين في القومسيون البلدي وكيف انهُ بقي محتفظاً بثقة تامة فيما يختص بالخبرة وصدق النظر وانهُ عمدة في الرأي وان ثمة حاجة دائمة الى استفتائهِ في كثير من المسائل . وقد بقي ذلك الى ما بعد تخليهِ عن عضوية القومسيون وإنا لا ننسى موقفهُ في الخلاف الذي نشأ بين البلدية وشركة النور بشأن ثمن الاضاءة وتدخله المحمود في مقاومة جشع الشركة وكيف استطاع ان يجعل قرار القومسيون وقتئذٍ بلا جدوى بعد ان تبين انهُ على نقيض مصلحة المدينة وان ينال بتا لهُ من النفوذ والثقة بتأييد الوزارة وترجيح مصلحة الاهلين

وهكذا يحتفظ لهذا الرجل القدير الى الآن بميزة تدل على خبرته الواسعة وقوة نفسه في الرجوع اليهِ غالباً عند الفصل في المسائل الهامة المتعلقة بالمدينة

ونحن نستطيع ان نستخلص من كل هذه المجهودات الحيوية وطنية حارة واخلاصاً عملياً منتجاً لمصر . فقد كان امين باشا ولا يزال حافظاً لهذه الميزة دون ان يحيطها باعلان عن نفسه مطلقاً وهو يعلم انهُ يعمل لاسمى غاية والى غرض هو اشد ما تحتاج اليهِ مصر في حاضرها ومستقبلها . ونرى ان هذه الشخصية التي اقتحمت الحياة المدنية بجرأة ولم تبال بالمصاعب ستظل موضوع اعجابنا واعترافنا بالجميل

إرشاد لغوي

في كل جزء كلمة

للاستاذ عبد الرحيم بن محمود

الوصفة

وقف القرّاء في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٤ على أن القَدَمِيّة هي أجرة الطبيب فعلينا ان نحييها حياة طيبة ونميت فِزت الانكليزية (visit) وفزيت (visite) الفرنسية

وفي هذا الجزء أرشد العرب والمستعربين إلى إحلال (الوصفة) مُحَل رشتّه التي تداولتها الخاصّة مثل العامة بألسنتهم ويراعهم وهم يعلمون أعجميتها

في محيط المحيط «وصف الطبيب للمريض وصْفَة بيّن له ما يتعالج به والاسم — الوصفة —» وقال الحريري من مقامته العمانية : فإنك ستجد مني عرافاً كافياً ووصافاً شافياً — أي طبيباً ماهراً

ومصادر الهيئة (النوع) من الأعمان الثلاثية مقيسة فلا اعتراض عليّ فيما قلت ولكن لتطمئن قلوبكم أيها القراء عرضت صيكم ما في محيط المحيط — وقد فتشت الوصفة في كتب الطب عند المتقدمين من المستعربين في « تذكرة داود » وكتاب الرحمة في الطب والحكمة وفي غيرهما والعامة يفتحون الواو فيقولون الوَصفة وهم يريدون الهيئة وهو خطأ منهم فإن أرادوا المرة فلا أراهم مخطئين وليس هذا مقامها

ولمستدرك أن يستدرك قائلاً إن تخصيص الوصفة بالدواء الذي يصفه الطبيب فيه حجر على حرية معناها فالوصفة تبيّن كيف يُصنع الطعام والشراب والدواء وكل شيء لإبانة حال كلّ. فأدفع استدراكه بأنه لا مانع من تخصيص العام إذا اتفقنا عليه كما فعلت العرب في هذا وفي غيره وما صاحب محيط المحيط بمفتر عليهم الكذب لمّا روى في مادة وصف ما روى ونقلته عنه ومن حسن الاتفاق اتفاق الافرنج والعرب على تخصيص العام في هذا المقام فالفعل اللاتيني receptare معناه يتسلّم ويأخذ أي شيء ومنه رشبيتا recepta وقد اخذ الفرنسيون منهُ رِستّ recette والايطاليون ricetta ريتشيته[1] فاستعملوها في الوصفة للدواء سواء أكان مركباً أم غير مركب على ان التسلم بلغ الغاية في العموم مع البعد الواو الوصف وما أخذ منه كالوصفة عام فتخصيصه بوصف الدواء وإبانة أجزائه التي يتركب منها إن كان مركباً ليس في الاسم اللاتيني فإذا ساغ لكل من الامتين الايطالية والفرنسية الاخذ من اللغة اللاتينية لفظاً تارة بمعنى التسلّم أي الاخذ وطوراً بمعنى وصف الدواء فلم لا يجوز لنا نحن المستعربين ان نخصص الوصفة ببيان ما يتعالج به المريض كما قال المؤلف لمحيط المحيط

وقد وهم من قال « الوصفية » هي الورقة التي يكتب فيها الدواء فاننا في غنية عن هذه النسبة لان الوصفة علم جنس على هذه الورقة التي يكتب فيها الدواء بعد تشخيص هذا المرض لان القلم قام في الدلالة مكانية مقام اللسان محادثة . وقول صاحب محيط المحيط (الوصفية حال الوصف) معناه شأن الوصف . على ان الورقة حاملة للوصفة تولاً والاوصية حاملة للوصفة عملاً والثانية مسببة عن الاولى وقد يطلق السبب ويراد المسبب كما يطلق الملزوم ويراد اللازم وكذلك العكس بالعكس في كلّ — وهذه من سبل المجاز المرسل وهو من المجاز اللغوي . وإني أرى اللفظ العامي رِشتّه أقرب إلى الكلمة الايطالية منهُ إلى الفرنسية وقد تقدمتا — ولا يخفى عليك أن الاشتقاق من اللاتينية في هذا المقام قد انتقل من طور إلى طور حتى بلغ هذا الطور في تينك اللغتين[2]

---

(١) ويقال ان ricetta مأخوذة من recipe وتنطق بها ريتشيتّه أي الاخذ ايضاً وفعله ريتشيري recipire وهذان المصدران صحيحان في اللغة اللاتينية لانها مختلفة اللهجات فلا غرو اذا اختلفت فيها الكلمات وان لم يختلف المعنى

(٢) توجيه : زاغ البصر في مقالي السابق بمنتطف ديسمبر سنة ٣٤ عن تحرير الكلمة (تلك) من المثال المطبوع (في تلك اللغتين العربية واللاتينية) والصواب في تينك الخ لان الاشارة الى اللغتين والخطاب للواحد المذكر في السطر التاسع عشر من الصفحة ٤١٠ «

حول ارشاد لغوي

«قدمية» في العامية ايضا

رديف عباسي

قرأت مغتبطاً في المقتطف الاغر ما اعتزم عليه الاستاذ الفاضل عبد الرحيم بن محمود من مطالعة قرّاء المقتطف عند آخر كل شهر بكلمة يحقق فيها لفظاً لغويًّا مفيداً فيفيد الجاهل علم ما لم يعلم وينبّه الغافل الى ما أهمل . وكانت كلمة الشهر الفائت في لفظة «قدمية» التي استعملها اطباء العرب القدماء لمثل ما تستعمل له كلمة « ڤزيت » الافرنجية هذا اليوم ، ولكن اطباء العصر الحاضر اهملوا استعمالها ، او على الاصح : لم يهتدوا اليها ليستعملوها ، فاضطروا مرغمين الى استعمال « ڤزيت » الاعجمية للدلالة على الاجور التي يتقاضاها الطبيب مقابل سعيه الى المريض في بيته او في محل عيادته

قرأت الكلمة وشعرت ، وأنا اقرؤها ، كأن هذا اللفظ الذي انتدله الاستاذ من هوة النسيان ليس بالغريب عن ذاكرتي ولا بالطارىء على وعيي . بل لقد تجاوب في نفسي الالفة والخلو المطلق من الغرابة . فرحت اكد الذهن واداور الخاطر ، وسؤال على شفتي : متى وأين ؟ وأخيراً فطنت الى ان الامر اقرب مما توهمت وذكرت انه من الالفاظ الشائعة على ألسنة العامة في سوريا الجنوبية (وأعتقد شيوعه في بقية انحاء سوريا) الى حد الابتذال . وعلى كل فقد انهيت تسعي عندها وقلت ، ايعقل ان يكون العامة احصف من الخاصة واكثر حفظاً لدرر اللغة من الاطباء والمتعلمين؟ ألا يكون ان اللفظ شائع على السنة العامة لغير المعنى الذي يراد من كلمة «ڤزيت» ؟ وضمني الى رهط من الاصحاب مجلس بعدها بيوم ، فأحببت ان ازيل الشك بطريقة عملية ، فسألت : ماذا تقولون اذا شئم التعبير عن الاجور التي تدفع للطبيب اذ يزور مرضاكم والمهندس اذ يكشف على بيوتكم المتعددة وموظف الحكومة اذ تكلفونه الكشف على عقار او خلافه ؟ فكان الجواب بلسان واحد من الجميع : «قدمية». وعندها ايقنت اليقين كله ان اللفظ دارج على ألسنة العامة مستعمل لمثل ما تستعمل له كلمة « ڤزيت»

وعبرة هذا ان العامية التي نبالغ في احتقارها واوراية عليها تحتفظ لنا في صدرها بكثير من الدرر الغالية . وما علينا لنالها الا ان نكون مفتحي البصائر والابصار بعيدين عن العجرفة واحتقار كل ما كان عاميًّا او منسوباً الى العامة . اذا فعلناها تيسر لنا ، ولا ريب ، ان نرد كثيراً من اللفظ العامي الى اصوله الفصيحة التي كثيراً ما تكون مهجورة ، فنسمها بذلك نسيم الحياة ونعيدها سيرتها الاولى . ونخدمنا هذه العامية ايضاً اجلّ الخدم اذا اتخذناها دليلاً وهادياً الى كثير من الالفاظ الفنية العملية مما كان سائراً على ألسنة الخاصة حيناً من الدهر ثم غاب — لسبب من الاسباب — من كلامهم ، وظلّ دائراً على السنة العامة كلفظة « قدمية » السابقة ، مثلاً . وفرق كبير بين ان يعمد الباحث الى المعاجم والمظانّ اللغوية يفتش عن اللفظ يراد للتعبير عن معنى من المعاني المحدثة ولا دليل له الا صبره وجلده ، وبين ان يعمد الى هذه الامهات ، واللفظ العامي الذي يعبر عن المعنى دليله وهاديه

الموضوع في الفلسفة وعلم النفس

ليعقوب فام

قدمت لقراء المقتطف كتاب الاستاذ مظهر سعيد والسيدة قرينته فردّ الاستاذ في مقتطف دسمبر الماضي وعرج في ردّه على ترجمة كلة « Subject » فقال « وكنا نرجو كذلك ان لا يترجم كلة Subject بموضوع لانها تأتي بهذا المعنى في الانشاء ومواد الدراسة فقط اما في علم النفس فتدل دائماً على المجرب او الذات او الشخص او الفاعل اما الموضوع فترجمة object والكلمة لم ترد في كتابنا بهذا النص كما قد يفهم القارىء »

وقد كنتُ اود ان ينتبه الاستاذ الى ان الكلمة Subject لها معان مختلفة بحسب الوضع الذي تستعمل فيه ، فلها معنى في الفلسفة وآخر في الانشاء وثالث في علم النفس

في الفلسفة تعني الذات العاقلة المفكرة التي تتصل بالدنيا الخارجية وتحاول ان تتعرف طبيعتها وأصولها وغاياتها . وقد استمرت الحرب في الفلسفة في وقت من الاوقات وما زالت مستمرة الى الآن حول اثر هذه الذات او هذا العقل في مظاهر الكون هل هي كائنة مستقلة عن العقل ام هي مظهر من مظاهر هذا العقل وهذان المذهبان هما (١) Naturalism or Realism و (٢) Idealism or Subjectivism وهناك استعمال ثان لكلة Subject وهو في الانشاء او موضوع الدراسة كما جاء في كلام الاستاذ في المقتطف

وأما في علم النفس التجريبي وفي التحليل فكلة Subject معناها object of study or experiment فالمريض بأي مرض نفسي اسمه Subject والشخص الذي يخضع للتجارب النفسية تجرى عليه اسمه Subject وهذا هو موضوع الدراسة او موضوع التجربة او موضوع العلاج

وما كنت لارى داعياً الى التبرؤ من استعمال هذه الكلمة « موضوع » Subject في كتاب الاستاذ ، وما كنت لارى داعياً الى التنبيه الى انهُ لم يستعملها بهذا المعنى قط ، لان الواقع انه في كتاب الاستاذ بالذات لا يصح ترجمة Subject الاّ بكلمة موضوع لأن كل من يحاول ان يقوم بالتجارب المفصلة فيه هو experimenter ومن تجري عليه هذه التجارب هو Subject او هو موضوع الدراسة والتجربة . ولعلّ استعمال الكلمة في الفلسفة وفي الموضوعات الانشائية حمل الاستاذ على الظن بأن ترجمتها بالفاعل أصح

ثم ارجو ان لا ينسى الاستاذ مظهر ان ثورندايك وباڤلوف ووطسون وبركس وغيرهم من علماء النفس التجريبيين كانوا يجرون تجاربهم على ناس وعلى حيوانات كبيرة وصغيرة وكانت هذه الحيوانات their subject وكانت هذه موضوع دراستهم

مكتبة المقتطف

صوت كتاب

الاسلام والحضارة العربية [1]

اللهم اني اسألك السداد ... وبعد فلو ذهبت استقصي للقارىء ما لهذا بنفسي وأنا اقرأ فصول هذا الكتاب لخرجت به من حدّ عرض فكرة الكتاب الى بسط فكرتي عن الاسلام وحضارته والعرب وثقافتهم التي اختبأت في دمائهم وعقولهم وألسنتهم من اقدم عصور التاريخ ثم تنفست بالاسلام كما يتنفس الفجر ضوءاً وحياةً وهمةً وشباباً وأنا هنا اجمع بين الامرين على ما يحفّ بذلك من عنت ومشقة

والمؤلف الجليل الاستاذ كردعلي يقصّ على القارىء في مقدمته قصص كتابه فيقول «لما قرر المجمع العلمي العربي» يعني بدمشق «انتدابي الى تمثيله في مؤتمر المشرقيات الذي عقد في مدينة ليدن من بلاد القاع في صيف ١٩٣١ رغب الي اعضاؤه المفكرون ان ألقي فيه جملة اعرض فيها لما لا يزال يسري على اسلات اقلام بعض مؤلفي الغرب، ولا سيما علماء المشرقيات، من امور نائية عن حد التحقيق والنصفة، كلما ذكروا الاسلام واهله والعرب ومدنيتهم». ثم يقول

«وسبيل هذا الموجز الآن، تصحيح هفوات من أساؤا وما برحوا يسيئون للعرب ودينهم ورسولهم ومدنيتهم؛ وذكر ما أثرته الحضارة العربية في أمم الغرب والشرق، وما مني به الاسلام، لما غير اهله ما بأنفسهم، من خضراء غير رحماء، فألوا من روحه وجسمه، فالتاثت أحواله، وتكدرت معالمه، والالماع الى ما قام به المسلمون بعد طول الهجعة، يلوبون على استعادة مجد اضاعوه، وعلقوا اليوم يقطعون اليه اشواطاً، حتى لم يبق امامهم غير مراحل لبلوغ الغاية»

في هذا الكفاية لمن يريد ان يكون رجلا عربيًّا من نسل ذلك الشعب العجيب الذي بدّد جيوش الأمم الطاغية في اول أمر الاسلام، وانشأ على انقاضها اجتماعاً اسلاميًّا عربيًّا كلهُ نجدةٌ وعطفٌ وعدلٌ. وفي هذا الكفاية وفوق الكفاية للذين يتولون أمر التعليم في الامم العربية ليهبّوا من غفلتهم، وينظروا إلى ما يحاط به مجدهم من كيد وقتال

إن العار أن يقضي الشاب من أول نشأته إلى آخر خروجه من دراسته — أعواماً طوالاً يدرس في اثنائها تاريخ نابليون وأمته، وفلاناً وفلاناً من افذاذ الامم الغربية، وهو لا يعرف من ماضي امته العربية الا نتفاً تذهب مع الأيام. هذا الماضي الذي يصوره الذين يتعرضون للتاريخ من مستشرقين يقولون غير ما يعلمون او يقولون فيما لا يعلمون، او عرب قد فسدت قلوبهم على تاريخهم

(١) تأليف الاستاذ كردعلي لجنة التأليف والترجمة والنشر. مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤ الجزء الاول

فهم يستقيدون لآراء عن تاريخهم كلها بهتانٌ وتدليس . هذا الماضي الذي يصورون في صورة مسخٍ تاريخي هائل قد خرج على الدنيا كما يخرج الوباء ثم انقشع عنها فأعقبها صحة وعافية او كما يقولون!!

الاّ ان الضلالات التي احاطت بالتاريخ العربي والاسلامي لهي من اسوإ الضلالات واشدها واعصاها على العلاج . فاذا لم ينتبه العرب والمسلمون الى تاريخهم تنبه المريد الى ما يريد اعانوا في الامم ذات الهمم كما يعاث الملح في الماء وأضحوا بعداً لا يجتمع لهم شمل ولا يؤوي آخرهم الى مجد اولٍ يلوذ به او يستعصم

هذا وقد استوقفني من كلام الاستاذ كرد علي الذي رويته آنفاً قوله يذكر « ... ما قام به المسلمون بعد طول الهجعة يلوبون على استعادة مجد اضاعوه ، وعنقرا اليوم يقطعون اليه اشواطاً حتى لم يبق أمامهم غير مراحل لبلوغ الغاية » ! !

اني لاقرأ هذه الكلمات فتتمثل لعيني (خريطة) العالم العربي الاسلامي من اقصى الشمال الى دنى الجنوب ومن مشرق الشمس الى مغربها ، وأعرض قول الاستاذ على امةٍ امةٍ من بلادنا فلا اجد قوله يرتاح الى واحدة منهن . هذه هي السلاسل وهذه هي القيود ، وهذه بعض الامم عرح في طول من سلاسل الحديد طرفها بيد المستعمر فيخيل الى الناظر ان ما بهذه الامم من المرح والنشاط هو انحلال من السلسلة وما هو به إن هو الاّ بعض الغفلة التي نحن فيها الى الاذقان مقحمون

ان الاشواط التي قطعتها هذه الامم فيما يسمى حضارة او ثقافة هي غير الاشواط التي يجب ان تقطعها الى الحضارة والثقافة . وان السبيل التي مضينا فيها غير السبيل التي فرض علينا سلوكها ان اردنا ان نبلغ غاية يقال لها « لم يبق امامنا غير مراحل »

أين الأمة الاسلامية العربية التي يريدها الاستاذ على ما فهمنا من فحوى كلامه . . . . ؟ أين الرجل العربي المسلم الذي يرتفع في الجو كما ترتفع الطائرة التي تحمل أسباب الموت ودلائل الحياة ثم ينقضُّ كما تنقضُّ القذيفة من علیائها فلا تذر من شيء الاّ أتت عليه فجعلتهُ هشيماً تذروه الرياح

إن أمامنا مراحل أولها مهد الطفل العربي الرضيع . وآخرها هذا القبر فاغراً فاه يلتقم ما تمخضه الحياة من الابدان العربية ذات السيادة والحضارة والاخلاص والعدل

فالنظر إلى هذا المهد الذي لا يخرج منهُ الاّ الضعيف والمهزول والاعزل الذي لا سلاح لهُ في الحياة ، وهذا الذي ينام على هدّات الجبال وقصف الرعد وخواطف البروق ، وهذا الذي يمشي حيران ليس لهُ هادٍ ولا دليل ، وهذا المولود الخريع الجبل الذي يتثنى ويتبرج « تبرُّج الانثى تصدت للذكر » كما يقول ابن الرومي

ثم انظر الى هذه المدرسة التي لا يخرج منها الاّ الادعياء واشباهُ الادعياء ممن استودعوا اجاجهم عقولاً غير عقولهم ، واذهاناً غير اذهانهم ، وصاروا اتباعَ كلّ ناعق

ثم انظر الى هؤلاء وقد ساروا في سبيل الحياة والعمل كما يسيرُ ذوو العاهات فمنهم الاعرج

والاكتع ومقطوع الساقين ، والاعمى الذي لا يهتدي والفيلسوف الذي لا يعقل ....؟!

ثم انظر وانظر ... هل ترى الا اقوالاً ملفقة قد لبست ملابس الفلسفة والعلم والادب، وتكلمت بها افواهٌ تتعاقل على الناس وليس لها من ورائها عقلٌ مستور قد فرّ معنى المجد او الحرية او الاخلاص او المعنى الذي يتبع الانسان اينما سار او حلّ ، ذلك المعنى العظيمُ الذي لا يغفلُ عنهُ الاّ من لا حياةَ فيه ألاَ وهو الموت

اني لأبكي ..... وآسي ... و... الخ حين اذكرُ هذا ، واعلمُ اني اتكلم بمثل هذا عن امةٍ انا منها وهي مني ، وانه ليحزنني ان لا اجدَ متدوحة عن القول ، ثم لا اجدُ معدًى عن استقصاء التصريح في هذا القول . فان الدنيا كلها تسيرُ وتعدُّ من اسباب القوة والجبروت ونحن لا نجد لدينا من اسباب ذلك الاّ ألسنة .... !! وما تنفع الالسنة في زمن ألسنته غير هذه التي خلقها الله وسوّاها من لحمٍ ودمٍ

اذ اردنا ان نكتب هذه الكلمة التي كتبها الاستاذ فتقول « قد قطعنا اشواطاً ونحن الى الغاية ولم تبق الاّ مراحل » فان امامنا اهوالاً واهوالاً لا بدّ من ملاقاتها والتمرّس بها تمرّس المسارع المفتول الساعدين بالاسد المصور الجائع الذي يريد ان يملأ معدتهُ ليتضلع من طعامهِ ويبسط اهابهُ المنضل في ضحى الشمس تماماً لمتاعهِ ولذتهِ

البيتُ العربيُّ الاسلاميُّ الذي يخرج رجلاً يقفُ في مهبّ الريح يملأ رئتيهِ من الهواء النقي استعداداً لطلب العيش الذي هو المجد

والمدرسة العربية الاسلامية التي تخرج رجلاً كالاسطول المدرع بالعلم والفلسفة والخُلُق والقوة البدنية والمكتسبة والتي هي الحرية

والاجتماع العربي الاسلامي الذي يفرضُ على كل رجل ان يعمل ثم يعمل في غير وهن ولا ضعف باذلاً روحهُ الفردة في غير شح ولا بخل لتنالَ الارواحُ جميعها الحياة المتوّجة بالمجد والمحفوفة بالحرية والتي هي السيادة

ان لكل امة تطلب مجدها وحريتها وسيادتها اسلوباً متبعاً وسبيلاً مقررة لا عِوَجَ فيها ولا أمْت ، فلنطلب لانفسنا اسلوباً وسبيلاً ولنشيء بيوتنا ومدارسنا واجتماعنا نشأة أخرى غير هذه التي نحن عليها من التقليد المريض الذي ذهب بشبابنا واستهلك مادة الحياة فينا

هذا التاريخ الذي يصححهُ الاستاذ كردعلي في كتابه هو اولُ ما يجبُ على البيت والمدرسة والصحافة والاجتماع ان تصححهُ في اذهان الاطفال والشبان والمثقفين من الرجال والنساء . وهذا الاسلوب الاجتماعي الذي نعيش فيه يجب ان يغير من اوله الى آخره حتى يصبح رجولةً عارفةً منثيبة لا تهزل ولا تثقل . وهذا الموج الراجف علينا من اقطار الارض بالفتن والبدع لا بد من تقديم الحيطة له في العقول والابدان . والاّ فنحن الى هلاك لا الى غاية لم يبق منها الاّ مراحل

اني لأرى في هذا الكتاب الذي بين يدي انواعاً من الفكر وألواناً من القول كلها يؤدي الى مثل الذي نقول به ونعمل له ، وهو دليل نافع لكل من يريد ان يقف على حقيقة ما يحيط بأمته من الكيد والطمع ... ولا ارى لعربي فضلاً عن متعلم فضلاً عن مثقف وفضلاً عن رجل يطلب المجد والحرية . مندوحة عن الاستفادة منهُ مع التاريخ الذي يردُ شرعته من اصوله وكتبه

ان امامنا المراحل كلها الى غاية المجد فلنمهدْ بتكوين ما يؤدي اليها وان في حقائق ما يحيط بنا لحافزاً الى العمل والاخلاص والنهوض والمبادرة الى ما ليس منهُ بُدٌّ . وان في التاريخ العربي لعبرة وان فيه لأمثالاً من المجد والعدل ، وان فيه لصوراً من الحرية يجب ان يتمثلها كل عربي — مادام حيًّا — بين عينيه أنى سار وحيثما نزل وفي هذا الكتاب أطرافٌ من كل ذلك . فنعمَّ الله يحدث لنا من بعد هذا ذكراً في العالمين

محمود محمد شاكر

الشخصيات البارزة التاريخية

بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي — صفحاته ٢٢٧ قطع المقتطف

كان كاتب هذه السطور مولعاً من حداثته بتراجم العظماء . فقرأ اولاً كتاب سرّ النجاح الذي ألّفه صموئيل سميلز ونقلهُ الى العربية الدكتور صروف رحمهُ الله . ثم أكبَّ على تصفُّح مجلدات المقتطف يطالع فيها التراجم التي انعوت عليها ومنها تراجم لكبار الساسة مثل بسمارك وغلادستون او لكبار القوّاد كالاسكندر وهنيبال وقلب الأسد ونبوليون او لكبار الادباء والشعراء من مراز تنيسُن وكبلنغ وملتن وأبي العلاء ، او لكبار العلماء والفلاسفة امثال طاليس وغليليو ونيوتن وارسطوطاليس وسبنسر ، او لكبار رجال المال والأعمال امداد وكفلر وروتشيلد وكارنيجي وفورد ، او لكبار الروّاد من غرار سكوت وبيري وشاكلتن واضدادهن . وقد تركت هذه المطالعة في نفسهِ اثراً عظيماً تحوَّل بعد الدرس والاختبار وموالاة المطالعة في كتب التراجم ، الى اعتقادهِ في ان خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزادة منها ، هي ادماج الحقائق في صلب تراجم العظام والعظيمات . وكذلك يستطيع الطالب ان يستوعبها من دون عناء او كدّ وهو يطالع حوادث السيرة بما فيها من نزاع بين المادة والروح ، وصراع بين عوامل الطبيعة وقوة المشيئة ، وترفع عن الصغائر ، وعناية بالاركان ، وخلود الذكر بعد خمول واضطهاد في الحياة على الغالب

وهذا الاعتقاد حفزه الى اصدار بعض هذه التراجم التي نشرها المقتطف مجموعة في كتب «اعلام المقتطف» و« الروّاد » و«رجال المال والاعمال» . وينتظر ان يظهر كتاب «اساطين العلم الحديث» في المستقبل القريب

قدّمنا هذه الكلمة بين يدي كتاب الدكتور احمد فريد رفاعي ، للدلالة على شدة عنايتنا بهذا الضرب من الادب العالي ، الذي يلخص الحياة في سيرة رجل او سيدة ، وشدة حاجتنا اليهِ كذلك . ففي مدى عشر صفحات او عشرين صفحة يتسع للكاتب ميدان السرد التاريخي القصصي ، والتحليل

النفسي ، واستخراج العبرة الخلقية والاجتماعية . وهذه العناصر في الكتابة «البيوغرافية» رفعت كتب التراجم في الأدب الأوربي والأميركي الحديث حتى كادت تساوي القصص والروايات في رواجها وسعة انتشارها

أما صديقنا الدكتور رفاعي فقد جمع بين دفتي كتاب واحد سير طائفة من الناس قد لا تجمع بينهم جامعة ما ، الا جامعة العظمة الصحيحة والأثر الجليل في فائدة أممهم وأوطانهم . نجد بينهم السياسي بسمارك ، والصحافي بولك ، والصناعي المخترع نورد ، والمحررين توسان ولنكلن ، والتاجر ولورث ، والمربي بوكر وشنجطن ، والخليفتين العظيمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب . فسيرهم في هذا الكتاب اشبه بمرايا تعكس نواحي مختلفة من الحياة لا تم الثقافة الا بتدبرها جميعاً

وليس الغرض الذي توجه اليه المؤلف تصوير العصر الذي نشأ فيه كل منهم وسرد حوادث حياتهم تفصيلاً ، لانهُ لو قصد الى ذلك لما اتسع الكتاب الواحد لاكثر من ترجمة رجل واحد . بل غرضهُ رسم صورة لحياة الرجل واثره لا تحتوي على اكثر من الخطوط البارزة في حياته وعمله . ثم استخراج العبرة من ثناياها . وهو يعمد الى طريقة السرد حيناً والى اسلوب المخاطبة احياناً . فيخاطب القارىء كأنهُ يذكره بشيء يعرفهُ ، ولهذه الطريقة اثرها في استرعاء نظر القارىء واستدراجه . ثم انهُ يعمد في الحين بعد الآخر الى قطع حبل السيرة على القارىء ليلقي عليه عظة في العبر الخلقية والاجتماعية التي يقتضيها السياق . والاستمرار بهذه السير مقصد جليل وانما كنا نفضل ان يترك ذلك للقارىء يستخلصهُ بنفسهِ من الحوادث ووقعها واثرها او يشار اليهِ من طرف خفي . اذ لا يستطيع قارىء ان يطالع سيرة نورد الا ويدرك ما للمثابرة والابتكار والمقدرة على التجدد من الاثر في نجاح الصانع والتاجر ، ولا يسعهُ ان يقرأ ترجمة لنكلن من دون ان يدرك كيف تسخر الحياة جسماً من لحم ودم في سبيل اغراضها العليا ، فترفعهُ من الكوخ الخشبي الى القمة ثم تضحي بهِ راضية ليكون مصرعهُ ذكرى خالدة لمتق العبيد والاحتفاظ بوحدة الامة الاميركية . والمثل الاميركي يقول « ان صوت اعمالك يصم اذني فلا اسمع ما تقول » وهو قول ينطبق على فعال هؤلاء العظماء

وخلاصة القول ان كتاب الدكتور رفاعي هو على حد قول الاستاذ مكرم عبيد « كتاب ضروري . بل هو ألزم ما يكون لأمة ناشئة كأمتنا ، شعرت بكامن شخصيتها . . . . . فدراسة الشخصيات البارزة . . . . تنمي الشخصيات الناشئة وتبرز الشخصيات الكامنة . . . . وهي ضرورية لنا نحن المصريين . . . . . لأن سير العظماء والبارزين لا تدرس في مدارسنا الا بطريقة عرضية ضمن دراسة التاريخ ؛ ومن المحزن اننا ونحن أغنى امة في التاريخ ندرس التاريخ دراسة جامدة لا روح فيها ولا حياة ، فتراه يدرس في مدارسنا من ناحية الحوادث لا من ناحية الاحياء الذين ينفخون في الحوادث روحاً من روحهم . . . . »

التجارة الدولية

بحوث اقتصادية — للدكتور احمد محمد ابراهيم — مكتبة الاقتصاد السياسي — ٢٠ شارع سليمان باشا بالقاهرة صفحاتها ٢٧٩ قطع المقتطف — لم يذكر اسم المكتبة ولا ثمن الكتاب

ان القول بأن المباحث الاقتصادية لها مكانة خطيرة في دراسة العمران الحديث ، قول كالاوليات الرياضية لا يحتاج الى دليل . فللانتاج الاقتصادي في كل بلاد من بلدان الارض اثر مباشر او غير مباشر في وضعها السياسي وصلتها بالبلدان الاخرى ، ورفاهة شعبها وثقافته . وليس ثمة بلاد تستطيع ان تبتّ روابط الاتصال الاقتصادي التي تربطها بالبلدان الاخرى وتعيش بمعزل عن الناس . اذ لا نعرف بلاداً — حتى ولا الولايات المتحدة الاميركية — تستطيع ان تستنبط من ارضها جميع الحاجات التي تحتاج اليها في صناعاتها ومرافقها العامة . فتبادل مواد الزراعة والصناعة ، على اختلافها وما يقتضيه ذلك من تبادل المال، ركن اساسي من اركان العمران الحديث . وقد اصبح له من الشأن في هذا العصر ، حتى ان جفافاً في اميركا او فيضاناً في الصين او استنباط آلة جديدة في اميركا ، او وقوع فضيحة مالية في باريس ، او إقبال في مواسم روسيا ، يؤثر في الحياة الاقتصادية في مختلف امم الارض ولو لم يكن بعضها متصلاً اتصالاً مباشراً قوياً بتلك البلاد التي حدث فيها الجفاف او الفيضان او الاستنباط او الفضيحة او الاقبال

فأسلاك الاقتصاد الدولي، الخفية تربط بين امم الارض ربطاً اوثق وأقوى من ربط حبال النحاس وامراس الكتان . وهي لشدة تأثيرها في اتجاهات السياسة العامة والخاصة تسيطر على الاحوال العامة وما يصحبها من اضطراب او استقرار ، من غلاء المعيشة او رخصها ، من فورة النزعات القومية الجامحة او سكونها ، من ميل الى الحرب والفتح ، او رغبة في السلام والوئام .

فدراسة التجارة الدولية، دراسة انسانية علاوة على كونها دراسة عملية مادية يحتاج اليها التاجر والممول وموظف البنك وتلميذ التجارة العليا

ومن هنا في رأينا فائدة هذا الكتاب . انهُ يجمع بين دفتيه اهم ما تريد ان تعرفهُ عن تاريخ التجارة الدولية وقواعد الربح فيها وميزانها الحسابي وتوازنها والصرف الدولي «الكامبيو» وقواعده والعوامل التي تؤثر فيهِ وتسوية ديون الحكومات الخارجية وتدخّل الحكومة في الصناعة والتجارة وحجج اصحاب حرية التجارة وحجج انصار حمايتها

كل ذلك وغيره مما يتصل بهِ تراه مفصلاً احسن تفصيل في ابواب هذا الكتاب . ولكنك في الوقت نفسهِ لا تستطيع ان تطالع هذه الفصول الا وتخرج منها وقد قويت فيك النزعة الانسانية ولبُّها ان المصير الاقتصادي في امة من الامم لا يمكن ان ينفصل عن المصير الاقتصادي في الامم جميعاً ، وأن نكبة تصاب بها امة لا بدّ ان يكون لها دويٌّ وأثر في سائر الامم ، وان التعاون القائم على احسن من التقاطع والتبادل هو الركن الصحيح للاقتصاد الدولي

والكتاب نفسهُ يدلُّ على سعة اطلاع مؤلفهِ وحسن بيانهِ في موضوعات لا تزال في حاجة الى تذليل مصطلحاتها العربية . وفي كل صفحة من صفحاته تقريباً اسناد الى الثقات من كتب الاقتصاد وعجلاته الكبيرة . فاذا قرأه التاجر اصاب فيه فائدة عملية لأنهُ يبسط له معقدات العمليات التجارية والمالية الدولية واذا قرأه غير التاجر اصاب لوناً نفيساً من الوان الثقافة الانسانية العالية

مذكرات

بقلم الامير امين ارسلان صفحاته ١٣٨ — مطبوعة طبعاً متقناً في المطبعة التجارية في بوينس ايرس

الامير امين ارسلان سياسي وكاتب ، تولى المناصب العالية في بروكسل وباريس وبوينس ايرس فكان فيها مثال الغيرة على المصالح القومية وسالك براعتهُ بالمقالات الاجتماعية والبحوث التاريخية فبلغ شأواً بعيداً في البلاغة والدقة . يلم بالموضوع الذي يتناوله من جميع نواحيه ، ويمدهُ في الاستقصاء اطلاعه على الحوادث الشرقية في الثلاثين السنة الاخيرة اطلاعاً لم يتح الاَّ لقليلين من الناطقين بالضاد لاتصاله الوثيق برجالات العرب والترك البارزين

وهو لبعده الآن عن التأثر بالعوامل السياسية المختلفة ينعم فيما يكتبه — خاصة — بثقة تُنزل كلامه منزلة التاريخ الذي يستطاع التعويل عليهِ

للامير امين مؤلفات عديدة باللغة الاسبانية كان لصدورها الدويّ القصي في الهيئات الادبية العالية في الارجنتين ، وله كذلك مؤلفات باللغة العربية اقبل عليها محبو المطالعة المفيدة اقبالاً يستحقهُ ما سطّر بين دفتيها . وبالرغم عن المهام التي تلتهم وقته فان سلسلة كتبه لم تنقطع ؛ وقد اصدر مؤخراً الجزء الاول من مذكراته وفيها وثائق سياسية هامة يرجع عهدها الى ايام كان قنصل الدولة العثمانية في عاصمة البلجيك سنة ١٨٩٨ . وهو يصف لك في هذا الكتاب كيفية قطع العلائق السياسية بين فرانسا وتركيا من جراء دين صيرفي ويكشف القناع عن السبب الذي دفع بملك بلجيكا الى رفض قبول سفير عثماني ، ويتناول ذكر خطة سياسية حربية بين اليابان وتركيا لسحق روسيا ، ويطلعك على مقدمات قتل قنصل روسيا في مانشوريا على اثر انتهاء الحرب الروسية اليابانية ، ويبين لك المصاعب التي اعترضت قنصلية تركيا في عاصمة البلاد القضية

هذه الفصول الهامة التي كان الامير من ابطالها ، مكتوبة باسلوب سهل لا تعقيد فيهِ ولا ابهام تغلب على معظمها الصبغة الروائية بحيث لا تحمل المطالع — المحدود الثقافة — على الملل منها . والى جانب هذه الميزة — وهي ليست بالضئيلة — نجد اهميتها من الوجهة التاريخية وهي تلقي شعاعاً على حوادث كثيرة تبدو متناقضة في الكتب التي تبحث في الشؤون التركية — العربية الاخيرة

نحيي الامير على هذه الخدمة الادبية القيمة ، آملين ان يبرّ بوعده فينشر في القريب العاجل مذكراته عن « تركيا الفتاة » ولا نشك في انها ستفوق من حيث خطورة شأنها

فاصمة الارجنتين — الياس قنصل

طرق التربية الحديثة

للاستاذ محمد حسين الخزنجي

تكرم صديقي الاستاذ الخزنجي فاهدى الي كتابه « طرق التربية الحديثة » فقرأته من اوله الى آخره بما في ذلك مقدمته ومراجعه وحواشيه ذلك لان الكتاب يستحق ان يقرأه كل انسان يهتم بشئون التعليم والمدارس ، لا بل يجب على كل المثقفين الادباء والعلماء وارباب الفنون ان يقرأوه لانهُ في الواقع كتاب فذ في اللغة العربية لم يسبق ان وضع مثله بهذه الاستفاضة والتطويل في شرح طرق التربية الكثيرة التي تتبعها المدارس في الغرب . وقد عرض فيه الاستاذ النظم التي تتبع في خمسة انواع من المدارس ، وهي طريقة منتسوري ودالتون ودكرولي والمشروع وجيري ، عرضها جميعاً بشكل مستفيض واف يكفي لاعطاء القارىء فكرة صحيحة عن جميع هذه الطرق ، لا بل تكفي لمن ليس له المام قط باحدى هذه الطرق ان يعرف مزايا الطريقة وعيوبها ويستطيع ان يرى لنفسه ايها تصلح لبلادنا

ولا اظنني مستطيعاً ان اوفي هذا الكتاب حقه من المديح والثناء لانهُ يتبين للقارىء لاول وهلة ان واضعه محيط بما يجري في دوائر التعليم احاطة شاملة ، يستطيع من يقرأهُ ان يرى ان الاستاذ اكبَّ على دراسة هذه الطرق دراسة وافية ، والواقع اني استطيع ان اقرر من معلوماتي الخاصة ان الاستاذ الخزنجي هو من اكثر شبابنا موالاة للدرس والاطلاع ، وانهُ يقف كل اوقات فراغه على هذا الضرب من النشاط دون غيره

ولي نقد على الكتاب ، وهو ان طريقة المشروع فيه لم تنل حظها الواجب لها من الاستفاضة في الشرح والتفصيل ، وكان يجب ان تستغرق معظم فصول الكتاب لانها في رأينا خير الطرق في التربية ، وهي اولى بعنايته من سواها ، ولكنهُ على ما يظهر سئم الاطالة في الكتابة وكلٌّ من البحث واراد ان يتعجل ظهور الكتاب وكان من نتيجة ذلك ان خسرنا كثيراً ولم يكسب هو شيئاً

قابلت الاستاذ بعد ان قرأت كتابه ، فقلت « ما هذا يا استاذ ؟ » فقال كنى اني اعرف ما تريد ان تقول ، واعرف موضع العتب ، واعرف اني اذنبت ، واني سأكفر عن هذا الذنب بوضع كتاب خاص لطريقة المشروع ، وسأفعل ان شاء الله » واني اظن انهُ سوف يفعل

واظنني لا اكون مغالياً اذا قلت ان اي مكتبة عربية تكون ناقصة نقصاً معيباً اذا لم يوجد فيها هذا الكتاب ، وارجو من وزارة المعارف ان تضعهُ في كلّ مكتبة تصل اليها يداها ، لانهُ لا يمكن الاستغناء عنهُ بحال من الاحوال

انا لا ازعم مطلقاً ان الكاتب اتى بشيء جديد في موضوع التربية والتعليم ، وانا موقن ان الاستاذ نفسه لن يزعم هذا الزعم ، ولكن هذا الكتاب شيء جديد في اللغة العربية ، جديد على الذين لم يطلعوا على هذه الابحاث في اللغات الاجنبية ، والحق اني معجب بهذا الكتاب ، واني قرأته مرة وسأقرأه مرة اخرى

يعقوب فام

احسن ما كتبت — هدية مجلة الهلال

اجاد محرر هذا الكتاب في وصف المصاعب التي يلقاها من يحاول ان يؤلف مجموعة من هذا النوع قال : — وقد يبدو وضع هذا الكتاب من أسهل الامور وأقرب الاعمال . والواقع ان العناية التي بذلت فيه فاقت كثيراً من المجهود الذي يبذل في غيره . ذلك لان الموضوع دقيق ، ينشر الى الحيرة، وهذه الحيرة هي التي اعترتنا واعترت بعض الادباء الذين اقترحنا عليهم ان يهدونا بأحسن ما كتبوا أو نظموا . فمنهم من عارضنا بقوله : إن افضل التفضيل هذا مستحيل بين الآثار القلمية للكاتب الواحد ، لانهُ يعتبر مقالاته ومؤلفاته كأولاده لا يفضل احدهم الآخر . ومنهم من رأى ان احسن ما كتبه لم يكتبه بعد ، لانهُ لم يرض حتى الآن عما كتبه ، وليس لديه أحسن ولا حسن ... ومنهم من اعترض على كلمة «احسن» ورأى ان تغير بكلمة «اصدق» فهو يقترح علينا ان يكون الموضوع « اصدق ما كتبت » لان الكلام لا يكون حسناً الاَّ اذا كان صادراً عن شعور صادق . ومن بين هؤلاء جميعاً طائفة — على الكثرة — اجابتنا الى اختيار احسن ما كتبته في رأيها

ولكن هذه المصاعب لم تحل دون احتواء الكتاب على قطع شعرية ونثرية من ابلغ ما خطه اعلام كتابنا المعاصرين ، وان كان نصفها تقريباً مما اختارهُ المحرّر لا الكتّاب، تنتقل فيه من علم الى ادب الى اجتماع الى شعر عالٍ الى فلسفة وتاريخ فكأنك في روض مونق فيه كل ضرب من الاشجار والازهار تسترعيك الوانها الزاهية وروائحها العطرة ويشجيك تغريد الاطيار في اغصانها . انهُ والحق يقال « انثولوجي » بديعة للادب العربي الحديث

مجلتي

طال ارتقاب الجمهور لمجلة الاستاذ العماوي الموسومة باسم « مجلتي » ، فلما طلعت عليهم في اول دسمبر الماضي لم تخيّب ظنهم في ذوق صاحبها وحسن استعداده لخدمة الادب العربي والاجتماع المصري . فقد وعد في مقدمتهِ الموجزة ان يجعل القصص عمادة مجلته ، وقد برَّ بوعده : ففي العدد الاول تلخيص بليغ لقصة شانتكلير بقلم الاستاذ الطوخي الجميل بك رئيس تحرير الاهرام ، وفصل من رواية تمثيلية للكاتب المجيد توفيق الحكيم . وتلخيص قصة « الغيرة» للفنان المجيد ساشا جيتري بقلم صاحب المجلة . وترجمة موجزة للكاتب الايطالي بيرندللو وترجمة احدى اقاصيصه . وفي المجلة عدا القصص شؤون اجتماعية مثل حديث مع هدى هانم شعراوي وصورتها وبحث في هوميروس صاحب الالياذة ومقال في التعاون الاقتصادي الاجتماعي ورأي اللادي اللنبي في السعادة الزوجية

وفيها كذلك صور فنية متقنة الطبع . ولولا ان صفحات الاعلان فيها تتخلل صفحات المجلة لما رأينا عليها مأخذاً . ولكن بعض المجلات الغربية يفعل ذلك ، وقد لا يلام الصحافي المصري اذا التمس من باب الاعلان دخلاً يمكنه من تجويد عمله . فنهنىء الاستاذ العماوي بـ « مجلتي » ونتمنى لها اطراد النجاح لتقوم بنصيبها في خدمة الادب والثقافة في هذه البلاد

باب الأخبار العلمية

جوائز نوبل السنوية وأصحابها

لم يمنح من جوائز نوبل هذه السنة الا اربع جوائز واللجنة نوبل الحق في ان تمتنع عن منح اية جائزة من الجوائز اذا رأت بعد البحث ان ليس هناك بحث او كشف او تأليف في السنة السابقة يبلغ الدرجة الممتازة المطلوبة . اما الجوائز التي منحت هذه السنة (١٩٣٤) فقد اصاب الاميركيون اثنتين منها والانكليز واحدة والايطاليون واحدة

فالاميركيون فازوا بجائزة الكيمياء نالها الاستاذ يوري استاذ الكيمياء الطبيعية بجامعة كولومبيا جزاء على كشفه الايدروجين الثقيل وهو ايدروجين خواصه الكيمائية شبيهة بخواص الايدروجين المألوف ولكن وزن ذرته مضاعف وزن الذرة في الايدروجين العادي. وفازوا كذلك بجائزة الطب والفسيولوجيا نالها ثلاثة اطباء هم الدكاترة مينو ومرفي وهويل لكشفهم عن علاج الأنيميا الخبيثة بالكبد وخلاصتها

وقد فاز الانكليز بجائزة السلام (سنة ١٩٣٤) منحت للمستر هندرسن وزير خارجية بريطانيا سابقاً ورئيس مؤتمر نزع السلاح ومساعيه في سبيل السلام وخفض السلاح شهيرة وقريبة العهد فلا داعي الى ذكرها . والسر نورمن انجل (سنة ١٩٣٣) وهذا ليس اسمه الحقيقي بل اسمه الحقيقي هو رالف لاين وقد كان زميلاً للمرحوم سليم بك مكاريوس في تحرير جريدة الديلي ميل . واشهر ما اشتهر بل قبل الحرب كتابه « الوهم الكبير » الذي اثبت فيه ان الحرب خسارة على الغالب والمغلوب معاً . وهو امر نراه الآن لا يحتاج الى اي دليل ولكن احداً لم يسلم به سنة ١٩١١ لما اصدر السر نورمن كتابه. ومن اشهر كتبه بعد الحرب « ثمار الظفر » بيّن فيه كيف تحققت النظريات التي بسطها في « الوهم الكبير »

اما « لويجي برانديللو » الفائز بجائزة نوبل الادبية فمن اكبر كتّاب المسرحيات في هذا العصر وله في كتابته نزعة فلسفية بارعة وتهكم لاذع وروّاد السينما في مصر لا ينسون روايته « كما تريدني » التي مثلتها للحاكرة الفضية الممثلة الشهيرة جريتا جاربو

تبديد الضباب برذاذ كيماوي

لا يزال الضباب من اعظم الحوائل التي تحول دون سلامة الطيران وبوجه خاص اذا كان مايداً فوق المطار الذي تحاول الطائرات ان تنزل فيه

وقد حاول المخترعون ان يتغلبوا عليه من هذه الناحية باستنباط آلات تمكن الطيار من الهبوط الى ارض المطار التي كان الضباب يحجبها عنه . وحاول الطبيعيون الكيماويون تبديده بوسائل كهربائية او كيمائية . وأحدث محاولة من هذا القبيل قام بها طائفة من علماء معهد ماستشوستس الصناعي في اميركا . فقد اعد الاستاذ هوتون رذاذاً كيماوياً اذا رش في بقعة تلبد فيها الضباب تكثف البخار المائي الذي في الهواء فيسقط مطراً على الارض وينجلي الجو

الضوء الازرق وميل النبات

ظاهرة انحناء النبات او ميله او اتجاه ازهاره وأوراقه الى ضوء الشمس ظاهرة معروفة ولكن الامر الذي كنا نجهله في هذه الظاهرة هو ان الالوان التي يتألف منها ضوء الشمس لا تؤثر نفس التأثير في اجتذاب النبات الى ناحيتها بل ان لوناً ما قد لا يجذبها على الاطلاق

وقد عني العالم لرل جولستون من علماء المعهد المتصوف الاميركي بدرس هذه الناحية الفتانة من حياة النبات فحلل ضوء الشمس الى اشعة الالوان المختلفة التي يتركب منها فأدرك بالامتحان تأثير كل طائفة منها في ميل النبات وانحنائه فوجد ان اقواها تأثيراً من هذا القبيل طائفة من الامواج تقع في منطقة اللون الازرق. وان هذا التأثير يضعف بالاتجاه من الازرق الى الاحمر ويعود فيقوى قليلاً عند اشعة اللون الاخضر المزرق ثم يضعف ضعفاً مطرداً بعد ذلك في اتجاهه الى الاحمر حتى يبلغ ٠ والنباتات التي جرب بها تجاربه لا تميل ولا تتجه نحو اللون الاحمر قط

الاستدلال بالنبات
على ثروة الارض المعدنية

كان معدنو اليونان القدماء يباهون بأنهم يستطيعون ان يعرفوا المعادن التي تنطوي عليها الأرض من مراقبة النبات النامي على سطحها فكان معاصروهم يهزأون منهم أو على الاقل يضربون بكلامهم عرض الحائط اذا عمدوا الى التنقيب وعثروا على المعادن التي قالوا بوجودها استناداً الى النبات النامي على سطح الارض قال المرتابون انهم نقبوا في تلك الارض قبلاً فعرفوا ما فيها ثم حاولوا ان يقنعوا الناس بأنهم يعرفون السبيل الى سرها من مراقبة نباتها

ولكن احد علماء التعدين المحدثين يقول ان الادلة متوافرة الآن على ان المعدنين يستطيعون ان يعرفوا طائفة من المعادن المطمورة في الارض من النبات النامي على سطحها وبوجه خاص اذا كان ذلك النبات كثيف النمو في بقعة ما. وكانت النتيجة التي اسفرت عنها هذه المباحث الحديثة ان شرع علماء البلدان المختلفة يعنون عناية خاصة بدرس النباتات المختلفة وعلاقتها بالثروة المعدنية المطمورة في جوف الارض

" خذ مثلاً على ذلك مقاطعتي الرور وسيليزيا العليا في المانيا وبعض مقاطعات البلجيك تجد في بقاع منها نباتاً يعرف باسم « خل (قطيفة) كالامين » . وعند البحث ثبت ان كل بقعة يكثف فيها نمو هذا النبات تحتوي على ركاز الزنك (الخارصيني) وليس من النادر ان يوجد هذا الركاز على بضعة امتار تحت سطح الارض فقط

ويقول احد علماء التعدين انه طلب اليه

مرة ان يحدد نوع المعادن التي توجد في ارض يكثر فيها نمو اشجار الزان فقال «الحجر الجيري» وكان ما قال . وهو يستند في قوله هذا الى ان نوع المعادن المطمورة في الارض يعين نوع التربة ونوع التربة يؤثر في اصناف النبات التي تزكو فيها

قال انهُ كان مرة يجول في مقاطعة دربي في انكلترا فرأى اشجاراً من الفصيلة السماقية فقال لصحبه ان في هذه الارض رواسب غنية بالرصاص قال ذلك من دون ان يكبت الأرض بعصاه او يتفرس في حجر من الحجارة التي يدوسها فعجبوا لقوله. وقد وقع له شيء من هذا القبيل في الولايات المتحدة الاميركية ويقول ان اغنى مناجم الرواسب الرصاصية في اميركا قائمة في منطقة تزكو فيها هذه الاشجار السماقية

وثمة شجر يدعى شجر القان او التامول (Birch) يدل على وجود رواسب حديدية في الارض التي ينمو فيها . واغنى مناجم الحديد توجد حيث تكون اشجار القان اشد ما تكون نمواً

وحدث مرة ان معدناً كان يجول في اسبانيا فاسترعى نظره نوع من نبات المحمودة وكان يعلم ان هذا النبات يتأثر في نموه وزكوه بمعدن الفضة فقال ان وجوده في تلك البقاع لا بدَّ ان يكون دليلاً على وجود رواسب فضية هناك . فأفضى برأيه الى جماعة تحترم رأيه فاعدوا المعدات للتنقيب وما انقضت بضعة اسابيع على تنقيبهم حتى عثروا على مناجم غنية بالفضة

والظاهر ان الرواسب الفضية تزاني نمو نبات يعرف باسم «اريغون» والعجيب في هذا ان المعدنين الاميركيين وجدوا انهُ حيث يزكو هذا النبات توجد رواسب فضية غنية

وعثر المعدنون في ولايتي مشيغن ووسكنسن على مجلات (شجيرات) من نبات معين لا نذكر اسمه العلمي لانه غير مشهور فاسترعت نظرهم فاستدعوا بعض النباتيين ليستطلعوا منهم طبائع هذا النبات وخصائص نموه . فقيل لهم انهم قد يجدون في التراب شيئاً من مركبات الكبريت . وعند التنقيب وجدوا رواسب كبريتور الرصاص المعروف باسم غلينا المستعمل في سقي الحديد وغيره من الاغراض الصناعية

آلة سينمائية عجيبة

صنع المهندس هيبز روزنبرجر آلة سينمائية عجيبة يمكن استخدامها لتصوير المشاهد الدقيقة التي تشاهد بالمكرسكوب عند بحث المكروبات اوما هو من قبيلها من الكائنات المكرسكوبية

وزن هذه الآلة ٥٠٠ رطل وتستطيع ان تصور صوراً طول الصورة منها ٢٤ ملمتراً وعرضها ١٨ ملمتراً . وقد صنعت بها افلام علمية بديعة لانقسام الخلايا وعملية ابتلاع الخلايا الغريبة بواسطة كريات الدم (اي الكريات التي عملها التهام الاجسام الغريبة التي تسطو على الجسم) وصور دورة الدم ونمو المكروبات في المزدرعات وغيرها من الظاهرات الطبيعية البيولوجية التي لا تتاح مشاهدتها الا بالمكرسكوب وفي احوال ليست دائمة حتى ولو امكنت مشاهدتها لشوهدت منقطعة

وهذا الخيال لو اتصل اولو الامر عندنا

بمعهد وكفلر في اميركا وطبعوا نسخاً من بعض هذه الافلام لعرضها في المدارس حيث تدرس مبادىء الطبيعة والفسيولوجيا وعلوم الحياة فانها تقرب المبادىء الى الطلاب وتغريهم بالامعان في الدرس والبحث

تأثير الغدد

اتجه علم الطب في العهد الحديث الى دراسة الغدد الصم اي الغدد التي لا قنوات لها لمعرفة تأثيرها في احوال الجسم في الصحة والمرض وقد فاز الباحثون بمعرفة اسرار طائفة منها كالغدة الدرقية وغدد الكلى والغدة الخوة (البنكرياس) والغدة النخمية . وكانت هذه المعرفة سبيلاً الى شفاء علل كثيرة ظن حتى الآن انها مستعصية لا تعنو لعلم الطبيب وعلاجه

ولكن هناك غدداً ظلت اقوالها محاطة بستار كثيف من الجهل الى ان كشف الباحثون سبيلاً الى اماطة الستار عنها ومن هذه الغدد الغدة الصنوبرية والغدة الصعترية

فلنأخذ هذه الغدة الصعترية اولاً وهي غدة مكانها في صدر الانسان . لقد ثبت من البحث انها تؤثر في الجسم فتستعجل افعاله الحيوية والعقلية . فقد اخذ الدكتور رونتري الاميركي وصحبه طائفة من الجرذان واضافوا الى غذائها خلاصة الغدة الصعترية خمسة اجيال متعاقبة . ثم لاحظوا جرذان الجيل الخامس فاذا السرعة في نمو الجرذان نمواً جسمياً وعقلياً ستة اضعافها في الجيل الاول . فقد ظهرت الاسنان في جرذان الجيل الرابع في خلال اربع وعشرين ساعة تقابلها تسعة ايام او عشرة في الجيل الاول . وفتحت العينان ونبت الفرو في جرذان الجيل الخامس في اليوم الثاني والثالث بدلاً من اليوم الرابع عشر الى السابع عشر وقطعت في اليومين الثاني والثالث بدلاً من اليوم السادس . وتقدمت سن البلوغ في ذكور الجيل الخامس الى الفترة الواقعة بين اليوم الرابع واليوم الثامن عشر بدلاً من الفترة الواقعة بين اليوم الخمسين واليوم التسعين . اما في الاناث فتقدمت سن البلوغ فيها من ٧٠ — ٩٠ يوماً الى ٢٠ — ٢٥ يوماً . وزادت قوة الاخصاب كذلك

وهذا اذ تصورنا ما يقابله في البشر كان كما يأتي : اذا اضفنا خلاصة الغدة الصعترية الى غذاء خمسة اجيال من فريق من الناس استطعنا ان نقطم طفل الجيل الخامس اذ يبلغ بضعة سابيع من العمر وتمكن الطفل نفسه من المشي وعمره نصف سنة وان يبرع ويبرز في الالعاب في الخامسة وان يتخرج في المدارس الثانوية وهو في العاشرة

اما الغدة الصنوبرية فلها عكس فعل الصعترية اي انها تبطىء افعال النمو او انها بالقياس للغدة الصعترية كالفرملة بالقياس الى محرك السيارة

والبحث لا يزال في مستهله ولكنه على كل حال يفتح سبلاً جديدة الى دراسة الصلة بين نفسية الانسان وحالته الفسيولوجية . ويحضرنا في هذا الصدد ان العلامة مكلم الاميركي اثبت ان اضافة المغنيزيوم الى الغذاء يميل الى جعل الطباع «حلوة» وانه على الضد من ذلك يرى ان طباع «الخلقي» سببها نقص ملح هذا العنصر في الجسم

لودج والسنة العلمية

السر اوليفر لودج شيخ من شيوخ العلم وهو الآن في الثالثة والثمانين من عمره وكان في شبابه من رواد العلم الحديث. فقد كان من اوائل الباحثين في موضوع الاشعة اللاسلكية بحثاً عملياً وفي طليعة العلماء الذين وجهوا بفتوحات علم الطبيعة في عالم الذرة والالكترون وله مباحث طريفة في صلة الضباب الكهربائية ووقاية المباني الشاهقة من الصواعق. وهو من العلماء القليلين الذين لم ينبذوا الاثير بعد ما اثبت مذهب النسبية ان لا حاجة بالعلم اليه بل هو يقول ان الاثير لا غنى عنه لتفسير بعض الظاهرات الاساسية في الطبيعة والحياة والعقل. وعلاوة على كل ذلك يؤمن ببقاء الشخصية بعد الموت وبامكان مناجاة الارواح وقد وضع كتاباً ضخماً ضمنه وصف اتصاله بروح ابنه ريموند الذي قتل في الحرب الكبرى

***

هذا العالم الجليل ابى من ايام طلب شركة سينماتوغرافية انكليزية كبيرة تعنى الآن باخراج سلسلة من الافلام العلمية يتحدث فيها كل عالم من العلماء عن ذكرياته العلمية ثم يرسم صورة للعمران كما يتوقعه في آخر هذا القرن اي سنة ٢٠٠٠ ميلادية

وقد اشار السر اوليفر لودج في الفلم الخاص به الى ايام الكهربائية الاولى وضعف الوسائل المستعملة لتوليد التيار الكهربائي ثم قال انهُ يتذكر اول مصباح كهربائي عرض على المهندسين الكهربائيين وقيل فيهِ حينئذٍ انهُ مصباح يصلح للقراءة ولا يحتاج الى عيدان الفحم (الكربت)! وقال انهُ يتذكر زيارة غراهام بل وعرضهُ للتلفون على سبيل التجربة في لندن ثم اشار الى مباحث العلامة هرتز في توليد الاشعة اللاسلكية والتقاطها

***

وبعد ذلك قال ان القرن الحاضر يحاول ان ينكر الاثير. ولكن الاثير في رأيه هو المركز الرئيسي لاشعاع الطاقة وقبل ان ينقضي هذا القرن وعلى الاكثر في مستهلّ القرن الحادي والعشرين يعترف العلماء بأن الاثير هو السبيل الوحيد للاتصال بين الذرات فيخرج علم الطبيعة من حالة الغموض المستولية عليهِ الآن وتعود للاثير مكانته العليا في نظام الكون من حيث هو المادة الوحيدة التي تربط اجزاء الكون بعضها ببعض ومن حيث هو اداة الحياة والعقل

وقد صرح السر اوليفر بعد انهاء القلم لمكاتب الديلي اكسبرس ان اجسامنا الاثيرية — اي الاثير الذي يتخلل اجسامنا المادية — هي الاجسام التي تبقى بعد الموت وان مخاطبة هذه الاجسام لا بد ان تتقدم وانهُ لم يفز بعد بمثل هذه المخاطبة ولكن ايمانه بامكانها لم يضعف

استانبول كما كانت قبل محمد الفاتح

في رسالة العلم الاسبوعية ان الغازي مصطفى كمال قد قرر ان يعيد استانبول الى ما كانت عليهِ قبل سنة ١٤٥٣ م وهي السنة التي فتحها فيها السلطان محمد الفاتح. ولكي يعرف الغازي ما كانت عليهِ

استانبول في العصور الوسطى فعل كما يفعل روزفلت في بعض الشؤون الاقتصادية. اي انهُ دعا استاذ تاريخ فن المعمار في اكاديمية الفنون الجميلة (مدرسة الفنون والصناعات) وطلب منهُ ان يعدَّ لهُ خارطة تكون مبنية على الصور والخارطات والوثائق المختلفة التي تبين كيف كانت استانبول قبل فتح الترك وان هذه الخارطة قد أعدت فعلاً

هذا المشروع يقتضي هدم طائفة من المباني الجديدة ثم إعادة انشاء الحدائق والميادين البديعة التي انشأها امبراطرة بيزنطية وترميم القصور والمعابد القديمة

السر سعيد شقير باشا

يعزُّ على المقتطف ان ينعى الى قرائهِ رجل الهمة والاقدام . وجل الادارة والادب . رجل المروءة والنجدة . العصاميَّ الكبير السر سعيد شقير باشا . وافاه الأجل المحتوم في فجر يوم الاثنين ٢٤ دسمبر بعد مرض قصير ، فكان لنعيهِ رنة حزنٍ واسى في الدوائر الوطنية والاجنبية على السواء . وتساوى في الحزن عليهِ رجال السياسة والادارة ، ورجال الصحافة والادب . فقد كان رحمهُ الله الى جانب اضطلاعهِ بالاعمال الادارية والمالية الكبيرة في حكومة السودان ، أديباً راسخ القدم واسع الرواية ومحدثاً قوي الحجة صائب الحكم سريع الخاطر حلو النوادر ، ولهُ في الكتابة والخطابة نثراً وشعراً جولات صادقات . وسوف نأتي على سيرتهِ في عدد المقتطف القادم لان فيها دروساً للشبان يجب اذاعتها ، ولان بين طرفيها تمتدُّ حقبة من أحفل الحقب في تاريخ الشرق الادنى بالحوادث الجسام، من سياسية وادارية وثقافية وقد كان الفقيد يدٌ في غير طائفة يسيرة منها

رحمهُ الله وعزّى قلوب اهله الكثيرة

العلم والسلاح

تابع الصفحة ٦٤

ويزعمون ان كل دولة من الدول العظمى تقوم بتجارب سرية في تسيير الطيارات والسفن بالراديو حتى اطلاق المدافع ايضاً. غير انهُ ما من امرئ يعلم يقيناً ان احداها قد اخترعت جهازاً كهربائياً يقوم بأشد ما يفتقر اليهِ الجندي المصري من المزايا ، ونعني بهِ التجسس وتسقط أخبار العدو

اما الحرب البحرية القادمة فستكون اساليبها غير مختلفة عنها في الحرب الغابرة . على الضدّ من الحرب البرية . ولكن لا بدّ ان تضطلع الطيارات باعباء كبيرة منها . ولم يبق الا ان يثبت في القتال الحقيقي ان القنابل الجوية تستطيع اغراق مدرعة من المدرعات . وسيكون للغواصات نصيب كبير في الحرب المقبلة اذ يُناط بها تدمير السفن التجارية والاشتراك في القتال . غير ان السائد على الالباب حتى الآن هو ان المدرعات ما زالت دعامة القوة البحرية، وان كان الخطر الناجم عن الغواصات والألغام البحرية يحتم على الاساطيل المحاربة قضاء جل اوقاتها في الدفاع عن الموانئ الشديدة التحصن

الجزء الاول من المجلد السادس والثمانين

صفحة

١ كشف الايدروجين الثقيل (مصوّرة)
٦ مكتبة الاسكندرية ومدرستها : (مصورة)
١٥ بيرانديلو ومسرحياته الوجيهة : للآنسة مي (مصورة)
٢١ دقائق الاحياء في قطرة ماء
٢٣ السمّ (قصيدة) : لبشر فارس
٢٤ مينو وصحبه (مصورة)
٣٣ مصرع بابل (قصيدة) : لابراهيم عبد الفتاح طوقان
٣٦ الفاظ الفيوم : للامير مصطفى الشهابي (مصورة)
٣٨ الذرة الافريقية والذرة الاميركية : للفريق امين المعلوف باشا
٤١ الرياضة البدنية عند قدماء المصريين . للدكتور حسن كمال (مصورة)
٥٤ حضارة جزيرة كريت القديمة : لشارل عيساوي (مصوّرة)
٥٩ العلم والسلاح : لعوض جندي
٦٥ السيكلوجية الحديثة : ليعقوب فام
٦٩ سير الزمان : اليابان وسياستها الاسيوية — ايطاليا الجديدة بين الانهيار والبعث الفاشي — الكابتن انتوني ايدن
٨٣ مملكة المرأة : انواع الحب : لحنا خباز — قصص الحياة : خاتمة سعيدة — الملاحظة والربط والتعبير في تعليم الاطفال : لمحمد حسين الخزنجي
٩٥ حديقة المقتطف : الشاعر وكتابه : للشاعرة ادنا فلسنت ميلاي : نقلها الشاعر علي محمود طه — المساء : لالفونس دي لامرتين : نقلها جورج نيقولاوس — الحرية : لتلسون

١٠١ باب المراسلة والمناظرة * امين بجي باشا : لنقولا شكري (مصورة) — ارشاد لغوي : للاستاذ عبد الرحيم ابن محمود : تقدمة في العامية : لاديب عباسي — الموضوع في الفلسفة وعلم النفس : ليعقوب فام
١٠٩ مكتبة المقتطف * الاسلام والحضارة العربية : الشخصيات البارزة التاريخية : التجارة الدولية : مذكرات الامير امين ارسلان : طرق التربية الحديثة : احسن ما كتبت : مجاني
١١٨ باب الاخبار العلمية * فيه ٩ نبذ

مجيل دى اونامونو

وهو من اكبر كتاب العصر

من ابناء اسبانيا المتوثبة

فلاسكو ايفانييث

او روائي البحر المتوسط كما دعاه احد النقاد

المرحوم سعيد ذو الفقار باشا

المرحوم سعيد شقير باشا

بملابسه الرسمية وأوسمته

مسجد فى القيروان يظهر فيه المحراب والمنبر والمقصورة

« الكبراثوسور » من جبابرة الحيوان في العصور القديمة

وهما يبترعي النظر اليه ضخامة قوائمه الخلفية وصغر قوائمه الامامية وكان طوله ٢٢ قدماً

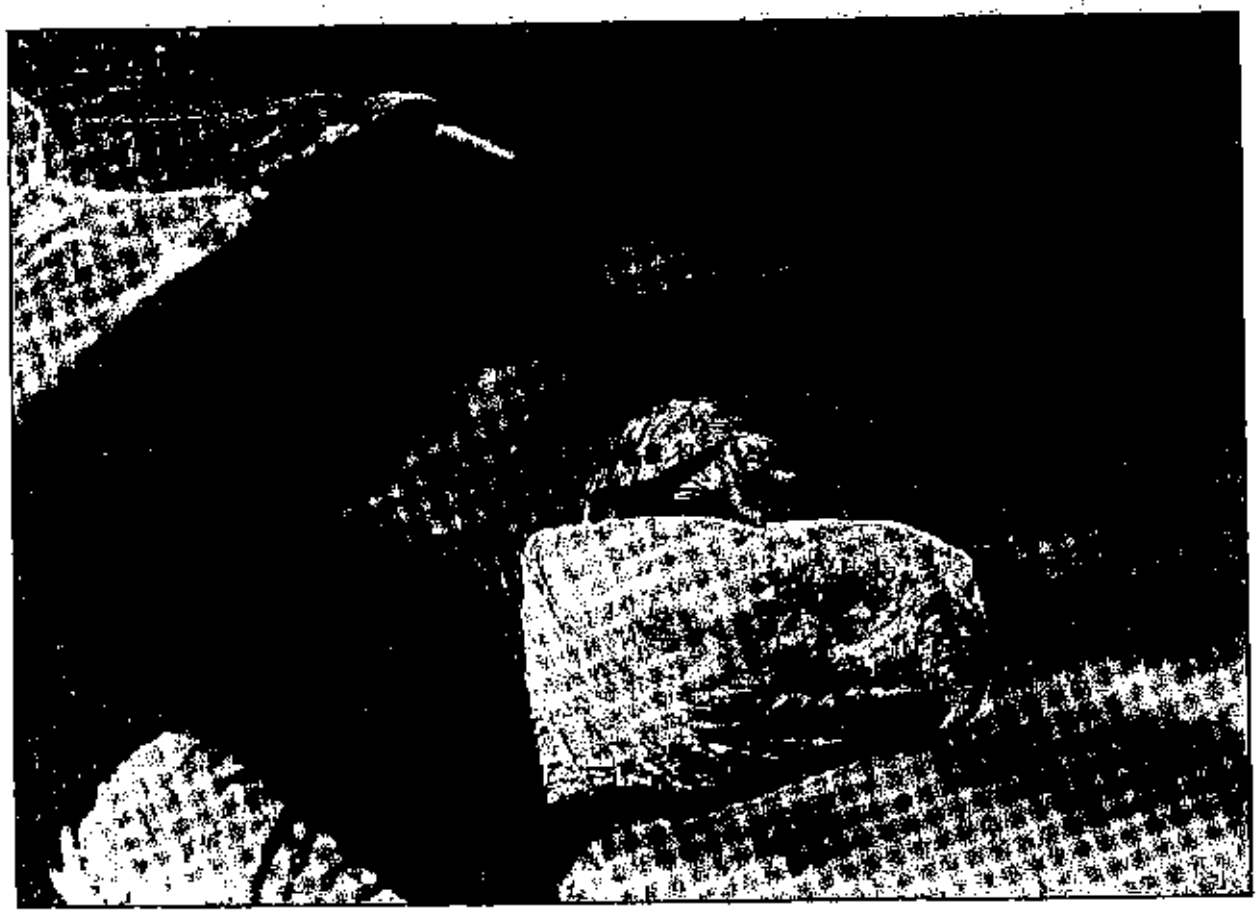

سلحفاة صغيرة تمشي على رأس سلحفاة كبيرة معمرة في حديقة الحيوان بالبرونكس نيويورك

طفلان

المعبودة إزيس

تمثال من العهد الصاوي (تصوير الدكتور حسن كال)

الفيوم اوريسى
من العهد الصاوي . دار تحف
القاهرة . تصوير الدكتور
حسن كمال

البقرة المقدسة
(حاتمور)
من العهد الصاوي دار تحف
القاهرة . تصوير الدكتور
حسن كمال

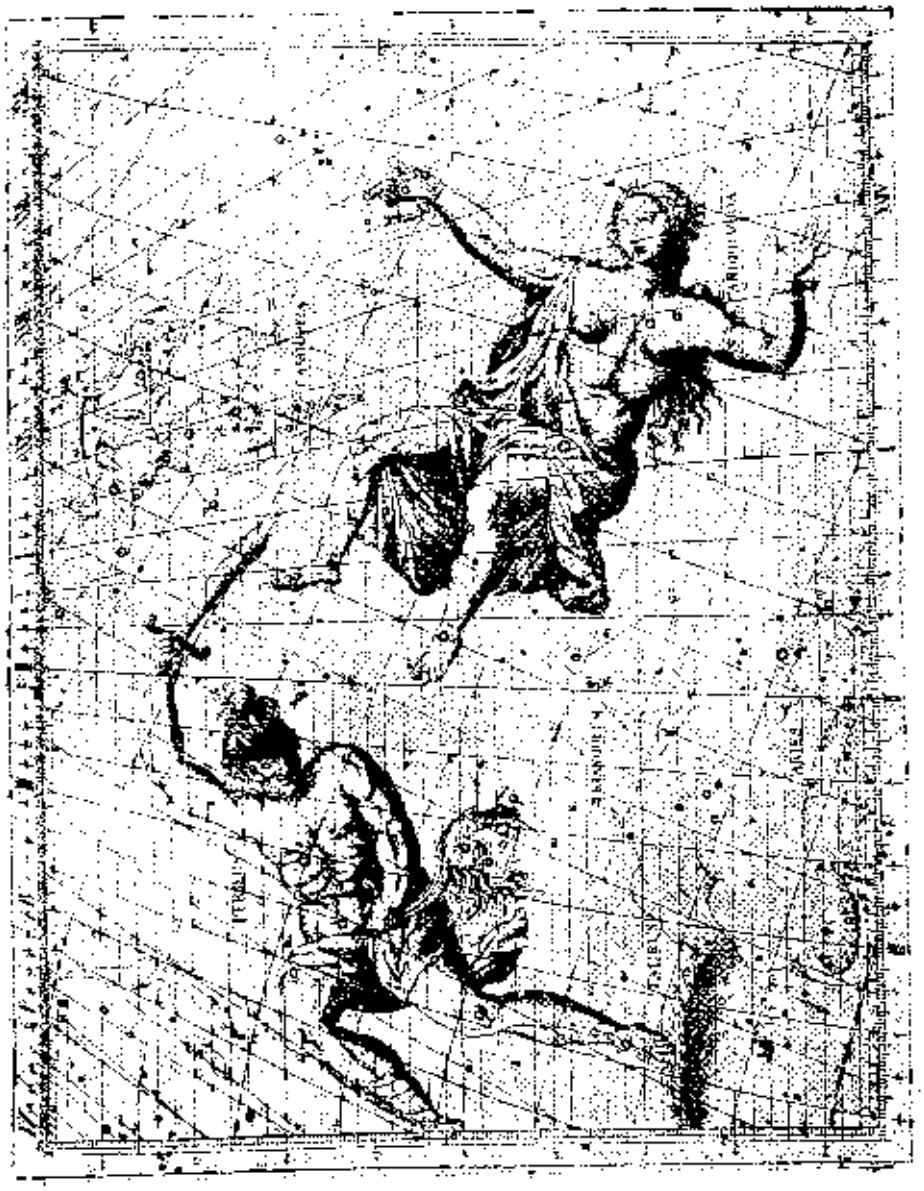

مجموعات النجوم كما تصورها الاقدمون

في أعلى الصورة « المرأة المسلسلة » Andromeda

وفي أسفلها فرساوس Perseus